دِراسات في الاستِشراق المُعاصر 1

الاستِشراقُ اليَهوديُّ المُعاصر

المَنهجُ والغايات

د. محمود كيشانه

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

الاستِشراقُ اليَهوديُّ المُعاصر
المَنهجُ والغايات

د. محمود كيشانه

دراسات في الاستشراق المعاصر

الاستِشراقُ اليَهوديُّ المُعاصر

المَنهجُ والغايات

د. محمود كيشانه

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

◆ رقم الطبعة:
الأولى

◆ تاريخ الطبعة:
2024 م- 1446هـ

◆ مكان الطبعة:
بيروت - بغداد

©جميع الحقوق محفوظة للمركز.

الفهرس

7 **مقدمة**

- أهداف الدراسة 8
- الدِّراسات السابقة 9
- إشكاليّة الكتاب 10
- محاور الدراسة 12
- المنهج المُعتمَد 13
- أولًا: تعريفُ الاستشراق اليهودي المعاصر ونقدُه 13
- ثانيًا: بين الاستشراق اليهودي والاستشراق الغربي ونقدهما 16
- ثالثًا: نقد أنواع الاستشراق اليهودي 18

23 **الفصل الأوّل**: نقد مناهج الاستشراق اليهودي المعاصر

- أولًا: نقد المَنهج الشكي 25
- ثانيًا: نقد منهج التأثير والتأثُّر 29
- ثالثًا: نقد منهج المقابلة والمطابقة 40
- رابعًا: نقد المنهج الإسقاطي 58
- خامسًا: نقد المنهج التحليلي 60
- سادسًا: المنهج التأريخي 62

69 **الفصل الثاني**: نقد غايات الاستشراق اليهودي المعاصر

- أولًا: نقد الغاية العقدية 70
- ثانيًا: نقد الغاية السياسية 108
- ثالثًا: نقد الغاية الثقافية غير الخالصة 130

137 **الفصل الثالث**: **الاستشراق اليهودي المؤسَّسي**

- أولًا: مراكز البحوث والدراسات الإسرائيلية 138
- ثانيًا: غايات هذه المراكز الاستشراقية 144
- ثالثًا: كيف نواجه المراكز الاستشراقية الإسرائيلية؟ 155

158 **الخاتمة**

163 **المصادر والمراجع**

مقدمة

يُمثِّلُ الاستشراقُ اليهوديُّ المعاصر صورةً من صور التعصُّب للعَقيدة، وهذا التعصُّبُ هو الذي كان يقودُ الاستشراقَ في دراساته حول الإسلام، وهو الذي يُفسِّر لنا لماذا كان دائمَ التَّشويه لكلِّ ما هو إسلاميٌّ، ولذلك يتحتَّم علينا فضحُ هذا النَّوع من الاستشراق، والسَّعيُ الدائم إلى بيان ما انطوى عليه من مزاعم، والردُّ عليها، وكشفُ الرَّكائز الهشّة التي يَستند عليها، ويتَّخذُها مُنطلَقًا له.

ويُشكِّلُ الاستشراقُ اليَهوديُّ ركنًا رئيسًا من أركان الاستشراق الغربي، إذ كان المستشرقون اليَهود مشاركين بصورة كبيرة في حركة هذا الاستشراق، الذي عمد إلى دراسة الشرق دراسة عدائية ومُنحازة من جوانب مُتعدِّدة. وقد مَرَّ هذا الاستشراق اليهودي بثلاث مراحل: مرحلة الاستشراق اليهودي، مرحلة الاستشراق الصهيوني، مرحلة الاستشراق الإسرائيلي. وكلُّ مرحلة من هذه المراحل كانت لها مناهجها وغاياتها المُتشابهة التي تصبُّ في النهاية في الإطار العام للاستشراق اليهودي.

إنَّ الاستشراق اليهودي كان استشراقًا عدائيًّا مُتعصِّبًا من الدرجة الأولى، وكان له أعلامُه العدائيُّون الذين دخلوا مجالَ الاستشراق بكلِّ قوة، من خلال دراساتهم التي عمدَت إلى تشويه الإسلام عقيدةً وفِكرًا وعُلومًا مُنطلقةً من منظورها اليهودي، ومن هؤلاء الأعلام (إبرهام جيجر - Abraham Geiger)، و(جولدتسهير - Goldziher)، و(شاخت - Schacht)، و(برنارد

لويس - Bernard Lewis)، وغيرهم ممَّن تنوَّعَت مشاربُهم بين الدِّراسة العقدية والسياسية والثقافية العلمية، وقليل منهم مَن كانت مشاربه عِلميّةً ثقافية.

أهداف الدراسة

إنَّ أوَّلَ أهداف هذا الكتاب هو فضحُ الاستشراق اليهودي المعاصر، ونقدُه النَّقدَ العلمي والموضوعي، وبيانُ دوره اللاعلمي كحلقة من حلقات الاستشراق اليهودي القَديم، والاستشراق الغربي أيضًا.

ومن أهداف هذا الكتاب تناوُلُ الاستشراق اليهودي بالتَّحليل والنَّقد، ومحاولةُ فَهمه في سياق الاستشراق الغربي العامّ، خاصةً أنَّ مثلَ هذا النَّوع من الاستشراق كان له تأثيره الخطير، إذ أعطى صورةً سلبيّةً عن الإسلام، كان لها تأثيرها السَّلبي على نظرة الغرب له، بجوار الاستشراق الغربي العامّ.

ومن أهم أهداف الكتاب كذلك الوقوفُ تحليلاً ونقدًا على الموضوعات التي كانت في حيِّز اهتمام الاستشراق اليهودي، وهي الموضوعات التي كان يَتناولها بغرض تَشويه عقيدةِ الإسلام، وشخصية النبيِّ الكريم ورسالته، وتقديم فكرة مُشوَّهة عن الإسلام والمسلمين، من نحو النَّزعة التأثيرية، والنَّزعة الشكِّية، وكيفية اتِّخاذ المواقف السياسية، وغير ذلك من الموضوعات.

فضلاً عن أنَّ من أهدافه الرئيسة الكشفَ عن المناهج التي سار عليها المُستشرقون اليَهود، واتَّخذوها أداة وطريقة لدراسة الموضوعات حول الإسلام عقيدة وفكرًا، ونقدها وفضحها وبيان ما تقوم عليه من عوار

منهجيٍّ، ومِن ليِّ عُنق المناهج لخدمة أغراضهم غير العلمية، وإنْ تستَّرَت بستار المَنهجيّة. وهي مناهج مُتعدِّدة في رأيي، لكنها لا تَخرج في النهاية عن تحقيق الهدف العامّ للاستشراق اليَهودي عامّةً.

يُضاف إلى ذلك أنَّ من أهداف الكتاب الوقوفَ تحليلاً ونقدًا على الغايات التي سَعى الاستشراق اليهوديُّ إلى تحقيقها عن طريق دراسة الإسلام. وهي غايات أهمُّها: الغاية العقدية، والغاية السياسية، والغاية الثقافية غير الخالصة، زيادة على أهداف أخرى تفصيلية تَنبثق من هذه الغايات الثَّلاث.

الدِّراسات السابقة

يُمكن القولُ بأنَّ الدِّراسات حول الاستشراق اليهودي قليلةٌ بل نادرة، وسوف نَقف على أهمِّ هذه الدراسات، وهي:

الأولى: دراسة الدكتور (محمد خليفة حسن)، التي تَحمل عنوان: "المدرسة اليهودية في الاستشراق"، وهي دراسة منشورة بمجلة "رسالة المشرق"، وتَقف على أنواع الاستشراق اليهودي: اليَهودي والصهيوني و"الإسرائيلي"، والآثار الخطيرة المُترتِّبة عليه في واقعنا الإسلامي.

الثانية: دراسة الدكتور (محمد جلاء إدريس)، التي تَحمل عنوان: "الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العِبرية"، وهي دراسة صادرةٌ عن دار العربي للنشر والتوزيع، عام 1995م، وهي الدراسة التي وقفَت على نوع واحد من أنواع الاستشراق اليهودي، وهو الاستشراق "الإسرائيلي".

الثالثة: دراسة (محمد عبد الرحيم الزيني)، الموسومة بـ "الاستشراق اليهودي، رؤية موضوعية"، مصر، والصادرة عن دار يقين للنشر والتوزيع،

الطبعة الأولى، 1432هـ - 2011م، وهي الدراسة التي وقفَت عند الاستشراق اليهودي، وبيان الموضوعات التي دخلَ منها، وحاكَ من خلالها شُبهاته.
وهذه الدِّراسات وغيرُها دراساتٌ جادّةٌ حاولَت أن تكشفَ الاستشراقَ اليهودي، وتَقِفَ على الشُّبهات التي أثارها، مع إشارات بسيطة إلى بعض المناهج التي استخدمها، والغايات التي كان يَرمي إليها. فلم يكن الهدفُ منها البحثَ في المَنهج والغاية، بقدر ما كان الغرضُ منها الوقوفَ على معنى الاستشراق اليَهودي وأنواعه وموقفه من الإسلام، ومن ثَمَّ توارَت الغايةُ والمنهج خلفَ هذا الغرض، فكانَت مهمَّتنا هنا البحثَ عن المناهج والغايات التي برزَت في الاستشراق اليهودي بأنواعه المختلفة.
يُضاف إلى ذلك أنَّ هذه الدِّراسات وقفَت عند الاستشراق اليهودي منذُ نشأته في سياق الاستشراق الغربي بعمومه، أي أن هذه الدراسات، باستثناء القليل منها، بحثَت في الاستشراق اليَهودي القديم، وبعضُها تطرَّقَ إلى مناقشةِ الاستشراق المعاصر منه، ونحن سوف نقتصر على الاستشراق اليهوديِ المعاصر.

إشكاليّة الكتاب

يُمكن القولُ إنَّ إشكالية البحث الرَّئيسة تتمثَّل في السُّؤال الآتي:
إنَّ إشكالية الكتاب الرَّئيسة هي نقدُ الاستشراق اليهودي المعاصر، وفَضحُه وبيانُ تهافته، من خلال الإجابة على سؤال جوهري مُؤدّاهُ: ما الغايةُ التي يَسعى إليها الاستشراقُ اليَهوديُّ المُعاصر؟ وما المنهج الذي يَسلكه للوصول إليها؟

وفي ضَوء هذه الإشكالية أو التَّساؤل الرَّئيس تَنبثق مجموعةٌ من الإشكاليات أو التَّساؤلات الفرعية، يُمكن عرضُها في الآتي:

ما الاستشراقُ اليهوديُّ المعاصر؟ وما مَوقعُه الآثم والخطير في سياق الاستشراق اليهودي خاصّةً والاستشراق الغربي عامّةً؟ وما النُّقود التي يُمكن أن تُوجَّه لهذا النَّوع من الاستشراق؟ وكيف يُمكِنُنا أن نَفضحه ونكشفَ بُطلانَه في مَوقعيّته من الاستشراق الغربي عامّةً، وفيما يَرتكز عليه من ركائز وما يَنطلِقُ منه؟

وهل يَقف في دراسة الإسلام عقيدةً وفِكرًا عند حيِّز مَنهجٍ واحد؟ وبمعنى آخر هل انطلقَ الاستشراقُ اليهوديُّ المعاصر من مَنهجٍ واحد؟ أم اعتمد على مجموعة من المناهج التي خدمَت الغايةَ التي انطلقَ إليها؟ وما هذه المناهج؟ وهل هي مناهجُ علميّة؟ أما شابَها التعصُّب والبُعدُ عن العِلميّة في تطبيقها؟ وكيف تَكشِفُ لنا هذه المَناهجُ عَوار هذا الاستشراق؟ وكيف يَتسنَّى لنا نقدُ هذه المناهج والكشف عن التطبيقات الخاطئة لها من قِبَلِ هذا الاستشراق لتحقيق أهدافٍ ومَرامٍ غير منهجية وغير علمية؟!

وما الغايات التي سَعى إليها الاستشراق اليهوديُّ المعاصر؟ هل نستطيع أن نجد غايات عقدية تنتصر للعَقيدة اليهودية؟ وهل نستطيع أن نجد غايةً سياسية تُرسِّخ للأفضلية لشعب دون آخر، أو تحاول القضاء سياسيًّا على الإسلام والمسلمين؟! وهل لنا أن نجد غاية علمية ثقافية في خضم هذا الاستشراق؟

وما الذي يُمكن أن يُقدِّمه لنا هذا الكتاب من نقد لهذه الغايات الخبيثة التي لم يَكن لها صِلةٌ بالعلم والمَنهج، وإنَّما كان هدفُها بعيدًا تمامًا عنهما؟!

محاورالدراســة

وفي ضوء هذه الإشكاليات والتساؤلات تتحدَّدُ محاورُ هذا الكتاب، وهي:

الأول - الاســتشراق اليهودي المعاصر تعريفه وموقعه في سياق الاستشراق عامة.

أ. تعريف الاستشراق اليهودي المعاصر ونقدُه.

ب. بين الاستشراق اليهودي والاستشراق الغربي ونقدهما.

ج. نقدُ أنواع الاستشراق اليهودي.

الثاني – نقدُ مناهج الاستشراق اليهودي المعاصر.

أ. نقد المنهج الشكيِّ.

ب. نقد منهج التأثير والتأثُّر.

ج. نقد منهج المُقابَلة والمُطابَقة.

د. نقد المنهج الإسقاطي.

هـ. نقد المنهج التَّحليلي.

و. نقد المنهج النَّفسي الذِّهني.

ز. نقد المنهج النَّقدي.

الثالث - نقد غايات الاســتشراق المعاصر.

أ. نقد الغاية العقدية.

ب. نقد الغاية السياسية.

ج. نقد الغاية الثقافية العلمية.

المنهج المُعتمَد

يعتمد هذا الكتاب على المَنهج التَّحليلي، الذي يُحلِّل الاستشراقَ اليهوديَّ المعاصر ومناهجه وغاياته، والمنهج النَّقدي الذي يَفضحه ويُبيِّن تهافُتَه وما يقوم عليه من عوار، ويُوجِّه إليه ما يَستحقُّه من أوجه النَّقد الذي يَعتمد على بُعدين: ديني عقدي ومعرفي عقلي.

الاستشراق اليهودي المعاصر- تعريفه وموقعه في سياق الاستشراق عامّةً

أولًا: تعريفُ الاستشراق اليهودي المعاصر ونقدُه.

لا شكَّ في أنَّ الاستشراق كان حركةً تهدف إلى دراسة الشَّرق من مختلف الجوانب بهدف فَهمه، ومن ثَمَّ السَّيطرة عليه واستنزاف خيراته والعبث بمُقدَّراته، وقد اختلفَت التَّعريفات التي أدلى بها الدّارسون حول الاستشراق، لكنها تَنطلق في النهاية من الغاية التي يَنطلق منها، والمَرامي التي يَرمي إليها، ومن الوسيلة التي يتَّكِئُ عليها للوصول إلى هذه الغاية.

وقبل الشُّروع في بيان تعريف الاستشراق اليهودي نُعرِّجُ أوَّلًا على تَعريفات بعض الدّارسين للاستشراق عامّةً:

يُعرِّف (إدوارد سعيد) الاستشراقَ بأنَّه: "أسلوبٌ في التَّفكير مبنيٌّ على تميُّز مُتعلِّق بوجود المعرفة بين «الشَّرق» و «الغرب»... الاستشراق ليس مجرَّدَ موضوعٍ سياسي أو حقل بحثي يَنعكس سلبًا باختلاف الثَّقافات والدِّراسات أو المؤسَّسات، وليس تكديسًا لمجموعة كبيرة من النُّصوص حول المَشرق... إنَّه توزيع للوعي الجغرافي إلى نصوص جمالية وعلمية واقتصادية واجتماعية، وفي فقه اللُّغة وما شابَهَ ذلك في المجال المعرفي،

أو العلـم الذي يُتوصَّل بـه إلى الشَّرق بصـورةٍ مُنظَّمة، كموضـوع للتَّعلُّم والاكتشـاف والتَّطبيق... نوع من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة حكم الغـرب للشَّرق"[1]. ولا يَخفى ما في هذا التَّعريف من إسـهاب، ونعتقد أنَّ الجزء الأخير منه يُعبرِّ بصورة أو بأخرى عن حقيقة الاستشراق.

ويُعرِّفه (أحمد عبد الحميد غراب) بأنَّه: "أسلوب فكريٌّ غربيٌّ يَقوم على أنَّ هناك اختلافًا جذريًّـا في الوجود والمعرفة بين الشرق والغرب، وأن الثّاني يَتميَّز بالتفوُّق العُنصري والثَّقافي على الأوَّل"[2]، وهذا التعريف يُشـير إلى المُرتكزات أو المُنطلقات التي يَنطلق منها الاسـتشراقُ لا أكثر، ولا يُشـير إلى أيٍّ من المنهج والغاية.

أما (رودي بارت - Rudi Paret) المسـتشرق الألماني فيُعرِّف الاسـتشراقَ تعريفًـا أراهُ مَنقوصًـا؛ حيث يُعرِّفُـه بأنَّه: "العلمُ الذي يَسـعى إلى تعلُّم لغةٍ خاصّة. ويُدْعى هذا العِلمُ عِلمَ الشَّرق، وعِلمَ العالم الشَّرقيّ"[3].

والحقيقـة أنَّ الاسـتشراق الغـربيَّ لا يَنفصـل في العديد مـن مراحله عن الاسـتشراق اليهـودي، كون الأخـير واحدًا مـن أذرُعِه الرَّئيسـة، فقد كان المسـتشرقون اليهودُ يتزيَّون بزيٍّ جنسـيات أوروبية؛ وكانـوا يُحقِّقون مُرادَ الاستشراقَيْن: الغربي واليهودي، ومِن ثَمَّ فلم يَنفكَّ الثاني عن الأوَّل مطلقًا. وعلى كلِّ حالٍ فإذا انتقلنا إلى تعريف الاستشراق اليهودي، "فإنَّ 'الاستشراق

1 - إدوار سعيد: الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، ص 37.

2 - أحمد عبد الحميد غراب: رؤية إسلامية للاستشراق، ص 7.

3 - رودي بارت: الدراسات العربيّة والإسلاميّة في الجامعات الألمانيّة، ص 11. & انظر: أحمد محمود هويدي: مدخل إلى الاستشراق ومدارسه، ص 5.

اليهودي' هو 'الحركة العلمية اليَهودية' التي تَهدف إلى دراسة كلِّ شؤون الشَّرق الإسلامي، السِّياسية، والاقتصادية، والتاريخية، والجغرافية، والأنثروبولوجية، وغيرها، من خلال اتِّباع منهج ديني، والهيمنة على البلدان الإسلامية؛ من أجل تَحقيق أهدافها الدِّينية والسِّياسية، وتحقيق الهَيمنة العلمية على العالم الإسلامي"[1].

وهذا التَّعريف يَقودنا إلى بيان حدود دراسة الاستشراق اليهودي، وهي تَشمل جلَّ ما يتعلَّق بالشَّرق إن لم يكن كلّه، وإلى بيان أحد المناهج المستخدمة -وليس كل المناهج- في هذا الاستشراق، وإلى بيان المَرامي التي يَهدف إليها من وراء هذه الدراسة.

وباعتبار الاستشراق الإسرائيلي صورةً معاصرة من صور الاستشراق اليهودي العام[2] فإنَّ أحد الباحثين المعاصرين يُركِّز على اللُّغة العِبرية في تعريفه، فيقول: "هو حصيلة علميّة في مجال الدراسات والبحوث الإسلاميّة المكتوبة باللُّغة العِبريّة، من قِبَل علماء وباحثين إسرائيليين، مُتخصِّصين بالدِّراسات الإسلاميّة والعربيّة."[3]، ولكنَّنا نظنُّ أنَّ حصر الاستشراق الإسرائيلي في مجرَّد الإنتاج الصادر باللُّغة العبرية لا يُعبِّر عن مضمونه، كما أنَّه يَحصره في إطار ضيِّق، ويمَنع من الوقوف الحقيقي عليه، بدليل أنَّ من المستشرقين الإسرائيليين أنفسهم مَن كتبَ بعضَ إنتاجه بغَير اللُّغة العِبرية.

---

1 - فاطمة جان أحمدي: "الاستشراق اليهودي.. هيمنة على الدراسات الإسلامية في الغرب".

2 - محمد خليفة حسن: المدرسة اليهوديّة في الاستشراق، ص.ص. 63-64.

3 - م . ن . ص.ص. 64-65.

ولكن يَبقى هذا النَّوع من الاستشراق في مراحله الثَّلاث استشراقًا ذا قراءة عدائيـة، لا تُقيـم وزنًا للعلـم ولا للمَناهج العلمية؛ لأنَّه يَنطلـقُ من أرضيّةٍ تَعصُّبيّـة صِرفـة، لا مكانَ لهـا في دائرة العلـم الحقيقي المُنتَـج. وهذا ما نجـده واقعًا عند أعلام الاسـتشراق اليهودي المعاصر، مـن أمثال: (برنارد لويس)، و(شـالوم زاوي - Rabbi Shalom Zaoui)، و(أوري روبين - Uri Rubin)... وغيرهم.

ثانيًا: بين الاستشراق اليهودي والاستشراق الغربي ونقدهما

يمُكن القولُ إن الاستشراق اليهودي والاستشراق الغربي صنوانِ، أو إن شئنا لَقُلنا إنَّ الأول بالنسبة للثاني كالرُّكن من البيت، أو كالعُضو من سائر أعضاء الجسـد، وذلك لأنَّنا نعلم أنَّ الاسـتشراق اليهوديَّ بدأ مسيرتَه الاستشراقية في كنف الاسـتشراق الغربي، لكنَّ المسـتشرقين حينها لم يُفصحوا بالطَّبع عن هويتهم الاستشراقية، وعملوا من خلال جنسياتهم الأوروبية.

ولقد ظلَّت العلاقةُ بين الاستشراق اليهودي والاستشراق الغربي قائمةً حتى وقتنا هذا، وعلى الرغم من أن الاستشراق اليهودي المعاصر أفصحَ عن ذاته، فإنَّ هذه العلاقة تترسَّـخ يومًا بعد يوم، بل إنَّ السياسـة العالمية، التي تَبني مواقفَها في الغالب على المراكز الاستشراقية في الغرب وأمريكا، استعانَت ولا زالَت بآراء الاسـتشراق اليهودي والمسـتشرقين اليهود المعاصرين من أمثال (برنارد لويس) وغيره.

ولعلَّ الاستشراقَيْن: اليهودي والغربي كانت الغايةُ عندهما واحدة، فكلاهما حاول أن يُقدِّم خدمةً لعقيدته وكيانه السـياسي على حساب العلم والحقيقة

المعرفية، ولذا غلبَت القراءة العقدية اليهودية في الاستشراق اليهودي، كما غلبَت القراءة العقدية النصرانية غالبًا في الاستشراق الغربي، وهذا ليس تجنِّيًا عليهما، ولكنَّه الحقيقة التي تَنطق بها كتبُهم وإنتاجهم الذي يُعدُّ حكمًا عليهم عند مواجهته بالحجج العقلية والدِّينية والمعرفية الإنسانية.

وبالنَّظر إلى الاستشراق القديم نجد مثلاً المستشرق (إبراهام جايجر) اتَّجه اتِّجاهًا عقديًّا بالأساس، فحاول أن يُثبِتَ أنَّ القرآن نسخةٌ من التوراة، أو أن الإسلام مُقتبَس من اليهودية في كتابه: ماذا أخذ محمد من اليهودية؟ كما نجد المستشرق (سانت كلير تيسدال - St. Clair Tisdall) نَحا النَّحوَ ذاته، عندما حاول إرجاع النصوص القرآنية إمَّا إلى نصوص التوراة وإما إلى نصوص الإنجيل، زاعمًا أن القرآن مأخوذ من الديانتَينِ اليهودية والنصرانية وعقائد أخرى شتَّى.

هذا يَعني أنَّ المُنطلَق في أغلب جوانبه كان مُنطلَقًا عقديًّا بالأساس، أو بتعبير آخر لخدمة أهداف عقدية يَرتئيها المُستشرق.

وبالنَّظر إلى الاستشراق اليهودي المعاصر نجد أنَّ الغاية العقدية غالبةٌ عليه، كما هو الحال في الاستشراق الغربي، والمُتأمِّل فيما نُقل عن (شالوم زاوي) وأوري روبين يجد أنَّ هذه الغاية تتملَّكُهما بجوار غاياتٍ أُخرى كالغاية السِّياسية مثلاً. وهذا ما سنفرد له مساحةً من النَّقد في صفحاتٍ قادمة.

وممَّا يَجمع الاستشراقَينِ: اليهودي المعاصر والغربي أنَّهما يَنطلِقان من غاية أخرى، وهي غايةٌ سياسية، ونحن حين نذكر الانطلاقةَ الأولى للاستشراق الغربي، التي كانت تُقدِّم خدماتٍ للاحتلال الغربي لبلاد الشَّرق، نستطيع القولَ بأنَّ الاحتلال الغربي، المُسمَّى خطأً بالاستعمار، كان الابنَ البِكر

للاستشراق. وهذا الأمر لا نُغفِلُه في الاستشراق اليهودي المعاصر، الذي لا تَخفى على كلِّ ذي عَينَين دوافعُه السياسية لخدمة الكيان الصهيوني في فلسطين، ولتأكيد ذلكَ يَكفي أن نُلقيَ نظرةً على إنتاج المستشرق اليهودي (برنارد لويس)، الذي استخدم كلَّ أدواته الاستشراقية في التَّرسيخ لهذا الكيان وخدمة وجوده، من خلال قراءات جعلَت دفّةَ الإدارة الأمريكية تتَّجِهُ دومًا نحو العَداء للعرب، والتَّمكين لهذا الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة.

بيدَ أنَّه لم تظهر هذه التَّوأمةُ -إن صحَّ التَّعبير- بينَ الاستشراق اليهودي والاستشراق الغربي في الغايات التي انطلَقا منها فحسبُ، بل تَظهر كذلك في المناهج المُعتمَدة، فهي مناهج واحدة تَقريبًا، قوامُها: المنهج الشكيِّ، ومنهج التأثير والتأثُّر أو المقابلة والمطابقة، والمنهج الإسقاطي، وغيرها من المناهج التي أعدَدْنا فصلاً خصيصًا لها، ناقدينَ لها ومُبيِّنينَ تَهافُتَها وعدم انسجامها مع أي منهج علمي؛ خاصةً مع ما تُقدِّمُه من نتائج مخالفة ومُجترّة اجترارًا، تحقيقًا لأهداف يُريدها المستشرقُ طبقًا لِمُنطلَقِه العقدي أو الفكري.

ثالثًا: نقد أنواع الاستشراق اليهودي

يُمكن القول إنَّ الاستشراق اليهودي، كما قسَّمَه الدّارسون المُختصُّون، مرَّ بثلاث مراحل، كلُّ مرحلة تَحمل نوعًا من أنواعه، وهذه الأنواع هي:

1 - الاستشراق اليهودي

وهذا النَّوع نشأ مع البواكير الأولى للاستشراق الغربي، وكان يَهدف إلى

غايــة عقديــة واضحة، بدليل اســتخدام منهج التأثير والتأثُّــر، ومن ثَمَّ كان أربــاب هذا النَّوع من الاســتشراق يُحاولون البحث عن أوجه التَّشــابُه بين القرآن أو الإســلام عامــة واليهودية، فزعمــوا اقتباس القرآن مــن اليهودية، وقــد عوَّلوا كثيرًا عــلى موضوعات القَصص القرآني. ومــن أئمّة هذا النَّوع من الاستشراق المســتشرقُ اليهودي (إبراهام جايجر)، الذي كرَّس جهودَه الاستشراقية لمُحاوَلة النَّيل من القرآن الكريم والإسلام كدين وعقيدة.

2 - الاستشراق الصهيوني

وهذا النَّوع نشــأ لتحقيق المَطامــع الصهيونية في امتلاك الأرض، ولتحقيق السَّيطرة على العالم، وإقامة مملكة كونيّة يكون فيها اليَهود هم السّادة، وما دُونَهم العبيد؛ تَحقيقًا لنبوءتهم المَزعومة بأنَّهم شعبُ الله المختار[1].

ومن ثَمَّ فقد كان وسيلةَ تحكُّم وسيطرة على العالم علميًّا وثقافيًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا. وهذا الاستشراق يَهدف إلى ترسيخ فكرتَينِ أساسيَّتَينِ بجوار أفكار أخرى فرعية، وهما: أنَّ الشــعب اليهودي هو شعب الله المختار، ومحاولة شرعنة الوجود اليهودي الإسرائيلي في فلسطين. وفي ضوء هاتين الفكرتين يَجوب الاســتشراق الصهيوني، إعلاميًّا وسياســيًّا وثقافيًّــا واقتصاديًّا. ومن خلال هذه الأدوات اســتطاعَت الصهيونية فرضَ هاتَينِ الفِكرتَينِ وغيرهما على الفِكر الغربي[2].

1 - انظــر: محمــد عبــد العظيم المطعنــي: أوروبا في مواجهة الإســلام - الوســائل والأهداف، ص113.

2 - انظر: أنور الجندي: "عالم الإسلام المعاصر"، ص318.

وقد وقف بعضُ الدّارسين على حقيقة الاستشراق والمَشروع الصهيوني[1]، ذاهبينَ إلى أنَّ الصهيونية استفادَت من الاستعمار الغربي للشَّرق، كما استفادَت من الاستشراق الغربي ذاته. علمًا بأنَّ هناك العديد من أعلام الدَّعوة إلى الصهيونية من المستشرقين، وقد حصرهم بعض الدارسين في (سالمون مونك - Salomon Munk) و(جولدزيهر) وغيرهما[2].

ولعلَّ أبرز مثال على الاستشراق الصهيوني المُستشرق المعاصر (برنارد لويس)، الذي كرَّسَ حياتَه لخدمة اليهود والصهيونية، وكان لإنتاجه وأبحاثه الاستشراقية أثرُها في تغيير دفّة السياسة الأمريكية، وربمَّا العالمية، إلى كراهية العرب والانتصار لليهود في فلسطين، وما السياسات التي تتَّخذها أمريكا ضدَّ العرب وقضاياه إلا نتيجة لهذه الأبحاث التي قام بها هذا المستشرق الصهيوني. فكتاباته، كما يُؤكِّد بعضُ الباحثين، تتَّسم بالعنصرية، وأحكامه تلفيقية، فضلاً عن كونه لا يجد حرجًا في الدِّفاع عن الصهيونية علنًا، وتقديم المبررات لها، "وهنا تكمن خطورتُه؛ حيث له من التأثير ما لا يَخفى على طلابه، وعلى الآراء الاستشراقية المعاصرة بشكل عامّ"[3].

3 - الاستشراق الإسرائيلي

يُمكن القول إنَّ الاستشراق الإسرائيلي حركةٌ علمية إسرائيلية، على أساس

1 - انظر: إبراهيم عبد الكريم: الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل.

2 - انظر: كمال البكاري: عرض ومراجعة - الاستشراق والمشروع الصهيوني، ص.ص. 355 - 356.

3 - محمد جلاء إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، ص92.

من اللُّغة العبرية، يَقوم بها مستشرقون يَحملون الجنسية الإسرائيلية، خدمةً لأهداف عقدية وسياسية ومعرفية، تُكرِّس للاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية ماديًّا ومعنويًّا، تَحقيقًا لدعوى شعب الله المختار.

ومن ثَمَّ فإنَّنا نستطيع أن نقف عند بعض أعلام هذا الاستشراق، الذين ينطبق عليهم التعريف السابق، من أمثال: (شالوم زاوي)، و(أوري وربين)، و(مائير بر أشير - Meir M. Bar-Asher)، وغيرهم من المستشرقين.

وبالنَّظر إلى طبيعة هذا الاستشراق، وما يَقودنا إليه تَعريفُه، نتأكَّد يَقينًا أنَّه استشراقٌ عقدي، تَبدو واجهتُه سياسيةً من الدَّرجة الأولى؛ وذلك لأنَّه وُلد ونشأ في وسط كيان غاصب محتلٍّ للأراضي العربية في فلسطين. ومن ثَمَّ كان من الطبيعي أن تكون كلُّ جهوده في خدمة هذا الكيان المتعصِّب.

"فإسرائيل تقع في تشكيل إقليمي عربي، وتَعيش حالةً من الصِّراع مع الدول العربية المجاورة، وهذا الواقع دفعها إلى الوقوف على مكامن القوة والضَّعف في الجانب العربي، لوضع استرتيجيّتِها في كيفية إدارة الصِّراع، علاوةً على إلحاح الاعتبارات الميدانية، كالمُواجهات والحرب النَّفسية والمعارك العسكرية والحيثيّات المُتعلِّقة بالواقع السُّكاني في فلسطين"[1].

ومن ثَمَّ نَفهم طبيعةَ الاستشراق الذي يُدافع عن هذا الكيان، وطبيعة الأهداف أو الغايات التي يَسعى إليها.

ومن ثَمَّ فمن الخطأ النَّظر إلى الاستشراق الإسرائيلي على أنه يُمثِّل جهودًا فرديّةً، لأنَّه لا يَنطلق من ذلك، ولكنَّه يَنطلق من جهود مُؤسَّسيّة عبارة عن

1 - محمد جلاء إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، ص94.

مراكز بَحثيّة ومعاهد استشراقيّة، نشأت في الأساس لتقديم خدمات سياسية واقتصادية ومعرفية وعقدية للكيان المحتل. وإنْ كان هذا لا يمَنع من وجود بعض الجهود الفردية هنا أو هناك، لكنَّها على كلِّ حال لا تَخرج عن أهداف الإطار العامِّ للاستشراق الإسرائيلي.

الفصل الأوّل:
نقد مناهج الاستشراق اليهودي المعاصر

لا شـكَّ في أن المُسـتشرقين اليهـود المعاصريـن اعتمـدوا كغيرهـم مـن المستشرقين الغربيين على مجموعة من المناهج، التي تناولوا بها الدِّراسات والعلوم الإسـلامية عامّةً، وتناولوا بها النَّصَّ القـرآني خاصّةً، وهذه المناهج مُتعـدِّدة، ولا تَقِـفُ عند منهـج واحد بعَينـه، وتَختلف المناهـج باختلاف الأشـخاص، بـل باختلاف طبيعة القضيـة ذاتها، ويَجب الانتبـاه إلى أنَّه مع ضرورة التَّسـليم بأهمية اتِّباع منهج ما في أي دراسـة من الدراسات، فإنَّه من الخطورة بمكان أن نظنَّ بأنَّ منهجًا بعينه يَصلح لدراسة الظَّواهر المُختلفة، إنَّ هذا المنهج فقط قد يُفيدنا في دراسـة ظاهرة مُحدَّدة أو موضوعٍ بعَينِه في بيئة مُعيَّنـة، لكنَّ المنهجَ ذاتَه قد يأتي بنتائج خاطئة إذا ما طُبِّق على موضوع آخر مشابه في بيئة أخرى[1]. ويَجب الانتباه إلى أن الدَّوافع المُسبَقة، القائمة على التعصُّـب أو محاولة الانتصار لكلِّ ما هـو يَهودي أو غربي، لن تُجدِيَ معَها هـذه المناهج نفعًا، حيث إنَّ التعصُّـب أو الاعتماد على الأهواء يَقضي على الصبغة العلمية لأي دراسة كانَت، وهذا ما وجدناه في الاستشراق المعاصر، ومن قبله الاسـتشراق القديم سواء بسـواء. وهذا ما يُفسِّر الكثير من القضايا اللاعلميّة في كتابات المسـتشرقين، إذ نجد غالبيّةَ المستشرقين يأتون بكلام غريبٍ لا يَمتُّ للعِلميّة بصِلة، والسـبب في ذلك خضوعهم للتعصُّب، وهذا ما نجده بوضوح على سبيل المثال لا الحصر في مجال القَصص القرآني.

ويُمكننـا عَـرضُ مناهج الاسـتشراق اليهودي المعاصر في دراسـة النص القرآني والعلوم والقضايا الإسلامية، على النحو:

1 - محمد جلاء إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، ص 38.

أولًا: نقد المَنهج الشكي

المنهج الشـكيِّ أو التَّشكيكي هو المَنهج الأمُّ الذي تَعود إليه كلُّ المناهج التي درسَـت النَّصَّ القرآنيَّ خاصةً والعلومَ الإسـلامية عامّةً، فما من مَنهج منهـا إلا كان لـه فيه بصمةٌ، وكان له فيه أثرٌ، فالمنهج الشـكيِّ في ظنِّنا هو مَصـبُّ هذه المَناهج كلِّهـا، فالمَنهج التاريخيُّ تنـاوَل النصَّ القرآني، ولا سـيَّما القَصص القـرآني، في قالب شـكيِّ، وكذلك منهج التأثـير والتأثُّر، والمقابلـة والمطابقة، والمَنهج الإسـقاطي، والمَنهـج التَّحليلي، فحيثُما اعتمدَ المُستشرق منهجًا من المناهج كان معَه المنهج الشكيِّ أداةً رئيسة.

ويُعدُّ من أئمة هذا المنهج في الاستشراق اليهودي المعاصر كلٌّ من (أوري روبـين) و(شـالوم زاوي)، فهذان المُسـتشرقان اتَّبعا منهجًا تشـكيكيًّا في الحديـث عن مصدر النَّص القرآني، وخاصـة في مجال القَصص القرآني، وراحـا يَبثّـان سـمَّهُما في الإنتـاج والمُؤلَّفـات التي خرجَـت من تحت عباءتهما.

وقد انطلق المستشرقون اليهود المعاصرون في دراستهم للنَّص القرآني من منهج ديكارتي واضح، قائم على الشـكِّ تَطبيقًا لمقولة ديكارت: أنا أشكُّ إذن أنا موجود. فشـكَّكوا في القرآن وعلومه وقضاياه ومضمونه وفقَ منهج الشـكِّ الدِّيكارتي، وكانت أغلبُ دراساتهم تَنطلق من هذا المُنطلق، وهو المنهج الذي أخذ به المسـتشرقون المعاصرون. لكـنْ من المهمِّ أن نُؤكِّد على أنَّ الشـكَّ في حدِّ ذاته لبناء نسـق مَعرفي أمرٌ لا غُبار عليه، أما الشكُّ مـن أجل التَّشـكيك وتمرير بعض الأفـكار والأيديولوجيـات فهنا تكمن الإشكالية والعوار.

فهُناك من شـكَّك بناء عـلى هذا المنهج في النص القرآني من الأسـاس، وهناك من شـكَّك في مصدريته الإلهيّة، مُدَّعين أنَّه من صنع نبيِّنا الكريم، وهناكَ مَن زعم اعتمادًا على شكِّه أنَّه تقليد ومحاكاة للنَّص التوراتي. وتُعدُّ مواقفُهـم من القصص القرآنيِّ نموذجًا من إفرازات هذا المنهج، الذي كان هدفُ أصحابه من دراسة النص القرآني مجرَّدَ الشَّك، ولا شيء غيره، وهذا الرَّأي سـار عليه بعضُ المسـتشرقين الأوائل. بيدَ أنَّه يجب التأكيد على أن المسـتشرقين كانوا يمُارسون نوعًا من التمسُّك بعقيدتهم التي يُؤمنون بها، وهم بصَدد نقد النَّص القرآني، أو بصدد أيِّ قضية أخرى.

ولا شكَّ في أنَّ القصص القرآني كان هدفًا أساسيًّا من أهداف المُستشرقين؛ حيـثُ أعمَلوا فيه المنهجَ الشـكيِّ حتـى يَصلوا إلى أغراضهـم وغاياتهم التي حدَّدوها سـلفًا، وهذا يُفسِّر لنا لماذا كان المسـتشرقون يَرتكزون في دراسـاتهم على هذا المنهج، فهو يَكفل لهم حسـب رؤيتهم التَّشكيكَ في كلِّ شيء، حيـث إنَّ الشـكَّ في قضيـة قرآنية يَقود عندهم إلى الشـكِّ في أخرى، بل يَقود إلى الشـكِّ في الأصل، ومن ثم استندوا إلى التَّشكيك في القصص القرآني ونقدِه؛ لأنَّه يقود إلى التَّشـكيك في القرآن ذاته، ولا سيَّما في مصدرية القَصص القرآني خاصّةً، والدين الإسلامي عامّةً.

ويدَّعـي كثيرٌ من المسـتشرقين أن القَصـص القرآني هو تقليـدٌ للقصص الموجود في الأديان السـماوية السـابقة على الإسلام، مُحاولين التَّشكيك في أصالـة القرآن من جانب، ومُتغافلين عن أنَّ الكتبَ السـماوية مصدرُها واحد.

ويُعدُّ الاسـتشراق الإسرائيلي المعاصر من أكثر أنواع الاستشراق المعاصر

استلهامًا لهذه الفكرة وإيمانًا بها، وربمَّا يَرجع السَّبب في ذلك إلى البحث عـما يُعضِّدُ مَوقفَ هذا الكيان بشـتَّى الطُّرق، حتى لـو كانت إحدى هذه الطـرق البحثَ في القـرآن وإقحام النصوص، للعثـور على علاقة من نوع مـا بين الإسـلام واليهودية، بَحثًـا عن مخرج تاريخي لأزمـة الوجود التي يُعانونها على أرض مغتصبة.

ويُعدُّ المسـتشرق (أوري روبين)[1] أوضـحَ مثال على هذا الأمر، حيث قام بترجمـة معاني القرآن الكريم إلى العِبرية، وترجمتُه ليسـت مجرَّدَ ترجمة، بل كانت نقدًا لموضوعـات قرآنية في كثير من جوانبها، ومنها محاولته ردَّ القَصص القرآني إلى مصادر يهودية ومسـيحية ووثنية. وتُعدُّ هذه الترجمة ذات أهمية كونها تحتوي عـلى كثير من التَّعليقات والهوامش، إضافةً إلى مُلحقَينِ؛ تحتـوي جميعها على نقد وتعليقات على معظم الآيات القرآنية، فقد شـملَت جميعَ سور القرآن عدا سـورتين فقط هما: الضحى والعصر، وبلـغ عـدد صفحاتها 543 صفحة، ومـن ثمَّ فهو يُمثِّل مُجلَّـدًا عن القرآن الكريـم يَحتوي على ترجمة لمعانيه إلى العِبرية، ونقد لآياته من وجهة نظر استشراقية إسرائيلية من خلال التَّعليقات الهامشية على الآيات القرآنية[2].

لم تكـن ترجمـة (أوري روبـين) إذن مجـرَّدَ ترجمة عاديـة؛ لأنَّ الترجمة

---

1 - مسـتشرق معـاصر، ولـد في 1944م، يبلغ من العمر 76 عامًا، أسـتاذ في قسـم الدراسـات العربية والإسلامية بجامعة تل أبيب، له بعض الدراسات القرآنية التي يَميل فيها إلى نظرة تعصُّبية للمَذهبَينِ العقدي والسياسي.

2 - أحمـد صلاح أحمد البهنَسي: التعليقات والهوامش لترجمة أوري روبين العبرية لمعاني القرآن الكريم، ص 5.

الحقيقيــة تَقف عند حــدود نقل النصِّ من لغة إلى أخــرى، دون أن تكون مُحمَّلةً بأفكار ومعتقدات وأيديولوجيات المُترجِم، أمّا وقد حمَّل (روبين) ترجمتَه أفــكارَه ومعتقداته وأيديولوجيته فإنَّه انتقل مــن كونه مُترجِمًا أمينًا إلى كونه مُترجِمًا مُتحيِّزًا، وهنا تكمن الإشــكالية؛ لأن القارئ سوف يَشغله ويُثــير انتباهَه تلــك التَّعليقــات والهوامش، ومن ثَمَّ تتحكَّــم في رأيه وفي المَوقــف الذي يتَّخذه من القرآن. ومن ثَمَّ انتقلَت التَّرجمة بذلك من كونها وســيلةً للتواصل مع الآخر وبناء جســور ثقافية معه، إلى علاقةٍ من العَداء التي اصطنعَتْها هذه الأقلام المُؤدلَجة.

وقــد كانَت هذه التَّرجمة غريبةً وغير معهــودة[1]، حيث جمعَت بين كونها تعليقات تفسيرية تُقدِّم لنا مَرئيّاتِ المُترجِم، وكونها تعليقات شارحة مُكمِّلة للتَّرجمــة عمدَ مــن خلالها إلى شرح عدد مــن الألفاظ والآيــات القرآنية والتَّعليق عليها، حيث قدَّم روبين من خلال هذه التعليقات والهوامش عددًا مــن الفرضيات حول الآيات القرآنية، التــي كان محورها الرئيس ردّ الآيات القرآنيــة إلى مصادر خارجية غير أصيلة، هي المصادر اليهودية والنصرانية والوثنية، وهي الفرضية الأساســية المُتعلِّقــة بمصدرية القرآن الكريم، وقد

1 - يمكن تســمية ترجمة روبين بأنها ترجمة موجهــة، بمعنى أن هدفها تمرير بعض القضايــا المتعلقة بمحاولة الزعم باقتبــاس القرآن من التوراة في قصصه القرآني وغيره، في حين هناك ترجمات يمكن أن نسميها ترجمات مبسطة هدفها الوقوف عند الترجمة دون تدخل برأي هنا أو هناك، ومن هذه الترجمات:

The Quran Translated To English, Published By Clear Quran, Dallas, Beirut, 2000.

ضمَّ إليها فرضيّاتٍ أُخرى تتعلَّق بإسقاط روبين لمفاهيم سياسية وفكرية مُعيَّنة على الآياتِ القرآنية، تَخدم أيديولوجيته الاستشراقية الإسرائيلية[1].

ومن ثَمَّ نَفهم من ذلك أن أصحاب المنهج الشكيِّ يدَّعون العلمية والموضوعية في دراستهم للقَصص القرآني، على الرَّغم من أن آراءهم التي قصدوا بها النيل من الإسلام تَفتقر لأيِّ أدلة علمية، مع التَّشكيك الواضح في أصالتها، والتَّجاهُل التامِّ لمِصداقيتها، مع إنكار واضح لاختلافات جوهرية بين النصِّ القرآني وغيره من النصوص التي وردَت في المصادر السابقة.

ثانيًا: نقد منهج التأثير والتأثُّر

هذا المَنهج يقوم بالأساس على نَفي الأصالة عن النصِّ القرآني، خاصةً فيما يتعلَّق بالقَصص الواردِ فيه، والزَّعم بأنَّه نتيجة التأثُّر بالكتب السابقة: يهودية ومسيحية، وقد استخدم المستشرقون هذا المنهج في كلِّ ما يتعلَّق بالنَّص القرآني، ليس هذا فحسب، بل أكثروا من الدراسات عن الوحي الإلهي والحديث النبوي والعلوم الإسلامية، مُحاولين تناوُلَها على أنَّها إمّا مُقتبَسة من اليهودية، وإمّا أنَّها مُجرَّد تَقليد ومحاكاة للغرب، وهذا دأب الاستشراق اليهودي المعاصر.

وهذا المنهج يُعدُّ من المناهج الشائعة في دراسة النصِّ القرآني من قبل المستشرقين، سواء في الاستشراق اليهودي المعاصر أو في الاستشراق

1 - أحمد صلاح أحمد البهنسي: التعليقات والهوامش لترجمة أوري روبين العبرية لمعاني القرآن الكريم - دراسة نقدية، ص5.

الغربي، لكنَّهم لم يَستخدموه الاستخدام العلمي؛ إذ لو استخدموه استخدامًا علميًّا لانتهَوا إلى نتائج مُغايرة لتلك النتائج المَزعومة التي انتهَوا إليها؛ وما ذلك إلا لأنهم انتهجوا مَنهجَ التعصُّب، بدليل أنَّهم كانوا يَستندون إلى مجرَّد ذِكر القصة في القرآن للزَّعم بأنَّها تمُثِّل تأثُّرًا بما ورد في التوراة مثلاً، دون دراسة حقيقية لمضامين القصة هنا وهناك، وحتَّى مع التزام بعضهم بضوابط منهج التأثير والتأثُّر، إلا أنَّ الأمر أيضًا لم يَخلُ من التعصُّب.

نحن لا نُنكر أن الاستشراق المعاصر يَقتفي أثرَ الاستشراق القديم في البحث التاريخي، بهدف إظهار النصِّ القرآني في صورة مُشوَّهة، وفي سياقات مُغايرة، بحيثُ يَظهر بصورة المُقتبِس من الأديان الأُخرى، أو بصورة المُشوِّه لما جاء في التَّوراة والإنجيل.

وقد عوَّلَ الاستشراق الكلاسيكي والمعاصر على منهج التأثير والتأثُّر في قراءاتهم الاستشراقية للقرآن، وخاصة في القضية التي نَتناولها في هذه الدراسة، قضية القَصص القرآني، كما اعتمدوا على مَنهج مُشابه بعض الشيء، وهو منهج المقابلة والمطابقة، إضافةً إلى مناهج أخرى سنعرضها في السطور القادمة، وأرى أنَّ منهج المُقابلة والمطابقة يَصف بصدق موقفَ الاستشراق من القَصص القرآني، لسبب واضح، وهو أن مَنهج المستشرقين يَقوم على محاولة إثبات شيءٍ واحد، وهو تأثُّر القرآن بالتوراة والإنجيل واقتباسه منهما، وهذا يَعني أن القرآن في مرحلة تأثَّر بهما على هذا الزَّعم، دون أن يكون له تأثير فيهما من أي جانب استكمالاً لفهم هؤلاء المستشرقين، أما منهج المقابلة والمطابقة فيَقوم على أمرين: مقابلة نصوص القَصص القرآني بنصوص التَّوراة والإنجيل، ومطابقته

بهـما؛ مُحاولـين أن يَنتهوا مـن هذه المُقابلـة وتلك المُطابقـة إلى الزَّعم باقتبـاس القرآن الكريم من التَّوراة أو الإنجيل أو الاثنين معًا، وهذا المَنهج هو ما يكشـف عـن العقلية التعصُّبيـة التي تَحكم عمل المسـتشرقين في حقل الدراسـات الإسلامية، وخاصة في الدراسـات القرآنية، وتحديدًا في القَصص القرآني.

ومـن ثَـمَّ فإنَّه بنـاء على منهـج التأثـير والتأثُّـر، وكذلك منهـج المقابلة والمطابقـة، فقد انطلق المسـتشرقون اليهود المعاصرون، متَّبعين في ذلك سابقيهم من زعماء الاسـتشراق القديم الغربي واليهودي، إلى الادِّعاء بأنَّ القصـص القرآني مأخوذٌ من الديانة اليهودية؛ وذلك نظرًا للتَّشـابه بين هذا القَصـص العظيم ومـا وردَ من قَصـص في الديانة اليهوديـة، وهذا منهج النَّصـارى أيضًا، متأثرين في ذلك بتلك المناهج التي اصطنعوها لمحاولة نقد الإسلام ونقضه، وإظهاره في صورة بشرية، بدعوى أن القرآن "من إنتاج محمد"، وليس صادرًا عن الوحي الإلهي.

ومـن ثَمَّ يَذهب أحدُ الباحثين إلى أن هذا المنهج -أي منهج التأثير والتأثُّر الذي تُبنى عليه معظم الفرضيات الاستشراقية- يَستند على فرضية أساسية، مُؤدّاهـا أنَّ النصَّ القرآني هو اقتباس مُحمَّـديٌّ من كتب اليَهود والنَّصارى المُقدَّسة، وهي فرضيّةٌ مَصدرُها -كما يقول الباحث- أيديولوجيا استشراقية نابعة من أفكار إمبريالية استعمارية[1].

فالاسـتشراق بوصفِه جناحًا علميًّا لذلك الاستعمار عمدَ إلى تطوير فرضية

1 - أحمد البهنسي: الاستشراق والاستشراق الإسرائيلي (2/1). (حوار منشور).

أنَّ الإسـلام المنتـشر في الشرق ومصـادره الدينية الرئيسـة ليس مصدرها الوحـي، أو حتى نتاج ظروف فكرية وحضارية أصيلة في المنطقة العربية، بل هو اقتباس وانتحال أو حتى هرطقة يهودية ونصرانية كان سببها محاولة نبيِّ الإسـلام التشـبُّه بأهل الكتاب أو تقاليدهم، أو على الأقل اسـتمالتهم لـه في بداية دعوته، وقد وجد الاسـتشراقُ في ذلك التشـابُه بين القَصص القـرآني وبعض قصـص العَهدين القديـم والجديد أفضلَ دليـل وذَريعة للتَّدليـل على هذه الفرضية القائلة بـأنَّ القرآن ما هو إلا تَلفيق من العهدين القديم والجديد[1].

وهذا ما تكشف عنه الدِّراساتُ الاستشراقية الإسرائيلية المعاصرة، كامتداد طبيعيٍّ للدراسـات اليَهودية عامّةً، وما سـبقَها من الدِّراسات الاستشراقية الغربيـة التـي نحَت هـذا المَنحى. لكـنَّ الأمر يَعود من جديد في سـياق الاسـتشراق الإسرائيلي تَحقيقًا لأهداف أكثر من كونها دينية، وهي أسباب سياسية مَعنيّةٌ بمحاولة تحقيق الوجود والشرعية على الأراضي المغتصبة.

إنَّهـم يَعمدون إلى القـول بأنَّ البيئـة المحيطة بالنَّبي الكريـم كانت ذات تأثـير عليه وعلى مـا وردَ في القرآن الكريم، بحُجّـة أن بعضًا من القصص القرآني أخـذه النبيُّ الكريم من الوفود التي كانـت تأتي للحج إلى الكعبة قبـل الإسـلام، كما يَعمـدون إلى الحكم على كلِّ قصـة وردت في القرآن بأنَّهـا مأخوذة مـن بعض البيئات العربيـة، التي كانَت على درايـة بالتَّوراة والإنجيل وما ورد فيهما من قَصص. وهذا المنهج ظهر في أغلب المدارس

1 - أحمد البهنسي: الاستشراق والاستشراق الإسرائيلي (2/1). (حوار منشور).

الاستشراقية القديمة التي اهتمَّت بدراسة القرآن، ويظهر في الاستشراق المعاصر جليًّا، فالاستشراق الإسرائيلي بما يضمُّه من مستشرقين معاصرين -على سبيل المثال- اهتمَّ بهذا المنهج، وإن كان قد مزجَ بينَه وبين منهج المقابلة والمطابقة، كما نجده عند أوري روبين وغيره.

هذا المنهج نجده في الاستشراق الكلاسيكي القديم، فالمستشرق (هاملتون جب - Hamilton Gibb)[1] في كتابه المذهب المُحمَّديّ أشار إلى شيء من هذا، عندما ردَّ الإسلام في عمومه إلى الظُّروف المحيطة والعقائدية التي كانت سائدة في تلك المدّة، ذاهبًا إلى أن كلَّ هذا الذي شكَّل شخصيةَ محمد، وكان له تأثيره القويُّ في النصوص القرآنية[2]، وعلى رأسها القَصص القرآني بالطبع. كذلك نجد هذا المنهج عند المستشرق (جولدتسهير)، فقد اعتمد على منهج التأثير والتأثُّر في دراساته التي قام بها، حيث يقول: "فتبشيرُ النبيِّ العربي ليس إلا مزيجًا مُنتخَبًا من معارف وآراء دينيّة عرفَها بفضل اتِّصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثَّر بها تأثُّرًا عميقًا، والتي رآها بأنَّها جديرة بأنْ تُوقِظَ في بني وطنِه عاطفةً دينية صادقة، وهذه التَّعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في وجدانه ضرورةً لإقرار لون من الحياة في اتِّجاه يريده الله"[3].

وهو لا يَقصد بالتَّعاليم هنا الأوامرَ فقط -وإنْ كان هذا غيرَ صحيح البتّةَ-

1 - مستشرق بريطاني (1895 - 1971م)، له إسهامات عديدة في مجال العقيدة والحضارة والتاريخ الإسلامي.

2 - انظر: محمد كامل عياد: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج4، مج44، ص794.

3 - جولدزيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، ص12.

بل يَقصد بالتَّعاليم الإسلامَ ككلٍّ بما يَشمله من قَصص قرآني وغيره، إذ يُرجِعُ هذا المستشرقُ كلَّ شيء إلى تأثُّر النبيِّ الكريم باليهودية والمسيحية، فكلُّ ما يَنطوي عليه الإسلام إذنْ هو في نظر هذا المستشرق نتيجةُ التأثُّر بالعقائد السَّماوية السابقة على الإسلام، والإسلام في نظره ليس له من فضلٍ إلا محاكاة وتقليد ما جاء فيها من تعاليم.

إنَّ تطبيق منهج التأثير والتأثُّر من قِبَلِ المُستشرقين اليهود المعاصرين، والمُستشرقين عامّةً على النَّص القرآني -وخاصةً موضوع القَصص القرآني- عليه بعضُ الملاحظات النَّقدية، وهذا بدوره أدَّى إلى فساد النَّتائج التي تمخَّض عنها؛ لأنَّ المنهج السليم من ناحية التطبيق يأتي بنتائج حقيقية، على حين يأتي الخطأ في تطبيقه بنتائج عكسيّة لا تمتُّ إلى الحقيقة بصِلة.

وأوَّل هذه الملاحظات أنَّه اعتمد في إثبات علاقة التأثير والتأثُّر على مجرَّد التَّشابه الظّاهري بين النصوص المُتعلِّقة بالقَصص القرآني دون محاولة فهم المضمون الذي يحتوي عليه، لأنَّ اهتمامَه بالمضمون كان سيكشف الكثيرَ من مواطن الاختلاف بين القَصص القرآني مثلاً وغيره من القَصص التَّوراتي والإنجيلي. والمستشرقون استخدموا هذا المنهج استخدامًا هامشيًّا، عُني بالقشور دون الجَوهر، وبالشَّكل دونَ المَضمون، ولذا كانت نتائجه كارثية من الناحية العلمية والمنهجية.

وثاني هذه الملاحظات هي المُتعلِّقة بجوانب التأثير والتأثُّر، إذ يُثبَت التأثير والتأثُّر بجانبين: جانب النَّقد الخارجي للنصَّ، وجانب النَّقد الدَّاخلي، والأوَّل يَهتمُّ بالجوِّ المُحيط بالنصِّ من بيئة وغيرها، والثاني مُتعلِّقٌ بمضمون النصِّ وجَوّانيّته. وفي الجانب الأوَّل كان من المفترض أن يُبيِّن المستشرقون

المراحـلَ أو الحلقـات التي مرَّ بها القَصصُ حتى وصل إلى سـيدنا محمد كما يَزعمون، والنَّظـر إليها على أنَّ كلَّ مرحلة أو حلقة تُكمل المرحلة التي قبلَها، وكأنَّها جميعًا سلسلة متَّصلة، لكنَّهم لم يفعلوا، وآثروا النَّظر إلى بعض الحلقات المُتناثرة مُنفصلةَ العُرى، وبنَوا عليها منهجَهم في التأثير والتأثُّر.

وفي الجانـب الثاني المُتعلِّق بالنَّقـد الدّاخلي للنصِّ، لإثبات علاقة التأثير والتأثُّـر، لم نجد علاقةَ تأثُّر حقيقيّة للقَصص القـرآني بنظيره في التَّوراة أو الإنجيل، إلا مـا يُعدُّ منها مُتوافقًا باعتبار وحدويّـة المَصدر، بل بالأحرى هنـاك اختلافـات كبـيرة بين مضامـين نصـوص القَصص القـرآني وبين مضامين نصوص القَصص التَّوراتي، والمُتأمِّل في قِصص الأنبياء كسـيدنا آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من الأنبياء يَجد كمَّ الاختلافات كبيرة جدًّا بصورة يَستطيع أن يَحكم معها القارئ بسهولةٍ أنَّه ليس هناك ما يُسمَّى بالتأثير والتأثُّر الذي زَعمه المستشرقون في القَصص القرآني.

وهذا ما يَظهر عند (أوري روبين) الذي يحاول أنْ يُرجِعَ بعضَ النُّصوص القرآنية، وعلى رأسها النُّصوص المتعلِّقة بالقَصص القرآني إلى مصادر يهودية ومسيحية، كما فعل مثلاً مع الآيات التي تتحدَّث عن بَدْء الخلق، حيث "علَّق روبين على الآية 35 من سورة البقرة ﴿**وقُلنا يا آدَمُ اسكُنْ أنتَ وزَوجُكَ الجَنّةَ وكُلا منها رَغَدًا حيثُ شِئتُما ولا تَقرَبا هذهِ الشَّجرةَ فتَكونا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ برَدِّها إلى قِصة الخلق الواردة في سفر التكوين 17/1....."[1].

1 - أحمد البهنسي: الاستشراق والاستشراق الإسرائيلي (2/1). (حوار منشور)، ص5.

لكنَّ (روبين) -ومَن سار على دَربه- يتغافل عن شيء مهمٍّ، وهو أنَّ المصدر الإلهي لهذا القَصص واحد، ومن ثَمَّ كان من الطَّبيعي أن يَتشابَهَ في بعض أجزائه بين القرآن والتَّوراة، فهذا دليلٌ على وحدة المَصدر الذي صدرَ منه هذا القَصص، وهو الله تعالى، بل إنَّ هناك شيئًا آخر لم يَتنبَّه إليه روبين -أو لعلَّه تعمَّد تغافُلَه- وهو أنَّ القَصص القرآني مختلفٌ في كثير من جُزئيّاته مع القَصص التَّوراتي أو غيره، بدليل قِصّة بَدء الخلق ذاتها التي يردُّها روبين إلى سفر التكوين، فهناك اختلافاتٌ كثيرة بين الرِّوايتَين: اليهودية والإسلامية، منها الاختلاف في خَلْق حواء هل بعدَ دخولها الجنة أم قبل دخولها الجنة؟ الرَّأي الأول يقول به سفر التكوين/ 2، على حين أنَّ القرآن يُؤكِّد على خَلقها قبلَ دخول آدَمَ الجنّة لقوله تعالى: ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ...**﴾ [البقرة: 35]، وفيما يتعلَّق بقضية سبب الأكل من الشجرة، والخروج من الجنة، فإنَّ هناك اختلافًا أيضًا، فإنَّ سفر التكوين/ 3 يُشير إلى أنَّ الحيّةَ هي التي أغوَت حوّاءَ للأكل من الشجرة، وحواءُ هي التي أغوَت آدم، فخرجا من الجنة، في حين يُرجعُ القُرآنُ ذلك إلى غواية الشيطان، لقول الله تعالى: ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى ¤ فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى**﴾ [طه: 120، 121]، وهذا يَعني أنَّ القرآن لا يُلقي باللَّوم على حوّاء كما جاء في التَّوراة، وإنَّما يُلقي باللَّوم على آدَمَ عليه السلام.

قصّةُ الخَلق التي تعلَّلَ بها روبين لإثبات اقتباس القرآن من التوراة في سفر التكوين خاصةً هي التي تَقضي على محاولته أو فرضيّتِه هذه من

الأساس، ذلك أنَّ كمية الاختلاف في التفاصيل بين الرِّوايتَين تَنسف رأيَ روبين من أساسِه، نعم إنَّ القرآن والتَّوراة يَشتركان في أنَّ الخَلقَ استغرقَ ستّةَ أيّام، لكن الاختلاف يَكمن في أنَّ التَّوراة تزعم أن الله تعالى -وحاشاه- استراحَ في اليوم السابع كما جاء في سفر التكوين من الإصحاحَين الثاني والثالث، على حين يَنفي القرآن أن يكون الله تعالى قد استراح أو مسَّه تعبٌ أو نَصَبٌ، بدليل قوله تعالى: ﴿**... لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ...**﴾ [البقرة: 255]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ**﴾ [ق: 38].

ومن خلال هذا الاختلاف الجوهريِّ يَتبيَّن لنا أنَّ هناك روايةً لا تُنزِّهُ الإلهَ، وهي الرواية التوراتية، ورواية تُنزِّه اللهَ تعالى عن التشبُّه بالبشر، فتَنفي عنه فعلَ الرّاحة أو الاستراحة، وهي الرِّواية القرآنية، ألا يُثبتُ هذا التَّنزيهُ أنَّ القَصصَ القرآنيَّ لا يَقتبس من القَصص التوراتي؟! وهل جاء سيدنا محمّدٌ بهذا التَّنزيه من عنده؟ أم هو من لَدُنْ حكيم خبير؟ ومن جانب آخر فإنَّ هذا التَّنزيه الذي تَقوم عليه الرِّواية القرآنية يَنبغي أن يُتَّخَذَ دليلاً على استقلاليّتها عن الاقتباس من الرِّواية التوراتية، وهنا نتساءل ألمْ يكن الأجدى بروبين وغيره أن يَتنبَّه إلى هذا الاختلاف الجوهري؟ ولو كان ممَّن يَحفظون للعلم هيبتَه وللأديان قيمتَها لاتَّجه بكلِّيّته إلى التَّنزيه الذي جاءت به الرِّواية القرآنية، إلا أنَّه لم يفعل، وارتضى لأيديولوجيته أن تقودَه وتُسيِّره.

ومن ثمَّ يُعدُّ (أوري روبين) من أبرز المستشرقين اليهود المعاصرين الذين ركَّزوا على قضية التأثير اليَهودي والمسيحي في القَصص القرآني، محاولاً

التأثـير في القارئ وتوجيهه إلى فرضية خاطئة تَزعم أن النصَّ القرآني إنتاجٌ بشري، أخذَه النبيُّ محمد من الكتب السـماوية السـابقة، ففي كتابه "بين الكتـاب المُقـدَّس والقـرآن" يُركِّز على هـذه القَضيّة تَحديـدًا، مُتنقِّلاً بين السُّـوَر القرآنية، محاولاً البحثَ عمّا يَشـفع لأفكاره. فهو يتطرَّق إلى أجزاء من قصة سـيدنا موسى، محاولاً التأكيد على هـذا التأثير، فهو يقول مثلاً: "إنَّ الآيات من 22: 26 من سورة المائدة تستند إلى قضية الجواسيس التي عرضها الكتابُ المقدَّس، ففي النسـخة الكتابية -عند عودة الجواسـيس الذيـن أرسـلهم موسى إلى أرض كنعان، مع تقرير عـن الجبابرة في أرض كنعـان[1]- يَفقد بنـو إسرائيل قلبَهم ويأبَون دخولَ هـذه الأرض، ويُعبرِّون عن رغبتهـم في العَودة إلى مصر، فكان عقابُهم الهـلاكَ في البرِّيّة، والتِّيه لمدة أربعين سنة"[2].

ولا يَظهـر هذا المنهج عند (أوري روبين) فقط كممثل للاسـتشراق اليهودي المعاصر في صورته الإسرائيلية، ولكـن يوجد هذا المنهج -كما يُؤكِّد بعضُ الدّارسين- عند المستشرق الإسرائيلي (شالوم زاوي) في كتابه "مصادر يهودية

1 - ومن الباحثين الغربيين من يرى أن أرض كنعان سـماها القرآن الأرض المقدَّسـة، وهذا التعبير -في رأيه- اقتباس من اليهود أو المسـيحيين، تأكيدًا للمَنزع الاسـتشراقي الذي يمَيل كلية إلى تقليد القرآن ومحاكاته للتوراة، انظر:

E. M Wherry, M.A: The Quran Comprising Sal's Translation and Preliminary Discourse, pp 239.

2 - Rubin: Between Bible and Qur'an: The Children of Israel and the Islamic Self-Image, P. 61.

في القرآن" حيثُ استخدم (زاوي) هذا المَنهج في هذا الكتاب في جانبين[1]:

1. تأثير وتأثُّر معنـوي يتعلَّق بالظَّواهر والأفـكار والمُعتقدات: ومن أبـرز أمثلته ما ذكـرَه في مقدمة كتابه أنَّ محمـدًا اقتبس من العَهد القديم والتُّراث الإسرائيلي نصيبَ الأسد من أفكاره، ووجدَ مصدرَ اقتباسـه من الشرائع والقوانـين التَّوراتية التي تأثَّر بها جدًّا، مضيفًا أنـه مـن المحتمل أن يكون ناسـخو كتاب القرآن هـم من اليهود والمسـيحيين الذين اعتنقوا الإسـلامَ، وكان فكرُهم مسـتمِدًّا من التّلمـود والعهدَيـن القديم والجديد وفكر آباء الكنيسـة. وضرب (زاوي) مثـالاً لهذا التأثُّر القـرآني بالعَهد القديم بعناوين السُّـور القرآنيـة التي أشـار إلى أنَّها مأخـوذة من أوَّل كلمة بالسُّـورة تأثُّرًا بمنهج العهد القديم في ذلك.
2. تأثير وتأثُّر لفظي: فقد ردَّ زاوي عددًا من الألفاظ القرآنية إلى ألفاظ عبرية، ولا سيَّما الوارد منها في العهد القديم، ومن أمثلة ذلك رَدُّه لفظة: {سَكينة} القرآنية إلى لفظة (שכינה) العبرية.

لكن يُؤخَذ على (زاوي) أنَّه لا يأخذ في الاعتبار -كغيره من المسـتشرقين- أربعةَ عوامـل مُهمّة، وهي: - العامل الفَضائي (المكاني) - العامل اللُّغوي والثقافي- العامل الزَّمني- عامل الأعاجم الذين اعتنقوا الإسـلام. إِذْ إنَّ من

1 - أحمـد البهنسي، كتاب مصادر يهودية بالقرآن للمسـتشرق شـالوم زاوي، عرض وتقويم على الرابط التالي:
https://tafsir.net/article/5198/ktab-msadr-yhwdyt-balqr-aan-llmstshrq-shalwm-zawy-ard-wtqwym

الطبيعـي أن تَحـدُثَ عمليّة التأثير والتأثُّر، غـير أنَّ العوامل الثلاثة الأولى تعمل لصالح التأثير من جانب الإسـلام في غـيره، والعامل الأخير وحدَه يَطرح إمكانية تأثُّر الإسلام بغيره[1].

و(شالوم زاوي) هنا يُغفِلُ أو يَتغافل كـ (أوري روبين) عن وحدويّة المَصدر الذي صدرَت عنه التَّوراة والقرآن، إذ لو كان مُدركًا لهذه الحقيقة لَعلم أنَّ ما بينهما من تشابُهات في بعض الرِّوايات إنمَّا مردُّه لهذه الوحدوية.

ثالثًا: نقد منهج المقابلة والمطابقة

وهو من المناهج الأكثر شـيوعًا في الاستشراق بنوعيه: القديم والمعاصر، وقد أشرنا إلى شيء من هذا المنهج في الاستشراق الإسرائيلي، خاصّةً عند (أوري روبـين) وغيره من مُتصدِّري الاسـتشراق الإسرائيلي، وهذا المنهج يَقوم على مقابلة النُّصوص بعضها ببعضٍ، ومحاولة مطابقتها؛ لينتهوا منها إلى القول بوجود تَطابق بينَ النُّصوص القرآنية والنُّصوص التَّوراتية إذا كان المستشرق يهوديًّا.

ولا يَخلـو هذا المنهج أيضًا من تعصُّـب أصحابه، لأنَّهم في الوقت الذي يُطبِّقون فيـه هذا المنهج تجدهُم قاصدينَ إثباتَ وجـود تطابُقٍ بينَ النصِّ القُرآني وغيره من النُّصوص في الكتب السـابقة، ولمجرَّد وجودٍ تشابُه هنا

1 - أحمـد البهنسي، كتاب مصادر يهودية بالقرآن للمسـتشرق شـالوم زاوي، عرض وتقويم على الرابط التالي:

https://tafsir.net/article/5198/ktab-msadr-yhwdyt-balqr-aan-llmstshrq-shalwm-zawy-ard-wtqwym

أو هناك يَحكمون على الفور باقتباس القرآن من الكتب السابقة عليه.
وهذا المنهج يقوم بالأساس على مقابلة النُّصوص والمقارنة بينها، محاولاً تحليل هذه النُّصوص إلى مكوِّناتها الرَّئيسة وإرجاعها إلى مصادر أخرى في المرحلة السّابقة عليها، "ويَكمن الخطأ في هذا المنهج من جرّاء فرضيّةٍ علميّة رسخَت في ذهن المُستشرقين طبقًا لأحكام مسبقة، مفادها أنَّ هذه النصوص القرآنية التي يَدرسونها ليست إلا صورةً لما وردَ هنا وهناك قبلَ بعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فكلَّما تطابقَت ملامحُ نصٍّ قرآني مع نصٍّ سابق سارعوا برَدِّ ذلك إلى ثقافة الرَّسول التاريخية، وإلى اطِّلاعه على ما جاء في الكتب السابقة، أما حينَ يُوجَدُ اختلافٌ فلا يَردُّونَ ذلك إلى ما حلَّ بنصوصهم من تغيير وتبديل وتحريف، وإنَّما يُلصِقُون تهمةَ التَّحريف والتَّبديل بالإسلام ذاته"[1].
وإلى هذا المنهج نستطيع أنْ نُرجِع أغلبَ القضايا التي أثاروها عن النصِّ القرآني، سواء ما يتعلَّق منها بقضيّة الاقتباس أو التَّشابه أو دَعوى أسطورة القَصص القرآني، وهذا فيه من المُغالَطة الكثيرُ.
إنَّ الاستشراق الإسرائيلي المعاصر يَسير على هذا المنهج في المقابلة والمطابقة تَحقيقًا لأمرين في ظنِّي: أمر دينيّ وأمر سياسيّ، أما الأمر الدِّيني فمُحاوَلة الزَّعم بأنَّ القَصص القرآني مأخوذ من القَصص اليهودي، حتى يَكسبوا لأنفسهم مصدريّةً دينيّةً تُحقِّق لهم زعامتَهم السامية المَزعومة، وأما الأمر السياسي، فليس بصورة مباشرة، ولكن من محاولة التأكيد على

1 - محمد جلاء إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، ص42.

وجـود تبادُل ثقافي يتَّخذونَـه كأرضية لتَحقيق هدفهم في تعاوُنٍ سـياسيٍّ يُحقِّق لكيانهم الشَّرعيةَ المفقودة.

وهذا المنهج -مع بعض الاختلافات في الغايات والأهداف- هو ما يُمكِنُ ردُّهُ إلى بعض زعماء الاسـتشراق القديم، الذين استخدموا هذا المنهج في ردِّ القَصـص القرآني إلى مصـادر يهودية أو نصرانية، لكـنَّ الكلَّ في رأينا كان مصيرُهُ الفشـلَ لضعف الحُجّة التي اسـتند إليها، وللعوار الواضح في تطبيق المنهج. فـ (بلاشـير) في كتابه "معضلـة محمد" عمد إلى الحديث عن القَصص القرآني وفقَ هذا المَنهج، بل لقد ظهر في كتابه مدحٌ لأولئك المستشرقين الذين انتهجوا هذا المنهج، وعمدوا إلى محاولة إيجاد تشابُه بين القَصص القـرآني والقَصص الكتابي[1]. ومن ثَمَّ فلا مفرَّ من القول بأنَّ هذا المنهج مُتغلغِلٌ في الذات الاستشراقية منذ بدء الاستشراق ذاته، بل لا مفرَّ من القول إنَّها كانت محاولات باءت بالفشـل الذَّريع؛ نتيجةَ ما قامت عليه من أخطاء منهجية وروح تعصُّبية واضحة.

هـذا المنهج، منهج المقابلـة والمطابقة، المقابلةُ فيـه انتقائية، والمُطابقة فيه معدومة، حيث إنَّ المسـتشرقين يَعمدون وهم بصدد القَصص القرآني مثـلاً إلى مقابلة بعض أجزاء القِصة القرآنية -وليس كل القصة- لتشـابُهها مـع غيرها من أجزاء القَصص التوراتي، مُعرِضين عن أجزائها الأخرى التي تُبيِّنُ مظاهرَ الخلاف بينها وبين هذا القَصص، ثمَّ يَبنون عليها نتيجةً فاسدة مُؤدّاهـا أن القَصص هنا وهناك مُتطابق، ومن هنا فهي مُقابَلة انتقائية تَعمد

1 - بلاشير: القرآن نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره، ص56.

إلى تحقيق الأحكام المُسبقة والفَرضيات العقدية التي تحكَّمت بأذهان المستشرقين، فالمستشرقون تَقودهم الأحكام المُتغلغِلة في ذهنياتهم إلى انتقاء ما يُثبِتُ -من وجهة نظرهم- توجُّهاتِهم وأيديولوجياتهم العقدية.

إنَّ المقابلةَ التي كان يَصطنعها المستشرقون اليهود حول القصص القرآني كانت تَعمد أيضًا إلى الإعلاء من شأن القَصص التَّوراتي والحطِّ من قدر القَصص القرآني، ولذا فهم لم يُعنَوا باستخلاص المَضامين والأحوال التي كانت تتوارد فيها القصة القرآنية لأهداف سياقية وبلاغية، فالقِصة القرآنية قد تكرَّرَت في القرآن أكثر من مرة، لكنَّها في كلِّ مرة كانت تحمل جانبًا جديدًا لم تكشف عنه من قبلُ، ومن ثَمَّ فإن إغفال المستشرقين هذا الأمر معناه أنَّهم أخضعوا المنهج لأهداف غير علمية.

أمّا التطابُق الذي حاول هؤلاء المستشرقون إيجادَه فلم يَحدث إلا في أذهانهم؛ لأنَّ المطابقة تُبنى على المقابلة، وبما أن المقابلة كانت منقوصة، فإن المطابقة من غير المتوقع عقلاً أن تَحدث. فالمطابقة تَقتضي أن يُطابِقَ الشَّيءُ الشَّيءَ بالكلِّية، وهذا ما لا يُمكن أن نجده في القَصص القرآني؛ لأن هذا القَصص يَختلف كثيراً عن القَصص في التَّوراة، فضلاً عن أنَّ هذا القَصص يَحمل في طيّاته أصولاً عقدية تختلف بالكلِّية عن الأصول العقدية في التَّوراة، وهذا من أهمِّ الأدلة على أن القَصص القرآني يَختلف في الكثير من تفاصيله ومضامينه عن القَصص هنا وهناك، فقد جاء القَصص القرآني مُصحِّحًا -في نظري- لكلِّ ما جاء في القَصص الكتابيِّ من أخطاء عقدية وتاريخية، وهذا أمرٌ يَقضي على فرضية المطابقة من جذورها.

إنَّ المستشرق اليَهودي المعاصر (أوري روبين) حاول تطبيقَ هذا المنهج

هنا، فهو يتحدَّث مثلاً عن قول الله -تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاء وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ¤ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ¤ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ¤ قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ¤ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ¤ قَالَ رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلاَ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ¤ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: 20-26].

وهو يَعمد إلى التأثير على القارئ الغربيِّ، خاصّةً بالزَّعم أنَّ القرآن يَسير على نهج الكتاب المقدَّس في القَصص القرآني، وأنَّه يَقتبس هذا القَصص منه، ومن ثَمَّ يحاول أن يصل به إلى نتيجة يَرضاها، وهي أنَّ القرآن مأخوذ من الكتب السابقة عليه، ومن ثَمَّ فلا إسلامَ حقيقيٌّ ولا دينَ اسمُه الإسلام؛ لأنَّه حسب ظنِّه مُنتَجٌ بشريٌّ. فلماذا إذنْ يَنتقد كلَّ رأيٍ يَكشف عن هذا التوجُّه اليَهودي منذ القِدم؟! فهو يقول: "إنَّ وجهة النَّظر القائمة على أنَّ الزَّنادقة نماذجُ انشقاق يَهودية ومسيحية لا تَعكس فقط التَّفسير القرآني، ولكنَّها تَعكس -إضافة إلى ذلك- مَقولاتٍ صريحةً لرجال الدِّين"[1].

1 - Rubin: Between Bible and Qur'an: The Children of Israel and the Islamic Self-Image, P. 61.

فلماذا إذن يَنتقد وجهةَ النَّظر هذه، وما الذي قدَّمه اليَهود للإسلام منذ ظهور الإسلام حتى يُغيِّر المُسلمون هذه النَّظرة؟! أليسَت توجُّهات (روبين) نفسه وأفكاره تَسير في الاتِّجاه ذاته؟! فكيف يَنتقد هذه النَّظرة؟! إنَّه وغيره إن أرادوا أن يُغيِّر المسلمون هذه النَّظرة عليهم هم أولاً أن يُغيِّروا من نظرتهم للإسلام وللنبيِّ الكريم، أما أن يَطلبوا تغيير تلك النَّظرة في الوقت الذين يُصوِّرون سيدَنا محمدًا في صورة السّارق الذي سرق القَصص القرآني من التَّوراة، فذلك يمُثِّل منطقًا مُعوجًّا وعقلية مريضة.

ولكن إذا كان (روبين) يَزعم باقتباس القرآن من التَّوراة، مُستدِلاًّ أيضًا بقصة سيدنا موسى هنا، فلماذا يحاول إظهارَ التَّشابُه في هذه القصة دون أن يُشير إلى الاختلافات الجوهرية، والتي تحكم بمصداقية على استقلالية القَصص القرآني عن القَصص التَّوراتي في هذه التفاصيل، التي تَحكم بدورها على مصدريته الإلهية؛ إذ يَستحيل على البشر أن يَصلوا إلى هذه التفاصيل دون عَونٍ إلهي.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن القَصص في التَّوراة احتوى العديد من الأخطاء على صعيد الحقائق التاريخية وعلى صعيد الحقائق العلمية، فإذا كان القرآن يَقتبس من اليهودية، فلماذا ضربَ صفحًا عن الخطأ منها، ولم يَنقلْه عنها، إلا إذا كان كتابًا من لدن الله تعالى؟[1]

ومن جانب آخر فإنَّ اختلاف الرِّواية بين التَّوراة والقرآن لَيَحكم للقرآن بالمِصداقية، فالرّاوي في قصة سيِّدنا موسى في القرآن هو الله تعالى، في حين أن راوي القِصة في التَّوراة شخصٌ ما جاء بعدَ وفاة سيدنا موسى،

1 - انظر: موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص56.

وهذا ما كان يَجب أن يُوجِّه (روبين) ناظرَيه إليه، فنحن أمام قَصص إلهي في القرآن في مقابل القَصص التوراتي الذي تمَّ التدخُّل البشري فيه؛ حيث كُتب بعد سيدنا موسى. إنَّ الخطاب الإلهي في القرآن يَحكم بمصدرية القَصص القرآني، فالله تعالى يقول: ﴿**وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [القصص: 44]، وقوله -تعالى-: ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القصص: 45]، وقوله سبحانه: ﴿**وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ [القصص: 46].

هذه الآيات وغيرها كثير تحكم بأنَّ المُتحدِّثَ هنا هو الله تعالى، في دليل واضح على مصدرية هذا القَصص الإلهي، في حين نجد أنَّ قصة سيدنا موسى في التَّوراة تَحكم بأنَّ الرّاوي شخصٌ جاء بعد سيدنا موسى بفترة طويلة، قيل إنها أربعة قرون[1]، فعَن أيِّ شيء يتحدَّث (روبين)؟!! لو كان مُنصِفًا حقًّا لَتناول ذلك أو وضعَه في اعتباره، وهو بصدد مقارنته بين القَصص القرآني والقَصص التَّوراتي؟ ومن جانب آخر فإنَّ التَّوراةَ الحالية أكبرُ حجمًا من تلك التي كانت على عهد سيدنا موسى، إذ كانت مُجرَّدَ أناشيد ووصايا عشر، ونبوءات يعقوب وموسى[2]، فكيف زاد حجمُ التَّوراة

1 - انظر: محمد علي البار: الله جل جلاله والأنبياء في التوراة والعهد القديم – دراسة مقارنة، ص190.

2 - انظر: إبراهيم أحمد الديبو: ابن حزم الأندلسي رائد الدراسات النقدية للتوراة، ص463.

بهذه الصورة التي تمُثِّل أضعاف أضعاف ما كانت عليه أيام سيدنا موسى؟ ألا يَحكم ذلك ببشرية التَّوراة وقَصصها التَّوراتي؛ نتيجة ما دخل عليها وعليه من إضافات بشرية أخلَّت بالأصل؟!

ومن جانب آخر، فقد سبق (أوري روبين) في ذلك المستشرقُ (إبراهام جايجر)[1]؛ حيث كتبَ كتابًا أسماه: "ما الذي اقتبسه محمَّدٌ من اليهودية؟"، محاولاً السَّير في دراسته وفقَ منهج المقابلة والمطابقة، لكي يبحث في تأثير القَصص التَّوراتي في القَصص القرآني. وهنا تكمن الإشكالية، إذ إنَّنا نعتقد أن الاستشراق اليهودي الذي يمُثِّله (جايجر) وغيرُه كان له تأثير كبير في الاستشراق اليَهودي المعاصر، فكلُّهم يَبدأ وهو يَضع في ذهنه قاعدة مُترسِّخةً قوامُها أنَّ ما جاء في القرآن إنْ هو إلا اقتباس من العَهد القديم، وهذا يَتنافى مع المنهج العلمي.

إنَّ الإشكالية تكمن في أن بعض المستشرقين لديهم قناعات راسخة وفروض مُتعسِّفة، واعتقادات شبه يَقينية أنَّ الإسلام نسخةٌ مُكرَّرة من الديانات السابقة، وأنَّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اقتبسَ أغلبَ مبادئه وتعاليمه من الكتب المُقدَّسة، ومن ثَمَّ فإنَّ المستشرق اليهودي يهرع لكي يَعقد مقارنةً ظالمة بين نصوص التَّوراة وآيات القرآن الكريم، ويظلّ يُنقِّب عن أوجه النَّظائر بين كتابه والقرآن والقَصص الوارد فيهما، ثم يُصبح محمَّدٌ قصرًا مُستمِدًّا هذه المَعارف من التوراة[2].

1 - مستشرق يهودي ألماني، من ممثلي الاستشراق القديم، (1810م – 1874)، اهتم بالتشابه الموجود بين القرآن والكتب المقدسة عند اليهود.

2 - محمد عبد الرحيم الزيني: الاستشراق اليهودي، ص 36.

وهـذا الموقف نجده عن (جايجـر) بصفته واحدًا من مُمثِّلي الاسـتشراق اليهـودي عامّـةً، والقديم خاصـة، فقضية عدم الإنصـاف في ربطهم بين الآيات القرآنية ونصوص التَّوراة واضحة بشدة، فما أكثر ألوان التعسُّف التي يتَّخذونها مَنهجًا في هذا الرَّبط! فمَنهجُهم واحد -وطريقتُهم أيضًا واحدة- يقـوم على تتبُّـع الألفاظ والآيات ثم يَعمدون إلى مناهـج تحليلية ومقارنة تسـتند إلى منهج إسقاطي واضح، ومن ثَمَّ تَنتهي النَّتائج المستخلصة إلى نتائـج أبعد مـا تكون عن الإنصـاف، بحيث يظهر عليهـا مجافاة الحقيقة تمامًا، وإن تزيَّتْ بزيٍّ علمي. فـ (جايجر) على سـبيل المثال يظلُّ يَبحث ويُنقِّب عن الأشـباه والنظائر لعقد مقارنة مهـما كانت غرابةُ هذه المقارنة، فضـلاً عن أنَّه لم يعتمد في هـذه المقارنة إلا على المصـادر العِبرية التي يَرجِعُ تاريخها إلى ما قبل البعثة المحمدية، ولا شكَّ أنَّ هذا المنهج مُبتسَر ويُخالف أُسسَ المنهج العلمي[1].

ولو كان كلام (جايجـر) وغيره من حاملي فرضية اقتباس القَصص القرآني من التَّوراة، سـواء في الاسـتشراق القديم من أمثـال (نولدكه - Nöldeke) و(جولدتسـهير) وغيرهما، أو في الاسـتشراق المعاصر من أمثال (شالوم زاوي) و(جـاك بـيرك - Jacques Berque) و(وليـام فيـدرر - William Federer) وغيرهم، صحيحًا لَوجب على سيدنا محمد أن يكون مُلمًّا باللغة العبرية فضلاً عن السريانية واليونانية، أو كما يَرى أحد الباحثين لَوجب أن يكون عنده مكتبةٌ ضخمة تحوي آلاف المراجع والكتب الخاصة بالتلمود

1 - محمد عبد الرحيم الزيني، الاستشراق اليهودي، رؤية موضوعية، ص 36.

والأناجيـل الأربعة والمجامع الكنسـية واختلافات المذاهب المسـيحية ومؤلَّفات فلاسفة اليونان وأدبائها[1].

وفي السِّياق ذاته يَسير المسـتشرق الألماني (هاينريش شباير - Heinrich Schreiber)[2] -وهـو مسـتشرق يهودي أيضًا- كتبَ كتابًا أسـماه: قصص أهـل الكتاب في القـرآن[3]، كذلك المسـتشرق اليهـودي (إبراهام كاتش - Abraham Katsh) صاحـب كتاب Judaism In Islam، والمسـتشرق الإسرائيلي المعاصر (شـالوم زاوي)[4] الـذي كان مُتأثِّرًا بـ (إبراهام كاتش) باعترافـه في أنَّ هناك خاخامـات مُثقَّفين أثَّروا في محمد الذي تهوَّد تقريبًا مـن وجهـة نظره[5]. بل إنَّه يَزعم بـأنَّ المعارف التي اكتسـبها النبيُّ محمد اسـتقاها من أقـوال اليهود والنصـارى ووثائقهم الموجـودة في معابدهم بالحجاز واليمن والحبشة[6].

ولا نشـكُّ في أن مـا يقولـه (زاوي) وغـيره من المسـتشرقين المعاصرين

---

1 - انظر: عبد الرحمن بدوي: دفاع عن محمد ضد منتقديه، ص24.

2 - مستشرق ألماني (1897 – 1935م)، أستاذ في الدين المقارن.

3 - انظر: هاينريش شباير: قصص أهل الكتاب في القرآن.

4 - مستشرق يهودي من أصل جزائري (1916 – 2009م).

5 - شـالوم زاوي: مصـادر يهودية في القـرآن (بالعبرية)، ص 13 نقـلاً عن: محمد جلاء إدريس: الاسـتشراق الإسرائيلي في المصادر العبريـة، ص 121. & انظر: أحمد البهنسي: "كتاب مصادر يهودية في القرآن للمسـتشرق شالوم زاوي – عرض وتقديم"، ص.ص. 14 وما بعدها.

6 - شالوم زاوي: مصادر يهودية في القرآن (بالعبرية)، ص31. نقلاً عن: محمد جلاء إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، ص 121.

الذين يُمثِّلون الاستشراقَ المعاصر أو الاستشراق الجديد ليس أكثر من تَرديد لأقول السابقين من أمثال (إبراهام كاتش) و(جولدتسهير) و(جايجر - Geiger) وغيرهما ممَّن قالوا بهذه الآراء التي لا تستند إلى دليل يَنقع غلَّةً كما يُقال.

ولا غرابةَ في أقوالهم هذه سواء أكانوا معاصرين أم كلاسيكيين، فقد أنبأنا القرآنُ منذ نزوله بكلِّ هذه الأباطيل التي يَعمدون إليها بعقولهم القاصرة منذ 1446عامًا، وأنَّ المُعارضين والمُناوئين افترَوا على النبي محمد (صلى الله عليه وآله سلم) الفريةَ ذاتهَا. يقول الله -تعالى-: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُبِين**﴾ [النحل: 103]. ويقول -تعالى-: ﴿**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا**﴾ [الفرقان: 5]. فالفرية قديمة، والمُستشرقون القُدامى والمعاصرون ليسوا أكثرَ من مُجرَّد مُقلِّدينَ ومُحاكينَ لصانعي الشُّبَه القديمة بدليل ما ذكره القرآنُ. وهذا يَقودنا إلى قضية بالغة الأهمية، وهي أنَّ هؤلاء القوم يُعيدون تقديم الشُّبَه القَديمة التي ظهرَت في صدر الدَّعوة الإسلامية، ولكن بزيٍّ جديد، ومن وراء ستار الحَداثة والتقدُّمية، لكنَّ المتأمِّلَ فيها يَجدها يَعلوها الصَّدأُ، لظهورها على الساحة منذ أربعة عشر قرنًا وأكثر من الزَّمان.

وما ذهب إليه (شالوم زاوي) هنا وأختُه في الاستشراق (حافا لزروس يافا - Hava Lazarus-Yafeh) سبقهما إليه باعتراف (زاوي) عددٌ من المستشرقين هم: (جولدزيهر) و(إبراهام كاتش)، كما ردَّدَه آخرون مثل: (جوستاف لوبون - Gustave Le Bon) و(ريتشارد بل - Richard Bell)، و(جورج

سيل - George Szell) و(كاسميرسكي - Kazimirski) و(إبراهام جايجر - Abraham Geiger)، وهنـاك كتبٌ كاملة تَحمل عناوين تُفيد ما ذهب إليه المستشرقون الإسرائيليون؛ إذ نجد الزَّعم بأخذ محمد (صلى الله عليه وآله سـلم) لدينه من اليهود واضحًا في عناوين الكتب والأبحاث[1]، ومن هذه الكتب التي اسـتقى الاستشراقُ المعاصر منها شُـبهاته -فيما أظنُّ- وهي تمُثِّل الاستشراقَ القديم وهي[2]:

- الراهب بحيرا والقرآن، كراديغوا، سنة 1898م.
- السامريون في القرآن، جوزيف هاليفي، سنة 1908م.
- عيسى في القرآن، جروهمان، 1914م.
- القرآن.. الإنجيل المحمدي، سترستين، 1918م.
- الإسرائيليات في القرآن يوشع فنكل، 1932.
- عناصر نصرانية في القرآن، أزنير، 1935م.
- القصص الكتابي في القرآن، شباير، 1939م.
- النصرانية واليهودية في القرآن، برمشتارك، 1953م.

وهنا يُرجِع كلُّ مسـتشرق منهـم القَصصَ القـرآني إلى الكتاب المقدَّس، دون أن يُبـيِّن كيفيّـةَ الاختلافات في الجانبَين؛ ذلـك أنَّ الكتاب المقدَّس تناولَ هذا القَصص بأسـلوب ومعالجة وحقائـق تختلف عمّا عليه الحالُ

1 - محمد جلاء إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، ص122.

2 - انظـر: محمد عبـد الله الشرقاوي: الاسـتشراق والغارة على الفكر الإسـلامي، ص.ص. 34-35.

في القــرآن، فليس المهمُّ الزَّعمَ بأنَّ هناك اقتباسًــا لمجــرد وُرود القِصة هنا وهنــاك، ولكنَّ المهــمَّ هو كيف تناول القرآن هــذه القصص وكيف تناولَها الكتــابُ المقدَّس؟ مــا الاختلافــات الجوهرية هنــا وهناك؟ ومــا صحّةُ القَصص بالمقابلة بالمعارف العلمية المعرفية والتاريخية الثابتة؟ ولنضرب مثالاً بســيطًا بقصتي ســيدنا نوح وســيدنا لوط في الكتاب المقدَّس وفي القرآن الكريم، فالأوَّل يُظهرُهما في صورة مُزرِيةٍ يَشربان الخمرَ إلى السُّكر، ويَرضيان الفاحشــةَ في أهَــل بيتهما، أما الثاني فيُظهِرُهــما في صورة نبيَّينِ مُكرَّمَــينِ اصطفاهــما الله -تعالى- لرســالته، لِما فيهما مــن شروط النبوّة، وأهمُّها الأصــل الطَّيّب والأخــلاق والنَّخوة والرُّجولة الحَقّــة، أفترَى هل أنصــف الكتاب المقدَّسُ هذين النَّبيَّــينِ؟ أم تُرى أنَّ القرآن أهانَهما؟ وقِسْ عــلى ذلك القَصص القرآني الذي لا يَتعارض مــع الطَّبيعة الدِّينيّة للأنبياء، كما أنَّه لا يَتعارض مع المعارف التاريخية في المراحل التاريخية التي تَدور أحداث هذا القَصص فيها.

أي إنَّ الاســتشراق اليهــودي المعاصر -سَــيراً على درب ســابقه- يُحاول بشتّى الطُّرق أن يجعل القَصصَ القرآني مُقتبَسًا من الديانات السابقة، ولَيتَه وقــفَ عند حدود الكُتب السَّــماوية: التَّوراة والإنجيــل لِيُدلِّلَ على فكرته المَزعومة، لكنَّه يُؤثِرُ أن يُقحِمَ كتبًا بشرية لكهنة ورهبان في القضية، فيدَّعي أن هذا القَصص مُقتبَسٌ منها. وهذا ما تتمحور حوله دراســات المستشرق الإسرائيلي (أوري روبين).

إنَّ قِصصَ آدم ونوح وإبراهيم وإســحاق وإســماعيل ويعقوب ويوســف وداود وســليمان وعيسى وهود وصالح لها وجودُهــا في الديانة اليَهودية،

كما هو الحال في الإسلام، ولكنْ هل وجودُها هنا كوجودها هناك؟ بالطَّبع الأمـرُ مختلف جدًّا، فهل صورة هـذا القَصص في القرآن كصورة القَصص في التَّـوراة؟ بالطَّبع لا أيضًا، فلماذا الإصرارُ إذنْ على ردِّ هذا القَصص إلى الديانة اليهودية؟

هذا الأمـر يتجلَّى في أنَّ بعض القَصص القـرآني أو حتى بعض التَّفاصيل الواردة فيه –لا سيَّما قِصص داود وسليمان ويوسف– لم يجد المستشرقون الإسرائيليون شـبيهًا لها في التَّوراة، فحاولوا إيجاد تشـابُهات لها عمدًا في الكتب الدِّينية "المدراشـيم" و"الآجادا" اليهوديـة؛ لردِّها إليها، وهي كتبٌ لعدد من الحاخامات اليهود الأوائل، أُلِّفَت خلال العصر الوسـيط، ومليئة بالقصص والأسـاطير والمواعظ الدينية حـول الخاخامات اليهود، وذلك عـلى الرَّغم من أنَّهـا كُتبت لاحقةً للقـرآن الكريم من الناحيـة التاريخية، وليسـت سـابقة عليه، إذ كُتبت وبدأت تَظهر للوجود بدايـة من القرن 14 الميـلادي[1]. وهذه الدَّعـوى لا تختلف كثيرًا عماّ ذهب إليه المسـتشرق (مونتجمـري وات - Montgomery Watt)؛ حيـث ذهـب -في السـياق ذاته– إلى أن القَصص الذي ورد في المصادر اليهودية والمسيحية ليس في الأسفار المُعتمدة التي وردت في العهدَينِ القديم والجديد، وإنَّما أرجعها إلى أعمال الأحبار والكتابات الأبوكريفية التي أُلحقت بالعهد الجديد[2].

1 - أحمد البهنسي: الاسـتشراق والاسـتشراق الإسرائيلي (2/1)، حوار منشـور على الرابط التالي:

https://tafsir.net/interview/18/al-astshraq-walastshraq-al-isra-iyly-12-

2 - مونتجمري: محمد في مكة، ص 170.

ومـن تلك الكتابات التـي تُرجِعُ القَصص القرآني للآجادا والمدراشـيم – بحسب (البهنساوي)- مقال المستشرق الإسرائيلي (إيتان كوليبرج - Etan Kohlberg) في الموسـوعة العبريـة العامة حول القرآن، الأسـتاذ الشَّرفي بقسـم اللغة العربية بالجامعة العِبرية بالقدس، والـذي يَرى أنَّ هناك كثيراً من الآيات مُتأثِّرة بهما، حيث تتضمَّنان قصصًا لمن سبق سيدنا محمدًا من الأنبياء السابقين عليه، مثل: آدم ونوح وإبراهيم وهود وصالح، وغيرهم من أنبياء الله -تعالى-.

وحتَّـى نُقرِّبَ القـارئ الكريم من المَقصود بالمدراشـيم، لِيُـدرِكَ إلى أيِّ مدًى يمُثِّل هؤلاء المسـتشرقون -ممَّن يُشوِّهون القَصصَ القرآني ويكيلون لـه الاتِّهامات- وصمـةَ عارٍ في جبين العلم والمنهـج العلمي، فإننا نَلفت نظرَه إلى أنَّها عبارة عن خطب ومواعظ وتفاسـير كتبَها بعضُ الحاخامات اليَهـود، وهـي لا تهتمُّ بالنصِّ بقدر ما تهتمُّ بمـا وراء النَّص، ومن ثَمَّ فهي نصوص وقصص بشرية محضة، لكنَّ هذا لا يمَنع من أنَّها اهتمَّت بالجانب التشريعي، أما الآجادا فهي الكتب التي اهتمَّت بالجانب غير التشريعي.

والسـؤال هنا مُؤداه: بفرض أنَّ الآجادا والمدراشيم كُتبت قبل نزول القرآن وبعثة سـيدنا محمد –مع أنَّ هذا الفرض يُكذِّبُه الواقع؛ حيث كُتب بعضُها بعد ذلك كما سبقت الإشارة- فكيف تسنَّى للنَّبي الكريم أن يطَّلع على هذه الكتب؟! وهل كان عـلى دراية بتلك اللُّغة التي كُتبت بها؟! أتراه قد قرأها في لغتهـا الأعجمية وهو أمـيٌّ لا يعرف القراءة والكتابـة العربية؟! ولنقلْ إنَّـه تعلَّمَها، فكيـف تعلَّمَها؟! ومتـى تعلَّمَها؟! أتراه تعلَّمَهـا من (بَحيرا) الراهـب الذي قابله في إحدى الرَّحلات؟! أم مـن (ورقة بن نوفل)؟! ولو

كان تعلَّمَهـا فلماذا لم يَعلَـمْ أهلُ مكّةَ بذلك، وقد كانـوا أوَّلَ من يُذيعون عنه؟! أما إذا كانت الآجادا والمدراشـيم قد كُتب بعضُها بعد القرآن بقرون -وهذا ما نُرجِّحُه وما هو ثابت بالفعل- فإنَّ الحجّةَ تَظل واهية، ولا تَصمد أمـام النقد الصحيح، بل لنا أن نقول حينها إنَّه إذا كانت التَّوراة لم تُسـجِّلْ بعـضَ قِصص الأنبياء أو بعض تفاصيلها، وهذه التفاصيل نجد منها شـيئًا في أجزاء من الآجادا والمدراشـيم اللاحقة للقرآن، فإنَّه يُمكن القولُ حينها أنَّهما هما اللَّذان استفادا من القرآن الكريم لا العكس.

الغريب في الأمر أنَّ مَن يتمسَّـكون باقتباس القرآن من الكتب السابقة عليه يُرجِعون ذلك إلى قضية اسـتنتاجية خاطئـة انبنى عليها نتائج خاطئة، هذه القضية تنحصر في أنَّه ما دامت التَّوراة والإنجيل سابقَينِ على الإسلام فقد استفاد منهما، واقتبسَ أجزاء من ثناياهما، ومن ثَمَّ جعلوا القَصص القرآني منهما؛ اسـتنادًا إلى قاعدة اللَّاحق والسـابق، وتلك هي الإشكالية الكبيرة التي وقع فيها المستشرقون الكلاسيكيون والمعاصرون ممَّن تحاملوا على القرآن الكريم.

فالاستشراق اليهودي القديم -وهو جزء أصيل من الاستشراق الكلاسيكي- سـار على هـذا النَّهج، وتأثَّر بـه الاسـتشراقُ الإسرائيلي -وهـو من قبيل الاستشراق المعاصر خاصةً، وأنَّ أغلب كُتّابه الآن يَحملون هذه النَّزعة من أمثـال أروي روبين وغيره- أصرَّ إصرارًا كبيرًا على وصف القَصص القرآني بأنَّه اقتباسٌ من اليهودية، "إلا أن الاستشراق الإسرائيلي في كثير من كتاباته يُـصِرُّ على القـول بتأثُّر القرآن بكتب دينية يهوديـة لاحقة له، والأغرب من ذلك أنَّه بالتحليل الفيلولوجـي (اللُّغوي) لبعض القِصص الواردة في هذه

الكتب الدينية المتأخرة (الآجادا والمدراشـيم) ثبتَ أنَّها هي التي اقتبسَت من القَصص القرآني، لا سـيَّما أنَّها كُتبت في بيئة ثقافية وحضارية عربية / إسلامية، مثل بغداد وفلسطين والشام"[1].

إذنْ نَنتهـي من هذا إلى أن قضيّـةَ اقتباس القَصص القرآني مـن التَّوراة أو غيرهـا من قبيل القضايا التي لا تَصمد أمام النَّقد السـليم، وفق المعطيات العقلية والعلمية والدِّينية، فلا العقل يَقبل هذا الزَّعمَ، ولا العلم يُؤيِّده، ولا الدِّين يَترك له فرصةً لذلك، وإنَّما هذه القضية قضية افتراء مَحضٍ كما بيَّنّا، هذا الافتراء يُغذِّيه التعصُّب للعقيدة، ولا يَسير وفق منهج علميٍ سَديد.

وبناءً عليه يمُكن القول إنَّ نقد الاستشراق للقَصص القرآني كان يَقوم على منهج غير علمي؛ حيث كانت تَقودُهم في ذلك روحٌ تعصُّبية إما مسـيحية غربية أو يهودية، فالاسـتشراق كان في الغالب بتوجيه كنسي -إما مؤسسيًّا وتنظيميًّا من الكنيسة، أو بدافع شخصي تحت إلحاحات عقدية- لتَشويهه وتَحريفه عن مقاصده السامية التي سيق من أجلها.

الغريـبُ في الأمر أن الاسـتشراق اليهـودي المعاصر، أو ما يمُكن تسـميتُه الاسـتشراقَ الجديد، سـار على الدَّرب ذاته في الغالـب؛ إذ كان همُّه الأول الانتقـاصَ من القرآن بما يتضمَّنه مـن قضايا وموضوعات، وأهمُّها القَصص القرآني، مُقتفيًا في ذلك أثرَ الاستشراق القديم الذي تمَلَّكَته روحٌ متعصِّبةٌ إلى أبعد حدٍّ، فكانت البذرة الأولى لما يُسمَّى بالإسلاموفوبيا في الغرب الآن.

إنَّ تشـويه المصادر الأساسية للإسلام والتَّشكيك فيها كان هدفًا رئيسًا من

1 - أحمد البهنسي: الاستشراق والاستشراق الإسرائيلي (2/1).

أهداف الاستشراق الكلاسيكي والمعاصر، خاصّةً الاستشراق المعاصر في ثوبه الإسرائيلي؛ حيث يُعدُّ هذا الهدف من الأهداف التي يَشترك فيها الاستشراق اليهودي والصهيوني والإسرائيلي والغَربي؛ فكلُّ هذه المدارس المتعدِّدة أو المراحل الاستشراقية المتتالية حاولَت قدر إمكانها تَشويهَ المَصادر الأساسية للإسلام (القرآن الكريم، الحديث الشريف) للتَّشكيك في مدى مصداقيتها وصِحّتها؛ لأنَّ الوصول إلى هذا الهدف معناه في النهاية النَّجاح في القضاء على الدِّين الإسلامي. أما الاستشراق الإسرائيلي فقد لجأ إلى محاولة تَشويه القرآن الكريم والتَّشكيك في مصادره، وكانَت أبرز أدواته في ذلك إعداد تَرجمات عبرية غير أمينة ومشوَّهة لمعاني القرآن الكريم، مع تَزويدها بحواشٍ وهوامش تَرُدُّ المادةَ القرآنية لمصادر يهودية ومسيحية ووثنية[1].

وإذا كانَت القراءاتُ الاستشراقية في الغالب قراءاتٍ عقديّةً، بمعنى أنها تقرأ الإسلامَ عامّةً، والقَصص القرآني خاصةً، وهي مُحمّلةٌ بنظرتها العقدية والدِّينية إليه، وهي في الغالب نظرةٌ تعصُّبية لا تُعطي الإسلامَ قيمتَه الحقيقية كدِين، وإنَّما تَعمل على تقويضه وتهميشه ومحاولة النَّيل المُستمرِّ منه – فإنَّ هناك قراءات أخرى كالقراءة السياسية، والتي تعمل على محاولة تفسير النصِّ القرآني تفسيراً تُحاول من خلاله كسبَ شرعية سياسية، وهناك القراءة الثَّقافية التي تُحاول الانطلاقَ من التَّشابُه بين بعض القصص أو تفاصيل القصص هنا وهناك لإقامة أُطُر ثقافية.

1 - أحمد البهنسي: "الاستشراق الإسرائيلي... الإشكالية والسمات والأهداف".

رابعًا: نقد المنهج الإسقاطي

هـذا المنهج أيضًا لا نسـتطيع إهمالَه في الدراسـات الاسـتشراقية عامّةً، والدراسات الاسـتشراقية اليهودية المعاصرة خاصّةً، فالمستشرقون قديمًا وحديثًا -إلا المُنصفين منهم- يَدرسـون النصَّ القرآني، وهم ليسوا بمنأى عـن توجُّهاتهـم وأيديولوجياتهم، حيث يقوم هـذا المنهج على تصوُّرات ذهنيـة في عقلية المسـتشرق، التي تَحمـل مجموعة من الأفـكار التي لا توجـد إلا في تلـك الذِّهنية، لكنهـا لا وجود لها حقيقةً، ومـن ثَمَّ يحاول أن يُوجِـد هذه التصوُّرات عنوةً من خـلال فرض فروضٍ وهميّة، والتماس مواقفَ بعيدة عمّا تُقدِّمه المعطياتُ الموجودة في النص القرآني.

ومـن ثَمَّ فـإنَّ المناهج التي اسـتخدموها لا تُـؤدِّي إلى نتائـج علمية في الدراسـات الإسلامية، فقد قاموا بعملية إسـقاط تعسُّفية لتصوُّرات ذهنية، وأطلقـوا أحكامًا عامةً، لا تُراعي خصائص الحضارة الإسـلامية ومبادئَها. إنَّهـم يحاولون ليَّ النصـوص وتطويعها، وتفسـيرها وتحليلها لتتوافق مع أحكامهم المُسـبَقة، من أجل الوصـول إلى نتائج علمية افتراضية، لا تتَّفق بحال مع البحث العلمي النَّزيه[1].

فالباحث عندما يضع في ذهنه صورةً فكرية مُعيَّنة، لا وجود لها من الناحية الفعلية، فإنَّه يبحث لها عن المُبرِّرات من أجل إسقاطها على الواقع الثقافي والحضاري لتفسيره، وفقًا لهواه ومزاجه وثقافته وبيئته الدِّينية[2].

1 - انظر: أحمد بابانا العلوي: "المستشرقون والدراسات القرآنية".

2 - ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي في الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ص169.

هـذا المنهـج إذنْ يَعمـد إلى إسـقاط تصوُّراتـه وأيديولوجياتـه وفروضه اللامنطقية على الإسـلام بمصدرَيه: القرآن والسُّنة، وعلى علومه وقضاياه، بهـدف إثبات فرضيـة المُحاكاة والاقتباس، ولذا فهو يَسـير في مواقفه منه على هذا المنهج الذي يَطمس الحقيقة رجاءَ تحقيق هدف ليس له نصيب من الواقـع. والغريب في هذا المنهج أنَّه حين يجـد المُعطَيات والحقائق تَسـير عكس ما يُريد تراه يَلوي عنقَها؛ كي يَهدمها ويَنفيها، على الرَّغم من ثبوتها.

ومن ثَمَّ فقد يتَّفق هذا المَنهج مع تصوُّر مُشابه يُطلَق عليه المنهج العَكسي في دراسـة الظَّواهر الإسـلامية، وهو المَنهج الذي يـأتي إلى أوثق الأخبار وأصدقهـا، فيَقلبها عمدًا إلى عكسـها، وفقًا لتصوُّر مُسـبَق مُسـيطِر على المسـتشرق، ومن ثَـمَّ فإنَّ تطبيق هذا المنهج من جانبـه يُؤدِّي إلى صدور أحكام مُتعسّفة ليس لها علاقة بالموضوعية أو التَّحليل العلمي السليم[1].

الغريـب في هذا المنهـج أنَّ أصحابـه يَعمدون إلى الادِّعـاء بخطأ النصِّ القـرآني في حال اختلافه مع النصِّ الـوارد في التَّوراة، مع أنَّ الأمر خلاف ذلـك؛ إذ إنَّ النصَّ التَّوراتي هو الذي يَحـوي اختلافات جوهرية تتناقض مع النصِّ القرآني، ومع الحوادث التاريخية الثابتة، كما سـبق أن بيَّنا، لكن المنهج الإسقاطي يظهر هنا بوضوح، بحيث يتَّهمون النصَّ القرآني بما هو جدير بالنصِّ التَّوراتي في قطاع كبير منه.

هـذا المنهـج الإسـقاطي يُعـدُّ في نظرنـا الأكثرَ شـيوعًا في الدِّراسـات

1 - محمد جلاء إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، ص44.

الاستشراقية بجانب مناهج أخرى، بدليل الفرضية الرَّئيسة التي يَنطلق منها هـؤلاء، وهي أنَّ "القرآن من صُنع محمد"، وفي إطار هذه الفرضية يُسـقِطُ المستشرقون كلَّ أفكارهم الذِّهنية المُسـبَقة عن الإسـلام على النُّصوص والقضايـا، فتَخرج الأحكامُ غيرَ مُعبِّرة عن المنهج العلمي السـليم، وإنَّما تَخرج وهي مُحمَّلةٌ بأفكار استِباقية في ذهن وتصوُّر المستشرق ذاته.

ولعلَّ من أشـهر المستشرقين المعاصرين الذين يسـتخدمون هذا المنهج -إضافـة إلى مناهج أخرى بالطَّبع سـبق ذكرها- (شـالوم زاوي) في كتابه: "مصـادر يهودية في القرآن". حيث تَعامَل مع النصِّ القرآني تفسـيراً وفَهمًا وتأويلاً بالاسـتناد إلى خلفيات مُسبَقة تتحكَّم بالمَنهج وطريقة التَّفسير[1].

وهذه الخلفياتُ المُسـبَقة لا تَعني إلا شيئًا واحدًا وهو المَنهج الإسقاطي، الذي يُسـقِطُ ما في النَّفس على المادة التي يَتناولها، فيَحكم فيها بناءً على هذا الإسقاط وتلك الخلفية.

خامسًا: نقد المنهج التحليلي

والمنهج التَّحليلي في حقيقته هو منهج علميٌّ، إذا طُبِّقَ بعيدًا عن التعصُّب والأهواء والأفكار المُسبَقة فإنَّه من أنفع المناهج العلمية، لكنْ إذا استُخدم في ضـوء هذه الأمور اللاعلمية فإنَّ النَّتائج حينها سـوف تكون غيرَ مُعبِّرةٍ عن الواقع، ولن تُفيدَ العِلمَ والمعرفة في شيء.

هذا المنهج يَقوم على تحليل القضيّة وتجزئتِها إلى مجموعة من المُكوِّنات،

1 - انظر: العياشي العدرواي: ترجمة وتعليق لسورة الفاتحة، ص7.

ثم إعادة تَجميعها وبناء الأفكار المُستوحاة منها، فالمنهج التَّحليلي في دراسته للظّاهرة يَعمد إلى رَدِّها إلى عناصرها الأولية، كالظُّروف الدِّينية أو الاجتماعية أو السِّياسية، وخطورة تَطبيق هذا المَنهج إنَّما تكمن في حتميّةِ تأثُّر المُستشرق ببيئتِه وثقافته ودينه وحضارته، ومن ثَمَّ لا يمُكن أن يَصل إلى نتائج سليمة في دراسته للظَّاهرة الإسلامية، فإنَّ الأخذ بهذا المنهج قد أدَّى إلى الحُكم على الحضارة الإسلامية بالجَدْب، وعلى الدِّين بالجُمود، وعلى الوحي بالاضطراب، وعلى التَّوحيد بالتَّجريد، وعلى الشُّعوب بالتخلُّف[1].

لكنَّ الإشكالية ليسَت في المنهج كمنهج؛ لأنَّ المنهج خطواتٌ علمية مدروسة تُؤدِّي إلى نتائج حقيقيّة، بيد أنَّ المشكلة فيمن يُطبِّق المنهجَ، ويُخضِعُهُ لأهوائه وأغراضه وأيديولوجيته، وهذا ما نجده واضحًا في معظم إنتاج المستشرقين قديمًا وحديثًا، وخاصّةً فيما يتعلَّق بالنصِّ القرآني، الذي قالوا فيه كلامًا كثيراً، فقد كان المستشرقون يَنظرون إلى السِّياق القُرآنيِّ على أنَّه آية وقصة وسورة وكلمة من منظور منهجهم التَّحليلي، فجعلوه مُكوِّناتٍ وعناصرَ مُتباعدة الأجزاء، لِيَحلو لهم بعدها أن يقولوا ما شاؤوا.

وقد ظهر هذا المنهج أكثر ما يكون في الأبحاث والدراسات التي يقوم بها الاستشراقُ المؤسَّسيُّ اليَهودي المعاصر، ونَعني به مراكز الأبحاث والدراسات، أو ما يُطلَق عليها خزانات التفكير، وعدد هذه المراكز يتجاوز السَّبعين، وهي تَعتمد على تحليل الواقع العربي اقتصاديًّا واجتماعيًّا

1 - محمد جلاء إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، ص45.

وسياسيًّا وثقافيًّا من خلال بحوث مُعدّة لذلك خدمةً للمخطط الصهيوني. ومن ثَمَّ فإنَّ هذه البحوث تَقوم على منهج تحليلي، لكنَّه في النهاية لا يَتخلَّى عن التشبُّث بالأفكار المُسبقة التي تَجعل من التَّحليل تحليلاً يُحقِّق غايات مُعيَّنة تَتماهى مع هذا المُخطَّط.

كما أن هذا المنهج يَظهر في كتابات المستشرقين اليهود المعاصرين، وهو من أكثر المناهج تطبيقًا في الدِّراسات البحثية، لكنْ من المُهمِّ أن يُوجَّه جيِّدًا، بمعنى أن يُوجَّهَ من أجل العلم، لا من أجل شيء آخر. ومن ثَمَّ فإنَّنا نجدُه مُطبَّقًا عند أوري روبين، وشالوم زاوي وغيرهما من أعلام الاستشراق الإسرائيلي، كما نجده بصورة أكثر وضوحًا في كتابات المستشرق اليهودي المعاصر برنارد لويس، خاصّةً في كتاباته عن التاريخ الإسلامي وقضايا الإسلام، بل في كلِّ كُتبه الاستشراقية.

سادسًا: المنهج التأريخي

من الثابت أنَّ المنهج التاريخي عند المستشرقين منهجٌ منقوص؛ كونهم يَعتمدون على بعض الرِّوايات الثابتة تاريخيًّا، فيَعمدون إلى تفسيرها وتحليلها حسب هواهم، لإثبات شيء هم يُريدونه، أو يُضخِّمون الحدثَ، ثم يَبنون عليه نتائجَ لا يتحمَّلُها، كما في حادثة (ورقة بن نوفل)، أو حادثة (بحيرا الراهب). والأغرب أنَّهم يتَّكِئُون على بعض الحوادث دون غيرها، وبعض الرِّوايات دون بعضٍ، فيكون المنهج التاريخي لديهم منهجًا مُصابًا بالعوار؛ لأنَّه لم يشمل كلَّ الأحداث التاريخية حول القضية حيِّز الدراسة. ولو كان هؤلاء يَعتمدون المنهجَ التاريخيَّ حقًّا لربطوا النُّصوص التاريخية

بعضَها ببعضٍ، ونظروا إليها على أنَّها تُشكِّل وحدةً واحدةً، ولو فعلوا ذلك لكان أجدى لهم وللبحث العلمي، لكنَّهم آثَروا النَّظرَ إلى هذه النصوص على أنَّها في جُزُرٍ مُنعزلة، وراحوا يُسقطون عليها من أيديولوجياتهم وأفكارهم المُسبَقةَ التي لا تَنتمي للمنهج العلمي، وإنَّما تَنتمي للأهواء والتعصُّب.

والمتأمِّل في مقدار ما حِيك من قبل المستشرقين في هذا الأمر يَجد أن القَصص القرآني ظلَّ خاضعًا في ذِهنيّتِهم لهذا المنهج الذي اصطنعوه، لكنَّه لما كان غيرَ كافٍ في الوفاء بأغراضهم راحوا يمَزجون بينَه وبين منهج التأثير والتأثُّر، أو منهج المُقابَلة والمُطابَقة، وهذا الأمر واضح جليٌّ في كلِّ اتِّجاهات المستشرقين الكلاسيكيين والمستشرقين المعاصرين أو الجُدد، ويمُكن أن نُدلِّلَ على ذلك بقضية بحيرا الراهب التي ادَّعى من خلالها المستشرقون أنَّ القرآن من انتِحال محمد، مُتأثِّرًا في ذلك بتلك الحوادث التاريخية التي رواها له بحيرا الرّاهب، وقد جَمعوا حولَها العَديد من الرِّوايات، ثم قاموا بتبويبها وترتيبها وإصدار حُكم وفقَ هواهم، قوامُه أنَّ القرآن من صنع محمد. لكن لَمّا أعوزَتْهُمُ السُّبلُ للتَّدليل على تلك القضية المَزعومة، ولم يجدوا في قصة بحيرا الراهب ما يُسعِفُهم بمُرادِهم، لجؤوا إلى قضايا التأثير والتأثُّر، والزَّعم بأنَّ القرآن أُخذ من التَّوراة والإنجيل، وفق منهجهم هذا.

ومن ثَمَّ فإنَّ هذا المنهج التاريخي، الذي استخدمه المستشرقون، ولا يزالون يعتمدونه إلى اليوم، هو منهج قائم على عدم الصِّدق بالمصادر قُرآنًا وسُنّةً، ولذا لا يأخذون كلَّ ما تقول به مصادرُنا الإسلامية إلا ويُعمِلُون فيه

مَعـاولَ النَّقد، ولا يُقيمون وزنًا إلا لما يَثبت أمامَ النَّقد التاريخي المُصطنَع -الـذي اصطنعوه- أو الذي يَبدو وكأنَّه ثابتٌ أمامه، وهذا ما قال به (رودي بـارت)[1]. وهذا يُفسرِّ لنـا الاهتمامَ بقضيـة (بحيرا الراهـب) وتَضخيمها وتَصويرها على أنَّها هي المُعينُ لسـيِّدنا محمد عـلى صياغة القرآن عامّةً، والقَصـص القرآني خاصّةً، وهذا أمرٌ في غايـة الغرابة، ولا يَقف أمام النَّقد السـليم، ومـن ثَمَّ كان هذا المنهج منهجًـا عاريًا من العِلميّـة مُغلَّفًا بروح تعصُّبيّة بَغيضة، وهنا مَكمَنُ الخطورة.

وفي هذا السِّياق التاريخي طبَّقَ (أوري روبين) طُرقَ ومناهج علم الإسكاتولوجيا -وهو علم يَبحث عن لاهوت البِدايات ونهاية الكون، أو الأحداث الأخيرة قبل نهاية الكون- على بعض الآيات القرآنية التي تتضمن قصصًا قرآنيًا، وتحديدًا الآيات من 103 - 106 من سور الكهف، والتي يقول الله تعالى فيها: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ¤ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ¤ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ¤ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا**﴾.

ويَقـوم منهـج (أوري روبين) على الوقوف على بعـض الآيات القرآنية في

1 - انظر: رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص10.
& انظـر: محمود حمدي زقزوق: الاسـتشراق والخلفية الفكريـة للصراع الحضاري - كتاب الأمة، ص77.

سـورة الكهف، وهي الآيات من 103 - 106، مُطبِّقًا الطُّرقَ الإسكاتولوجية عليهـا؛ حيث يَرى أنَّها تتحدَّث عن الكفـار باعتبارهم أكبرَ الخاسرين في الفرقـة الإسرائيليـة[1]. معَ العلم بأنَّ الآيات تُشـير في الغالـب إلى اليهود والنَّصـارى الذين لم يَسـتجيبوا لأوامر الإسـلام وتعاليمـه، فاليَهود كفروا برسالة سيدنا محمد، والنَّصارى أنكروا جزءًا من النَّعيم الأُخرويِّ كالطَّعام والشَّراب.

وقد حاولَ (روبين) استخدام هذا العِلم وطُرقه في بعض آيات القرآن الكريم، ومنها الآية 69 من سورة التوبة، التي تَحكي عن جزء من مخالفة الأُمم السابقة لأوامر الله تعالى، فكانَت العاقبة خسرانًا مُبينًا، هذه الآية يقول الله تعالى فيها: ﴿**كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [سورة التوبة: 69].

(روبين) يَرى أنَّ هذه الآيات وفقَ منهجه هذا تُشير إلى بعض الذُّنوب، حيثُ تنصُّ سورةُ التَّوبة، الآية 69، في نظره، على أنَّ أولئك الذين من قبلِكُم كانوا أقوى وأكثرَ ثراءً، وسـعدوا بنَصيبهم، كما فعلَ المُعاصِرونَ أي انغمَسوا في الكفر، ومع ذلك فشلَت أعمالُهم في هذا العالَم وفي العالَم في المستقبل. كما يُشير إلى أنَّ المُفسِّرين يُفسِّرون هذا المَقطع على أنَّه تَحذير للمؤمنين

1 - Rubin: Between Bible and Qur'an: The Children of Israel and the Islamic Self-Image, P. 61.

بمصير أولئك الذين انغمَسوا في الأفعال الخاطئة، ولتأكيد هذا المعنى، كما يقول، سجَّلَ الطبريُّ في تعليقه على هذه الآية مأثوراتِ ابن عباس، الذي فَسَّر (مِن قبلكم) أنَّهم أبناء إسرائيل، ثم يُضيف، نحن مثلهم ويُعلِن: أُقسِمُ بالذي يَحمل روحي في يده ستَتَّبِعونَهم (أي بني إسرائيل)، وإذا دخلَ أحدُهُم جُحرَ ضَبٍّ لَدَخلتُموهُ معَهم[1].

لكنْ لِنَكُنْ واقعيِّين أنَّه لم يَستخدم هذا العلم وطرقه إلا وهو يَحمل فكرةَ اقتباس القرآن من التَّوراة؛ إذ تظلُّ هذه الفكرة تُسيطِرُ على أي مستشرق يَهودي، سواء كان يمُثِّل الاستشراقَ القديم أو المعاصر، دليلُ ذلك ما يَزعمه روبين من أنَّ مصطلح "من قبلكم" يَتبع -في نظره- تعريفًا إضافيًّا يُشير إلى الأُمم المعاصرة على أنَّها أصلُ السُّنة التي يُقلِّدُها المسلمون، ومن ثَمَّ يُوسِّع (روبين) تعريفَ نطاق بيان السُّنة إلى كلِّ ما كان يُنظَرُ إليه على أنَّه قادم من بيئة غير إسلامية[2]. لكنَّ السُّنةَ بمعناها المُوسَّع الذي انتهى إليه (روبين) مُغايرٌ لمعنى السُّنة في الإسلام، فالسُّنة بمعناها الاصطلاحي الإسلامي تَعنى ما تركَه لنا الرَّسول من قول أو عمل أو تقرير، أما السَّنَن، بمعنى سَنَن الذين من قبلنا وقصصهم فهي للعِظة والعِبرة، وليس معناها الاقتباس والمحاكاة كما يَفهمها روبين حسب مُعطيات أيديولوجيّته.

ومن جانب فإنَّ ما ذكره (روبين)، ممّا أسماه «مأثورات ابن عباس»، ليس

1 - Rubin: Between Bible and Qur'an: The Children of Israel and the Islamic Self-Image , P. 61.

2 - Ibid.

إلا حديثًا للرَّسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فعَن أبي سعيد الخدري أنَّ رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم، شـبراً بشـبرٍ، وذراعًا بذراعٍ، حتى لو دخلوا جُحْر ضبٍّ تَبعتُمُوهم، قلنا: يا رسـولَ الله، اليهـودُ والنصارى؟ قال: فمَنْ؟"[1]. والـكلامُ يُحمَلُ هنا على الاتِّبـاع المَذموم، لا الاتِّباع المحمود والاقتباس كما ذهب (روبين)، وهذا خطـأ كبير، لأنَّ (روبـين) يُقمِّش القضيّةَ لتكون مناسـبةً لما يَدعو إليه من اقتباس الإسـلام والقَصص القرآني عـن اليهودية، فقـام بإخراج مضمون النَّـص من معناه الأصـلي إلى معنًى آخر يُريده، تحقيقًـا لأهداف تعصُّبية صرفة. كما أنَّ نصَّ الحديث يمُثِّل قراءة في المستقبل، أو نبوءة لما سيَقوم به المسـلمون من التأثُّر بغيرهـم في حياتهم وتقليدهم لهم ومخالفة منهج اللـه تعالى، خلافًا لمـا يَذهب إليه (روبـين) من أنَّه يُعبِّر عـن اقتباس في الماضي ومحاكاة للشرائع أو التعاليم أو القَصص اليهوديّ.

ولنا على المنهج التاريخي في القَصص القرآني عدّةُ ملاحظات نَقدية، فهل طبَّقَ المسـتشرقون هذا المنهج جيِّدًا في مجـال القَصص القرآني؟! إذ من المعلـوم أن المنهج التاريخيَّ عبارةٌ عن تجميع الأدلة من الماضي وتَرتيبها وتَصنيفهـا ثم نقدها، ثم اسـتخلاص الحقائق المُؤكّدة منها بناء على الأدلة والشـواهد التـي تمَّ جَمعُهـا، تلك الحقائـق التي تُفيد في قضيـة مُعيَّنة أو موضوع علمي مُحدَّد، لكنَّنا نَرى أنَّ هذا المنهج العلميَّ استُخدم استخدامًا ناقصًا من قِبَلِ المُستشرقين، إلى حدٍّ يمُكن معه وصفُ هذا النَّقص بالعوار.

1 - البخاري: الجامع الصحيح، ج9، ص103، ح7320.

فالمستشرقون عند تطبيقهم هذا المنهجَ على القَصص القرآني وغيره لم يَجمعوا كلَّ الأدلة -هذا إذا تجاوزنا ووَصفناها بالأدلة- ومن ثَمَّ فإنَّ أوّلَ خطأٍ وقعَ فيه هؤلاء هو فقرُ الأدلة التي تمَّ جمعُها وضَحالتها؛ إذ إنَّ كلَّ ما جُمع في موضوعنا محلّ الدراسة هو حادثتان: حادثة (ورقة بن نوفل)، وحادثة (بحيرا الراهب)، وبعض الحوادث الأخرى التي لا تَثبت دليلاً، وهذا أدَّى بدوره إلى نتائج فاسدة، ففقرُ الأدلّة يَقود إلى فقر النَّتائج، وسوءُ الأدلّة يَقود حتمًا إلى سوء النتائج المُستخلَصة.

المستشرقون عندما استخدموا هذا المَنهج جمعوا بعضَ الحوادث، وأغفلوا كثيراً منها، والأغربُ أنَّهم استنتجوا نتائج مُبالغًا فيها وغير صحيحة، بناءً على هذه الحوادث القليلة التي استخدموها كمُقدِّمات بنَوا عليها نتائجهم، فكيف يُعقَلُ أن يُتَّخذ من حادثة ورقة بن نوفل أو حادثة بحيرا الراهب دليلٌ على أنَّهما مصدر القَصص القرآني والتَّعاليم التي جاء بها الإسلام؟! في الوقت الذي لا تَقودنا هاتان الحادثتان أو غيرهما إلى النتائج التي انتهَوا إليها، بل بالعكس تقود عقلاً ومنطقًا إلى غيرها، كون اللِّقاء في كلِّ حادثة كان لقاء واحدًا، واستغرقَ لَحظات لا يُمكن أن تَقود إلى ما قادَتْهم إليه من نتائج. بل إنَّ هذا المنهج افتقرَ على أيدي المستشرقين إلى الدِّقة في جَمع القَرائن فضلاً عن تبويبها، وهذا أدَّى بدوره إلى خطورة النَّتائج المُستخلَصة وعدم ثُبوتها أمام ميزان النَّقد.

الفصل الثاني:
نقد غايات الاستشراق اليهودي المعاصر

أولًا: نقد الغاية العقدية

يُعدُّ موقفُ المستشرقين من القَصص القرآني، سواء في الاستشراق القديم أو الاستشراق المعاصر، موقفًا مُتربِّصًا إلى حدٍّ كبير، تَبدو فيه النَّزعةُ التعصُّبية اليَهوديـة، والنَّزعةُ الانتقامية، وكلُّها لا تمـتُّ للبحث العلمي أو المنهجية العلميـة بصِلة. ومن ثَـمَّ يقول أحدُ الباحثين عن موقف المسـتشرقين من القَصص القرآني مثلاً: "واعتمادًا منهم على مناهجهم التأريخية أو المقارنة، أو غيرها، فقد عَزَوا ذلك بسبب هذا التَّشابه الكبير في القَصص بين التَّوراة والإنجيـل إلى أنَّ القرآن من تأليف النبيِّ محمـد (ص)، وأن معلوماته في هذا القَصص مُستوحاةٌ من أخبار الديانتَين: اليَهودية والنّصرانية، أو منقولة عنهـما من نحو: قِصص الطُّوفان والخَلـق وخُروج النبيِّ موسى من مصر وقِصّة النبيِّ يوسـف، وغيرهـا من القِصص الأخرى التـي ضمَّتْها الكُتُب المُقدَّسة المذكورة"[1].

إذنْ فأوَّلُ ما يظهر لنا -في موقف المسـتشرقين مـن النصِّ القرآني- الجورُ وعدم الإنصاف، وهذا يُؤدِّي إلى فسـاد النتائج المُسـتخلَصة بالأسـاس. لأنَّهـم تَعاملوا معَه على أنَّه كلام غـيرُ إلهيٍّ، وإنَّما عَدُّوهُ مُنتَجًا بشريًّا، فقد تَعاملوا معه -كما يُؤكِّد أحدُ الباحثين- على طريقة اللاهوت الطَّبيعي، وفرقٌ كبير بين اللاهوت الطبيعي والقرآن الكريم، ذلك أنَّ "اللاهوت الطبيعي هو قراءة كتاب الطبيعة، وليس كتاب الوحي الذي نَعرِفُ به اللهَ"[2]. وأصحابُ

1 - عادل عباس النصراوي: "محتوى النص القرآني في فهم المستشرقين"، ص.ص. 3، 4.

2 - Robert G. Morrison: “Natural Theology and the Qur'an”, p. 1.

اللاهـوت الطبيعـي هم أولئك الذيـن يَزعمون أن معرفة اللـه لا يمُكن أنْ تكتسَـب إلا مـن خلال الطَّبيعة، ومن ثَمَّ اسـتبعدوا الكتبَ السَّـماويّةَ في معرفتهم المَزعومـة، مُعتمدينَ على العقل وتَجاربهـم العادية، بدَعوى أنَّ الطبيعـة تَكشـف لنا عمّا نَحتاجُه مـن معرفة الله تعالى، وهـذا قادَهُم إلى التَّعامُل مع الكُتب المُقدَّسـة، ومنهـا القرآن الكريم، وكأنَّها لا تَختلف عن أيِّ كتاب بشري، فحدَثَ ما حدَثَ من جور وعَدمِ إنصاف.

إنَّ الدراسـات الاسـتشراقية الغربية المعاصرة، وبالخصوص الاسـتشراق اليهـودي ورَبيبه الاسـتشراق الإسرائيـلي، أخذ في توجيـه الاهتمام ناحية القَصص القرآني، نتيجةَ التَّشـابُه القائم بينَه وبين قَصص التَّوراة والإنجيل، وهو الأمر الذي يَرى أحدُ الباحثين أنَّ له خَلفيّةً تتعلَّق بكتابات الاستشراق اليهـودي حـول هذه القضيـة، والتي يَراهـا الباحث أنَّها تطـوَّرَت حديثًا، وأصبحَت تُطرح في إطار دراسـة ما بات يُعرَف في الاستشراق الإسرائيلي بقصـص الأنبيـاء المشـتركين بـين اليهودية والإسـلام، أو المشـتركات بين اليهودية والإسـلام، وكذلـك فيما يتعلَّق بالحوار الدِّيني بين الإسـلام واليَهوديـة من جانب، وبين الأديان التَّوحيدية السَّـماوية الثَّلاثة من جانب ثان[1].

وقد تعدَّدَت مواقفُ المستشرقين وألوان النَّقد التي وجَّهوها للنَّص القرآني، وهي كلُّها مواقفُ مَبنيّةٌ على أرضيّةٍ واحدة، وهي أنَّ القرآن بزَعمهم صناعةٌ بشرية مُحمَّدية، وسوف نقفُ على مزاعم هؤلاء في السُّطور القادمة.

1 - أحمد البهنسي: الاستشراق والاستشراق الإسرائيلي (2/1).

ويمُكن القولُ إنَّ القراءة الدِّينية العقدية من أشدِّ القراءات التي يَنطلق منها الاستشراقُ القديم والمعاصر في الغالب، لأنَّ النَّظرة إلى الإسلام على أنَّه دينٌ من صُنع محمد لا زالَت تَستحوذ على العقلية الاستشراقية، نتيجة الهدف الدِّيني الذي تَسعى إليه، وهو الإعلاء من اليهودية أو المسيحية، حسب العقيدة التي يَنتمي إليها كلُّ مستشرق.

وهذا ما نجدُه في الاستشراق اليَهودي، ومن بعده الاستشراق الإسرائيلي المعاصر، يَقول أحدُ الباحثين: "والهدفُ الأوَّلُ من وراء الاستشراق اليهودي هو هدفٌ دينيٌّ بحتٌ، لا ريبَ فيه على الإطلاق، ويتمثَّل في محاولة إضعاف الإسلام وتَشويهه والتَّشكيك في قِيَمِه، عن طريق إثبات فضل اليَهودية عليه، والزَّعم بأنَّ اليهودية هي مصدر الإسلام الأوَّل"[1].

ويمُكِنُنا القولُ إنَّ الآراء اليهودية المُنبثِقة من القراءة العقدية كان لها نفوذُها في الحركة الاستشراقية قاطبةً، بل لقد تحكَّمَت في الذِّهنية الاستشراقية إلى وقتنا الحاضر، فالفكرة المُسيطِرة على الذِّهنية الاستشراقية، فيما يتعلَّق بالقرآن وشخصية النبي محمد، صنعتها أقلامُ الاستشراق اليهودي، وشاركت في ذيوعها ونَشرها، إلى أن وصلَت إلى الاستشراق المعاصر، وهي الفكرة التي تقوم على تأثُّر النبي محمد باليَهود في عصره، واقتباس القرآن والقَصص القرآني خاصة من التَّوراة. والغريبُ في الأمر أنَّ تلك المزاعم تمَّ ترديدها منذ بداية البعثة المحمدية، ورَدَّ عليها القرآن منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام.

1 - محمد جلاء إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، ص84.

وقـد ذهـب بعضُ الباحثـين إلى أن (روبـين) كشـف في ترجمته لمعاني القـرآن الكريم عن دوافع جدليّـة ودينية، إضافة إلى دوافـع أخرى حَرَّكَتْه نحو ترجمته، بدليل أنَّها تقوم على محاولة الطَّعن في القرآن ذاته، والادِّعاء بأنَّـه ليـس من مصدرٍ إلهـيٍّ، وأنَّه صناعـة بشرية، وعمـد في مُقدِّمته إلى اسـتخدام الفعل العبري יצר (يتسـار) بمعنى أنتجَ الشَّيءَ أو صنعَه بيدَيه ونَسـبَه إلى النبي محمـد (صلى الله عليه وآله وسـلم)، للإيماء بأنَّ القرآن الكريم من صُنع يديه، وفعل ذلك رغم وجود كلمة השראה التي تَعني (الوحي). واسـتند (روبـين) في زعمه هذا على ما يدَّعيـه بعضُ الباحثين اليهود من أن القرآن الكريم ليس مُنَزَّلاً من الله إلى رسـوله الكريم، بل إنَّه كُتِبَ أو أُلِّف (استخدم المترجم الفعل العبري المشتق من مادة כתב كُتب) خارج الجزيرة العربية بعد وفاة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بسنوات طويلة[1].

هذا فضلاً عن أنَّه قد مهَّد لادِّعائه هذا في كتاب له صدر قبل عدة سـنوات تحت عنوان התנ"ך והקוראן (التناخ والقرآن)، أي: العهد القديم والقرآن، حين ذهـب إلى أنَّ القرآن ركَّزَ على قضية اختيـار الله لبني إسرائيل؛ حتى يُؤكِّدَ على أنَّ هؤلاء أخَلُّوا بالتزاماتهم تجاهَ الله، وبسبب ذلك حكم عليهم بالتشـتُّت، وأنَّ القرآن يحاول إثباتَ ذلك بالإكثار من الإشارة إلى القِصص الـواردة في العهـد القديم، وتتحدَّث عن الآثام التـي ارتكبها بنو إسرائيل،

1 - انظـر: محمـد محمود أبـو غدير: "ترجمـة أوري روبين لمعاني القـرآن الكريم بالعبرية".

وهم في طريق خروجهم من مصر إلى الأرض الموعودة[1].

ونحن نعتقد أنَّ تلك القراءة ذاتَ النَّزعة العقدية تَنطلق أولاً لإثبات مجموعة من المعلومات السابقة التي يُحاول فيها الباحثُ تأكيدَها بشتَّى السُّبُل -دون مُراعاة لأدبيّات ومُنطلَقات وأُسُس المناهج العلمية- من أجل تمَرير قراءته الدِّينية، ومحاولةِ إجبار الآخر على الانصياع لها، وكسب تعاطُف وتأييد أتباع تلك العقيدة التي يَنتسب إليها.

ومن ثَمَّ فإنَّنا نعتقد أنَّ القراءة العقدية للاستشراق قراءة عبثية، تُعدُّ نتيجةً منطقية لتلك القراءات المُتحيِّزة ضدَّ الإسلام، والتي بَنى عليها الاستشراقُ القديم أركانَه، لأسباب تتعلَّق به وحدَه، وهذا هو السبب الجوهريُّ في كونه لم يصِلْ في الماضي إلى فَهم جيِّد للإسلام كدين وحضارة، كما أنَّه لن يتمكَّن من الوصول إلى هذا الفَهم في الحاضر والمستقبل، ما دامَتْ تُسيطِرُ على عقل المستشرق ووجدانه عواملُ التحيُّز المختلفة، ومن ثَمَّ فلا أملَ في إصلاح الحال ما دام الاستشراقُ يستمرُّ على حاله، وتتحكَّم فيه دوافعُه وأهدافه غير العلمية[2].

1 - نقد الغاية العقدية عند (أوري روبين)

ويُمكن القولُ إنَّ الغاية العقديّة تَبرُزُ بوضوح في ترجمات المستشرقين، خاصّةً عند (أوري روبين)، المستشرق اليهودي المعاصر، فهي ترجمةٌ

1 - انظر: محمد محمود أبو غدير: "ترجمة أوري روبين لمعاني القرآن الكريم بالعبرية".

2 - محمَّد خليفة حسن: أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص.ص. 276، 277.

تَـرى في القرآن كتابًا يُنـازعُ عقائدَهم، وقد كانت هـذه الفكرة مُتغلغلةً في أعـماق (روبين)، وهو بصدد التَّرجمـة، ومن ثمَّ حاول في ترجمته الإيحاءَ ببشريّة المصدر القرآنيّ، وأنَّه من صُنْع سيدنا محمّد، وهذا يُفسِّر لنا العديد من الملاحظات التي وقع فيها أثناء هذه الترجمة.

وهذه الغاية تفسِّر وقوفَه عند عدد من الألفاظ أو الجمل في الآيات القرآنيّة، وتفسـيرها بما يتناسـب مع ما جاء في العهد القديم مثلاً، فترجمةُ الآية في ضـوء فَهم المُترجِم لآيـات العهد القديم أو الجديد، وتَفسـير معانيها في ضوئـه، تمُثِّل أوضحَ المظاهر على تغلغُـل الغاية الدِّينيّة في هذه التَّرجمة.

وإهمال المُترجِم التفاسيرَ الإسلاميّة، والبحث عن مُبتغاه في كتابه العقديّ الذي يُؤمن به، دليلٌ على هذه الغاية وأثَرٌ من آثارها.

كما تَظهر هذه الغاية في التعصُّب لكلِّ ما هو عقديٌّ يُمثِّلُه، والتعصُّب ضدَّ الإسـلام في كثير من القضايا، فقد كانت النَّظرة إلى أنَّ الإسـلام دينٌ جاء ليَمحوَ الأديان الأخرى السابقة عليه تتحكَّم في بعض توجُّهاته أثناء عمليّة التَّرجمة.

يَعـترف (أوري روبين) في مقدِّمته بأنَّ ترجمتَه لن تَصِلَ إلى حدِّ المصداقيّة الكاملـة، وأنَّ هدفَه الذي يَصبو إليه هو أن تَحظـى ترجمتُه بالثِّقة[1]. وهذا -في الحقيقـة- يتضمَّن اعترافًا منه بأنَّ ترجمتَه ناقصة، وهذا يَعود في ظنِّنا إلى أنَّ ألفـاظ القـرآن تبلغُ درجةً من الدقّة والبلاغة بحيث لا تسـتطيع أيُّ

1 - مقدمة روبين لترجمة معاني القرآن الكريم، ص 13. نقلاً عن: محمد محمود أبو غدير: ترجمة أوري روبين لمعاني القرآن الكريم بالعبرية (عرض وتقويم)، ص 11.

ترجمة أن تَفِيَها حقَّهـا من الدلالة، أو أنْ تَنقل صُوَرَ اللَّفظ والجمل بالدقّة والبلاغة نفسها. حتّى مع القول بأنَّ ترجمة (روبين) ترجمةٌ تَفسيريّة تُحاول أن تَنقل التَّفسيرَ لا الدلالةَ الحرفيّة، فإنَّها تظلُّ في النِّهاية ترجمةً لا تُعبرِّ عن مضمون النصِّ القرآنيّ.

وهـذا يَعني أنَّ لغة القرآن هنا تتعرَّض للتَّجنِّي، كون المُترجِم -سـواء أكان روبـين أو غـيره- لا يَسـتطيع الوفاءَ بمتطلَّبـات ترجمة هـذه اللُّغة، ونقل بلاغتهـا وبيانهـا كما هو في لغة القـرآن العربيَّة الأصليّة، ولا شـكَّ في أنَّ اتِّسـاع هذه اللُّغة وكثرة دروبها التي تدلُّ على قوَّتها ليست أمرًا مشاعًا لكلِّ وارد، ومـن ثَمَّ يجد المُترجِـمُ صعوبةً في الوفاء بمُتطلَّباتهـا، ومن ثَمَّ فإنَّ تَجنِّـى التَّرجمة على لغة القرآن يَحمل جانبَـينِ: الأوّل اللُّغة ذاتها، والثاني شخصيّة المُترجِم ذاته وقلّة حيلته تجاهها.

وفي ذلـك يقـول أحدُ الباحثـين: "وفي محاولةٍ منه للتغلُّـب على مُعضِلة عجزِ اللُّغة العبريّة عن استيعاب النصِّ القرآنيّ، وعن تَوفير الألفاظ العبريّة القادرة على التَّعبير عن العديد من معانيه، عمل -كما ذكر الدكتور (يوسف سـدان)- على بلورة رداءٍ لُغـويٍّ عبريٍّ يُوازن عن طريقـه بين الحاجة إلى اسـتخدام لغة عبريّة تُناسـب القارئ المعاصر وبـينَ الحاجة إلى الحفاظ على قدرٍ من روح النصِّ القرآنيّ المقدَّس، ثمَّ وجد نفسَه في نهاية المطاف يَسـتخدمٍ أسلوبًا يَبتعد عن رونق البلاغة القرآنيّة، ويَلتزم بصورة أكبر بصيغٍ تتمشَّى مع اللُّغة العبريّة العصريّة السـائدة لـدى المتلقّي ... أي أنَّ حاجةَ المُتلقّـي إلى من يُخاطبه بمسـتوًى أسـلوبيٍّ مُعينَّ، هو الـذي أملى على المُترجِـمِ اختيارَ النَّهج الذي سـلكه في ترجمته، ممّا أدَّى إلى الابتعاد عن

بلاغة النصِّ القرآنيّ وسحر بيانه. ويُصبح القول البيِّن في هذه القضيّة هو أنَّ روبين أراد أن يُثبت أنَّ اللغة العبريّة قادرة على استيعاب المَفاهيم الثَّريّة لمعاني القرآن الكريم، وأنَّها – أي العبريّة – ليست مُهدَّدةً بالزَّوال."[1].

ويمُكن القولُ إنَّنا سوف نقرأ ترجمتَه بصورة نقديّة من جانبَين فقط لهما علاقة بلغة القرآن من خلال ترجمته لمعاني القرآن الكريم وهما:

- جانب التَّرجمة المتعلِّقة باللَّفظة الواحدة.
- جانب التَّرجمة المتعلِّقة بالنصِّ ككلّ.

أ - ترجمة روبين لألفاظ القرآن

تمُثِّل ترجمةُ (روبين) لألفاظ القرآن تَعدِّيًا على لغة القرآن في علاقتها بالمعنى الفَصيح؛ حيث ترجمَ بعضَ الألفاظ ترجمةً لا تتعلَّق بالمعنى المُراد لها في القرآن، إمّا جهلاً باللغة العربيَّة، وإمّا تمريرًا لقضيّة دينيّة أو سياسيّة يَقصدها، وقد استخرج بعضُ الدَّارسين العديدَ من الأخطاء المتعلِّقة بهذا الجانب، منها:

لفظ "المائدة": ورد في سورة المائدة قول الله -تعالى-: ﴿**إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [المائدة: 112]، وقوله -سبحانه-: ﴿**قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [المائدة: 114].

1 - انظر: محمد محمود أبو غدير: "ترجمة أوري روبين لمعاني القرآن الكريم بالعبرية"، ص.ص. 11-12.

المستشرقُ المعاصر (أوري روبين) استخدم في ترجمة اللَّفظ معنًى مُخالفًا لما هو عليه في الآية الكريمة؛ حيث استخدمه بمعنى المائدة المُعَدّة الجاهزة، وهذا المَعنى له دلالات أخرى عند اليهود، ومن ثَمَّ يقول أحدُ الباحثين: "أمّا (روبين) فاختار مُقابلاً لكلمة المائدة مُصطلَحًا دينيًّا معروفًا في الكتابات الدينيّة اليهوديّة وهو: 'شولحان عاروخ'، والمعنى الحرفيّ لـ 'شولحان عاروخ' هو (المائدة المُعَدّة أو الجاهزة)، ولكن حدثَ أن تقمَّص هذا المصطلح بُعدًا دينيًّا خاصًّا باليهود فقط، حيث أطلقَه الحاخام اليهودي (يوسف كارو) في عام 1565م اسمًا على كتاب له وضعه في حينه، وجمع فيه جميعَ الفرائض والفتاوى الدِّينية اليهودية، وعند ذكر هذا المصطلح بين اليهود يكون المقصود به هو كتاب (يوسف كارو)"[1].

ولكنْ لماذا أطلقَ (روبين) لنفسه العنان لترجمة لفظ المائدة على هذا المعنى؟! هل الأمر يتعلَّق بعنوان كتاب (يوسف كارو)؟! أم يتعلَّق بمضمون هذا الكتاب؟! إنَّنا نعتقد طبقًا للسِّياق العام المتعلِّق بفهمنا للشخصيّة اليهوديّة، وخصوصًا فيما يتعلَّق بنواياها الاستشراقيّة، أنَّ (روبين) يحاول من طرف خفيٍّ أن يُشير إلى مضمون الكتاب، ليَكون ضمن النَّسيج العام لفكرته حول اقتباس القرآن من التَّوراة، فهو يَستغلُّ ترجمةَ اللَّفظ على هذا النحو ليُشيرَ إلى شبهات مُتعلِّقة بعلاقة القرآن بالتَّوراة اليهوديّة. ومن ثَمَّ فبما أنَّ كتاب (كارو) يتضمَّن الفتاوى والفرائض اليهوديّة، فما المانع

1 - انظر: محمد محمود أبو غدير: "ترجمة أوري روبين لمعاني القرآن الكريم بالعبرية"، ص 19.

مــن أنْ يُلْبِسَ على اليَهود الذين ترجم لهم معــاني القرآن ويُوحي لهم بأنَّ المائدة في القرآن هي جملة الفرائض والفتاوى اليهودية التي أخذَها محمد مــن اليهودية وضمَّنها كتابَه المُســمَّى بالقرآن!! فكــرة خبيثة في رأيي، ولا تُنتَجُ إلاّ مــن عقليّة متعصِّبة لعقيدتها، ضاربة عرض الحائط بكلِّ الأعراف العلميّة والطُّرق المنهجيّة.

وترجمتُــه هنا تمُثِّل نوعًا من الاعتداء على لغة القرآن، بل يمُكن أن تُعدَّ من قبيل التَّزوير اللُّغويّ؛ لأنَّه نقلَ عمدًا صورة مغايرة للَّفظ عمّا هو موجود في لغته الأصلية أو لغة النصّ القرآنيّ، لأهداف دينيّة هدفُها إشعار الأنا بفوقيّة واستعلائيّة على أتباع النصِّ المُترجَم، باعتباره في ظنِّه نصًّا مَسروقًا منها أو على أقلِّ تقدير مُقتبَسًا من نصوصها.

كما أنَّ ترجمة المستشرق (روبين) هنا تَقضي على البلاغة التي تَقوم عليها لفظــةُ "المائدة"؛ إذ المقصود هنا الطَّعام، إذ المائدة تَعني الطَّعامَ الموجود في مكانه المُعدِّ للأكل، ولا تُســمَّى المائدةُ مائدةً إلا إذا كان عليها طعام، فالوجــه البلاغــي إذنْ يَقــود إلى أنَّ الحواريِّين طلبوا طعامًــا؛ لأنَّ الطَّعامَ يُســمَّى مائدة على الجِوار، لأنَّه يُؤكَلُ عليها. هذا الوجهُ البلاغيُّ نفتقدُه في ترجمة (روبين) الذي جعل المَعنى مُنصبًّا على المائدة لا الطعام.

لفظ "فاطر": ورد في عدّة سور، لكنَّنا سنقف هنا عند وُروده في سورة فاطر؛ حيث يقول الله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلًا أُولِى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِى الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [فاطر: 1].

المســتشرق (أوري روبين) لجأ في ترجمته لهذا اللَّفظ إلى معنًى بعيدٍ، في

الوقت الذي كان لديه أن يَستعين بالمُقابل العِبريِّ المباشر، إذ "رغم وجود المُقابـل العبريّ المباشر لكلمة فاطر، وهو 'بوريه' بالعبريّة، أي الخالق أو المُبـدِع للكون، وهي كلمة وردَت في الإصحاح الأول من سـفر التكوين عن خلـق الله للكون، فـإنَّ (روبين) ترجـمَ الكلمة إلى الكلمـة العبريّة: 'هايوتسير' بمعنى المُنتِج للشَّيء الماديّ أو الفنيّ، ولا تَصلح لخلق الكون والبشر."[1]. ولا شـكَّ في أنَّ بينَ المَعنيَينْ بونًا شاسـعًا. لكنَّا لا نسـتغرب من موقف (روبين) هـذا، لا لشيء إلّا لكونه امتدادًا طبيعيًّا لتصوُّر العَقليّة اليهوديّـة للإله، ونظرتها إليه نظرةً مادية بحتة، تتأسَّـس على تحقيق أطماع بني إسرائيل في الأرض.

إنَّ الإلـه في تصوُّر هـذه العقليّة قريبٌ في صفاته من البشر، فمَسـكنُه في الأرض وليـس في السـماء أو في أيِّ جانـب غيبيٍّ، ومفهـوم اليوم الآخر محصـور في الدُّنيا وعـلى الأرض وليس مفهومًا غيبيًّـا، والحياة اليهوديّة مبنيّة على امتـلاك أرض كنعان كمقدِّمة لامتلاك الأرض وحُكمها، وجمع المـال وامتـلاك السـلطة لتحقيق ذلك، والثَّـواب والعقاب مـاديٌّ وليس معنويًّا، ويرتبط بتحقيق طموحات إسرائيل أو عدمها في العقاب[2]. فليس مـن المتوقَّع إذن من شـخصيّة يهوديّة حتَّى النخاع كـ (أوري روبين) أن يكـون تصوُّره عن الإلـه مغايرًا للتصوُّر اليهـوديِّ العامّ، وليـس غريبًا أن

1 - انظـر: محمـد محمود أبـو غدير: "ترجمـة أوري روبين لمعاني القـرآن الكريم بالعبرية"، ص.ص. 20 - 21.

2 - انظـر: علاء هيلات؛ ومحمد الجمل: الدور الوظيفـي المادي في تصور اليهود للإله من خلال سفر التكوين، دراس تحليلية نقدية في ضوء القرآن الكريم، ص238.

يَنطبـع هـذا التصوُّر في فهمه لمفهـوم "فاطر"، لكـنَّ الغريب في الأمر أن يَسـير بالنـصِّ القرآنيّ إلى محاولة تصـوُّر ماديّ للإله بعيـدٍ كلَّ البُعد عن الإسـلام، قريبٍ كلَّ القرب من اليهوديّة، في صورة تَشي بنوع من التَّلبيس على القارئ اليهوديِّ ذاته.

ليس هذا فحسـب بل إنَّه باجتـماع المكوِّنات المعرفيّـة للعَقليّة اليهوديّة، التـي كتبَتِ التَّوراةَ في التاريخ اليهوديِّ، وانعكاسـات مراحل هذا التاريخ وآلامـه وخيباته وتناقضاته، بالإضافة إلى نفسـيّة اليهود الطَّامعة بلا حدود حسب أحد الباحثين، فنجد تصوُّر اليهود للإله هو تصوُّرٌ وظيفيٌّ مقاصديٌّ ماديٌّ يخدم مصالح الشـعب اليهوديّ فحسب، وليس تصوُّرًا يخدم قضيّة الإيمان بالإله وكيفياتها، وإنَّما هو دور يَخدم قضيّة إيمان اليهود بأنفسـهم وبطموحاتهـم في هذه الأرض[1]. وهذا كلُّه يدلُّ على أنَّ التكوين المعرفيَّ لليهود -بمن فيهم (روبـين)- يُؤمن بتصوُّر ماديٍّ للإله، ومن ثَمَّ عمد هذا المستشرق إلى محاولة إلصاقه للقرآن، ونزع التصوُّر القرآنيّ الصحيح عنه، للإيحاء باقتباس القرآن هذا المفهوم من التَّوراة، هذا الإيحاء الذي يتماشى مع تصوُّرهم للإسلام في أنَّه اقتباس يهوديٌّ بصناعة محمّديّة.

لفظ "فضّلتُكم": يقول الله تعالى: ﴿**... وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [البقرة:122]. وقد ترجَم المستشرق أوري روبين "فضَّلتُكم" ترجمةً أفضَت إلى معنًى غيرِ المعنى المراد في القرآن، فـ (روبين) لم يأخذ بعين الاعتبار

1 - انظـر: علاء هيلات؛ ومحمد الجمل: الدور الوظيفـي المادي في تصور اليهود للإله من خلال سفر التكوين، دراس تحليلية نقدية في ضوء القرآن الكريم، ص238.

في ترجمته أنَّ هذا الفعل فعلٌ ماضٍ، إذ لم يكن اليهود موضعَ تفضيل على العالمين عندما نزل القرآن على نبيِّنا الكريم، فالآية جاءت في سياق الذَّم والتَّوبيخ لليهود من الناحية البلاغية؛ لأنَّهم كذَّبوا بسيدنا محمد، على الرغم ممّا أنعم الله تعالى به عليهم من نِعَمٍ في السابق، "من خلال ما سبق يتبيَّن لنا أنَّ اختيار (روبين) في ترجمته استخدام المصدر: "رَفعي إيّاكم" بمعنى تَفضيلي إيّاكم، بدلاً من صيغة الماضي: "رفعتُكم" ليس مُوفَّقًا؛ لأنَّه لا يخدم المعنى بدقّة؛ إذ إنَّ التَّفضيل في الماضي وليس الآن. ونُجمل النِّقاشَ في هذه الآية بنتيجة مُؤدّاها أنَّ (روبين) يُكثر من استعمال صِيَغِ الفعل الماضي بدلاً من المضارع، وهو أسلوب متَّبَعٌ في ترجمته كلِّها، ويَهدف (روبين) من خلال هذا الأسلوب إلى الوصول إلى القارئ العاديِّ المعاصر للعبريّة"[1]. لكن وعلى الرغم من وجاهة هذا الرَّأي الذي انتهى إليه مُتقنو اللُّغة العبريّة من الدارسين العرب -إذ لا يُمكن منازعتهم فيه لإتقانهم هذه اللُّغة ودروبها- إلّا أنَّ ترجمة (روبين) هنا تقودنا إلى تساؤل لا يُمكن تجاهلُه، وهو أنَّه إذا كان (روبين) يُكثر من استخدام الفعل الماضي بهدف الوصول إلى القاعدة العريضة من اليهود المعاصرين، فلماذا لم يَلتزم بقاعدته هذه فيما يتعلَّق بالفعل الماضي "فضَّلتُكم" وخالفها إلى المصدر، رغم أنَّ السِّياق حقُّه الماضي بالفعل؟! إنَّنا نعتقد أنَّ هذا البُعد العقديّ هو الذي دَعاه إلى التخلِّي عن هذا الأمر؛ لأنَّ التزامه

1 - انظر: ناصر الدين أبو خضير: "ترجمات القرآن الكريم إلى العبرية.. ترجمة روبين نموذجًا"، ص.ص. 93، 94.

بترجمة السياق القرآني بدقّة سوف يُناقض عقيدة "شعب الله المختار" التي يتغنَّى بها اليهود، فليس من المقبول في العقيدة اليهوديّة أن يَقول لهم إنَّ الله تعالى كان قد فضَّلَهم في السابق، وإنَّما اختار صيغة المصدر المُبهَمة التي لا تَشي بزمن، وهذا هو المطلوب بالنسبة إليه. وهذا يُعدُّ في نظرنا تلبيسًا على القارئ من جانب، وعلى عدم الأمانة العلمية من جانب ثان، هذا التَّلبيس وعدميّة الأمانة هما اللَّذان قادا (روبين) إلى التغوُّل على اللغة العربيَّة، وتَحميلها معانيَ ليست لها، يَرفضها السِّياق، وتَرفضها اللُّغةُ العربيَّة ذاتُها.

كلمة "استوى": في قول الله تعالى: ﴿**... ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ ...**﴾ [البقرة: 29]، ترجم المستشرق (أوري روبين) "استوى" بمعنى حلَّقَ في السَّماء[1]. وهذه الترجمة فيها تشويه للغة القرآن من جانب، ولمضمون الصِّفات الإلهيّة في القرآن من جانب آخر، كونها تَقوم على عوارٍ واضحٍ في فهم اللُّغة من جانب، وعوارٍ في فهم أصول العقيدة الإسلاميّة من جانبٍ ثان، ويمُكن بيان هذا العوار في الآتي:

ج. ترجمة روبين تحمل تجسيمًا وتشبيهًا للذات الإلهيّة، وهذا لا يَليق بها؛ لأنَّ ترجمة الفعل "استوى" بمعنى حلَّقَ فيه تجسيم للذات الإلهيّة، وقياس لعالم الغيب على عالم الشهادة.

د. مخالفة (روبين) بهذه الترجمة لما أجمع عليه المسلمون من نَفي

1 - انظر: ناصر الدين أبو خضير: "ترجمات القرآن الكريم إلى العبرية.. ترجمة روبين نموذجًا"، ص96.

التَّشبيه والتجسيم عن الذات الإلهيّة، وهو مذهب المُحقِّقين من علماء المسلمين.

ه. ترجمة (روبين) هنا لا تتَّفق مطلقًا مع أيٍّ من التفاسير الأربعة المعتمدة عنده، بل تُخالِف كلَّ التَّفاسير، دون استثناء، مخالفةً صريحة.

إنَّنا بصدد قضيّة الاستواء على العرش خاصّة، والصِّفات الإلهيّة في القرآن عامّة، أمام ثلاثة آراء: الأوّل، الإيمان بالصِّفات والتمسُّك بها في القرآن دون تكييف أو تشبيه أو تجسيم أو تعطيل، والثاني، تأويل الآيات بما يُنزِّه الذاتَ الإلهيّة وفق مقتضيات اللغة العربيَّة، والثالث، التمسُّك بظاهر النصّ، وتشبيه الصِّفات الإلهيّة بصفات الإنسان.

وقد اختار (روبين) أن يكون في صفِّ المُشبِّهة المَرفوض مذهبهم إسلاميًّا، فصار على المَوقف الثالث؛ حيث تمسَّك بظاهر الاستواء، وتشبيه هذه الصفة الإلهيّة بصفة البشر، فقال بالتَّحليق، وهذا لا يَليق بالله، وإنَّما يَليق بالبشر، في الوقت الذي التزمت فيها التَّفاسير الأربعة التي جعل منها مرجعًا له موقفَ التأويل، تأويل الاستواء على أنَّه صعود أمره إلى السَّماء، أو قصد إليها بإرادته، أو تَوجَّهَت إرادته، أو أقبل إلى خلق السَّماء[1].

لكنَّنا نرى أنَّ النَّظرة الماديّة للإله في العقيدة اليهوديّة هي التي أدَّت بـ

1 - انظر: ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، ج1، ص49. & انظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج1، ص66. & انظر: جلال الدين السيوطي؛ وجلال الدين المحلي: تفسير الجلالين، ص8. & انظر السمرقندي: بحر العلوم، ج1، ص39.

(روبـين) إلى هذه الترجمة، فهو نتاج هذه العقيدة، وآراؤه في ترجمة القرآن تعـدُّ تأثـيراً واضحًا من تأثيراتها فيه، ومن ثَمَّ فهو لم يسـتطع أن يَحيد عما رسمَتْه له عقيدتُه، لكن كان عليه أن يكون أمينًا، وأن ينقل المعنى الحقيقيَّ الموجـود في التفاسـير الإسـلاميّة، التي اتَّخذ مـن أربعة منهـا مرجعًا له باعترافـه، لكنَّـه لم يُعِرْها في رأيـي اهتمامًا يُذكر، ولم يَسـتنزِلْ بها كثيراً في ترجمته.

ومن ثمَّ فإنَّ ترجمة الألفاظ المُفردة التي قام بها (روبين) في ترجمته للقرآن كان يَشـوبها كثيرٌ مـن الأخطاء التي حدثَت عن عَمـد أو عن جهل باللغة العربيَّـة، لكنَّنا نُرجِّح فرضيّة العَمد، خاصّـة أنَّ هناك العديد من ترجمات الألفـاظ التي قـام بها تَبِعَ فيها (روبـين) عقيدتَه، أو أثَّـرَت عقيدتُه فيه في ترجمته لها، بصـورة نقلَتْها من كونها ترجمة جيّدة إلى كونها ترجمة مُزيَّفة تُؤسِّس لصراع بين الأديان، وليس إلى إقامة أُطر حضاريّة بينها.

ب - الترجمة التفسيريّة المتعلّقة بالنصّ

ونقصـد بهذه الترجمة تلـك التَّعليقـات والهوامش التي ذيَّـلَ بها (أوري روبـين) الهوامـش والحـواشي والتعليقات عـلى ترجمته لألفـاظ القرآن الكريم، وهذه التَّرجمة التَّفسـيرية لا تقوم على ترجمـة ألفاظ النصِّ بقدر ما تقوم على تفسير النصِّ وفق بُعدٍ عقديّ/أيديولوجيّ تمسَّك به (روبين). كما نقصد بها تلك التَّرجمة التي حاول فيها (روبين) أن يُفسِّر النصَّ ولغتَه بانتزاعهـما من سـياقهما، ووضعهما في سـياقٍ آخـر مُغاير ظهـرَ فيه بُعدٌ عقـديٌّ / أيديولوجيٌّ أيضًا، ضاربًا عرض الحائـط بقواعد اللُّغة والبلاغة، فلـكي يصبغ (روبين) النصَّ بصبغة توراتيّة حـاول أن يُقدِّم القرآن على أنَّه

اقتباس محمّديّ من التَّوراة، في صورة تكشف عن الأغراض الحقيقيّة التي ساق من خلالها هذه التَّرجمة المُحرَّفة في ظنّي. ويمُكن النَّظر إلى هذه التَّرجمة على أنَّها "شرح الكلام وتوضيحه وبيان معناه بلغة أخرى دون رعاية لترتيب الأصل ونظمه، ومن غير الحفاظ على جميع المعاني المُرادة منه"[1].

ويمُكن أن نمثِّل لهذه الترجمة التفسيريّة بمجموعة من النَّماذج الدالّة على ذلك، من خلال ما طرحه روبين من شروحات أو تعليقات على بعض الآيات القرآنية، وهي:

قول الله تعالى: ﴿**... إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ ...**﴾ [البقرة: 69]، حيث علَّقَ (أوري روبين) على هذه الآية في الحاشية بأنَّ: "الآية صدًى لنصٍّ في التَّوراة يتحدَّث عن أحكام البقرة الحمراء التي يُضحَّى بها في عيد الفصح."[2].

وهذا يمُثِّل انحرافًا واضحًا عن لغة النصّ القرآنيّ. فمَن قال إنَّ صفراء تَعني في اليهوديّة حمراء؟ ألا يَعني هذا انحرافًا في التَّرجمة وقصورًا في التفسير؟! بل ألا يدلُّ ذلك على أنَّ المُترجِمَ في ترجمته التَّفسيريّة يَقوم بلَيِّ عنق النصِّ القرآنيّ في لغته الواضحة لتَمرير أيديولوجيّة عقديّة معيَّنة؟

ويتأكَّد هذا كلُّه عند تفسيره لقول الله -تعالى-: ﴿**... مُسَلَّمَةٌ لاَ شِيَةَ فِيهَا ...**﴾ [البقرة: 71]، حيث تَرجمها بمعنى: «بقرة حمراء خالية من العيوب،

1 - شاكر عالم شوق: ترجمة معاني القرآن الكريم ودور المستشرقين فيها، ص60.

2 - انظر: ناصر الدين أبو خضير: ترجمات القرآن الكريم إلى العبرية .. ترجمة روبين نموذجًا، ص.ص. 84، 85.

وهذه التَّرجمة لا تمُثِّل النصَّ القرآنيّ تمامًا؛ لأنَّها تَخلو من الجملة: لا شِيةَ فيها، التي تركَها المترجم، مُتصرِّفًا وفق ما يشاء، في نقل نصٍّ دينيٍّ"[1].

وموقفه هنا يَشي بأمرين:

- الأوّل، موافقته لعقيدته أو لنَقُلْ تَغليبه لعقيدته على المنهج العلميِّ والأمانة العلميّة في التَّرجمة؛ حيث يتصرَّف في النصِّ حسبما تُوجِّهُه عقيدتُه اليهوديّة.
- الثاني، مخالفتُه للتَّفاسير الأربعة المُعتمَدة لديه. فهذه التَّفاسير فسَّرَت "مُسلَّمةً لا شِيَةَ فيها" بأنَّ لونَها أصفَرُ لا يُخالِطُه لونٌ آخَرُ[2].

وهذا يَعني أنَّ هناك مخالفة صريحة من (روبين) لهذه التفاسير.

قول الله تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ...**﴾ [البقرة: 128]. كلمة (مسلمين) في هذه الآية يُراد بها الإخلاصُ والاستسلام لله تعالى في التَّفاسير التي استند إليها (روبين)[3]. لكن ما موقف هذا المستشرق في ترجمته لهذه الكلمة؟ يقول أحد الباحثين: "ولكنَّ اللافت

---

1 - انظر ناصر الدين أبو خضير، ترجمات القرآن الكريم إلى العبرية.. ترجمة روبين نموذجًا، ص85.

2 - انظر ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، ج1، ص77. & انظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج1، ص88. & انظر: جلال الدين السيوطي؛ وجلال الدين المحلي: تفسير الجلالين، ص15. & انظر السمرقندي: بحر العلوم، ج1، ص63.

3 - انظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج1، ص106. & انظر: جلال الدين السيوطي؛ وجلال الدين المحلي: تفسير الجلالين، ص27. & انظر السمرقندي: بحر العلوم، ج1، ص93.

أنَّه التزم بهذا التَّفسير الحرفيّ، ولم يَتركْها كما هي، ولكنْ بأحرف عبريّة، بمعنى اتِّباع الدِّين الإسلامي الذي جاء به محمّد عليه [وآله] الصلاة والسلام، وهو عكس ما فعلَه في ترجمة كلمة الأرض في سورة الإسراء، إذ استخدم التَّخصيص، فاعتبرها أرض إسرائيل، أي أنَّه لا يتَّبع مَنهجيّة ثابتة في تفسيره، فقد يُترجِم المعنى بتصرُّف، وفقًا لإسقاطات آية في التَّوراة يَعرفها، وقد يَخرج عن هذا المَنهج فيُترجِمُ ترجمةً حرفيّة"[1]. وهذا يَعني أنَّ لغة القرآن الكريم خضعَت لأهواء وميول (روبين) العقديّة، بحيث أضحَت التَّرجمة من اللُّغة العربيَّة إلى اللُّغة العبريّة رهينةً لأفكار مُسبقة لدى المُترجِم، وهذا يَكفي لإثبات ما تعرَّضَت له هذه اللُّغة -مُمثَّلة في كلمات القرآن- من تَشويه وتحريف مُتعمَّدَين. لذا فإنَّ أيَّ قضيّة، وردت في القرآن، ولها علاقة ببني إسرائيل، فإنَّ (روبين) يتحكَّمُ في ترجمتها وفق ميوله العقديّة، وهذه المُيول لا يُتوقَّع منها إنصافٌ للغة القرآن، ولا للمضامين والتَّعاليم المتضمَّنة فيها. ومن ثَمَّ فهو "يرى أنَّ التَّوراة هي الأصلُ الذي اعتمدَ عليه القرآنُ الكريم، وأنَّ في القرآن تَحريفاتٍ هدفُها الإعلاءُ من شأن إسماعيل، مقابل إسحاق ويعقوب، بما يَخدم المسلمين في دعوتهم إلى دينهم. وهذا تجنٍّ عظيم يتولىَّ فيه كِبْرُهُ (روبين)؛ إذ إنَّه يُشوِّه ترجمة معاني القرآن من جهة، ويَظلُّ محافظًا على منهج موحَّد طوال تفسيره، في اعتبار القرآن نقلاً غير أمين لما جاء في التَّوراة من جهة أخرى."[2].

1 - انظر: ناصر الدين أبو خضير: ترجمات القرآن الكريم إلى العبرية .. ترجمة روبين نموذجًا، ص87.

2 - انظر: ناصر الدين أبو خضير: ترجمات القرآن الكريم إلى العبرية.. ترجمة روبين نموذجًا، ص87.

وهذا يعني أنَّ (روبين) آلى على نفسه في ترجمة كلمة "مسلمين" وغيرها من كلـمات القرآن ألاّ يَنقل أو يُترجِمَ الكلمةَ بما هي عليه في محيطها اللُّغويّ والسـياقيّ، وإنَّمـا نقلَها وترجمَها وهـي مُحمَّلة بمعـانٍ مغايرة ومضامين معكوسـة، رجاءَ تشويه العقيدة الإسـلاميّة، وإظهارها بمظهر المُقتبِس من اليهوديّـة، فالتَّوراة عنده هي الأصل والقرآن الفـرع، وفي هذا الإطار خلع (روبـين) عباءة المُترجِم الأمين، ولبس عباءة الحـبر الأمين لعقيدته فقط، ولـذا فإنَّنا نعتقد أنَّ كثيراً من الأخطـاء التي وقع فيها (روبين)، وهو بصدد ترجمة معاني القرآن الكريم، كان نتيجة الولاء لعقيدته اليهوديّة.

قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...**﴾ [الأعراف: 152]، وقد ترجمَ (روبين) "وذِلّةٌ في الحياة الدُّنيا" ترجمةً لا تتَّفق مع اللغة العربيَّة من أيِّ وجه من الوجوه؛ حيث "يُترجِم روبين 'وذلّة في الحياة الدنيا' ويُعقِّب في الحاشية، مستندًا إلى بعض الباحثين -دون ذكر المصدر- الذين يَرَونَ أنَّ الآية تُلمِّحُ إلى تدنيِّ منزلة اليهود بوصفهم أهل ذِمّة تحت حُكم المسلمين."[1]. لكنَّ هذه التَّرجمة لا تتَّفق مطلقًا مع اللغة العربيَّة، بل تُحمِّل لغةَ النصِّ القرآني ما لا تَحتمل، فلُغة القرآن أيسَرُ وألينَ من تلك التَّحميلات التي تُعيق لغةَ النصِّ من أن تَصِلَ إلى العالمين.

لكن إذا رجعنا إلى التفاسير الأربعة التي ادَّعى أنَّ اعتماده في الترجمة عليها،

1 - انظر: ناصر الدين أبو خضير: ترجمات القرآن الكريم إلى العبرية.. ترجمة روبين نموذجًا، ص89.

لوجدنا خلافَ ما يَذهب إليه روبين في ترجمته، فتفسير "الجلالين" يُفسِّر الآية بقوله: وضُرِبَت عليهم الذِّلة إلى يوم القيامة[1]. في حين فسَرَّها (البيضاويّ) على معنى الخروج من ديارهم أو الجزية[2]. وهذا ما ذهب إليه (السمرقندي) أيضًا في تفسير "بحر العلوم"[3]، و (ابن الجوزي) في "زاد المسير"[4].

ومن ثَمَّ فإنَّ هذه التَّفسيرات لم تُحمِّل اللَّفظة أو الجملة ذلكَ المعنى الذي أتى به (روبين) من عنديّاته، وإن كان يُترجِم اللَّفظة في ضوء ما ذهب إليه بعض المُفسِّرين المعتمَدينَ عنده على معنى الجزية، فيُعوِّل على الجزية ظنًّا منه أنَّها تُعبِّر عن ضَعف مكانتهم ومَنزلتهم؛ بسبب النَّظر إليهم على أنَّهم أهلُ ذِمّة، فليس في ذلك وجه لما يذهب إليه؛ لأنَّهم ما قَصدوا بمعنى اللَّفظة ما ذهب إليه هو، وإنَّما تفسيرُهم يتعلَّق بالمستقبل، أي أنَّهم سيكونون في ذِلّة مُستقبَلاً بكفرهم وعصيانهم، ولم يكن الأمر يتعلَّق بوضعهم في المدينة أيام البعثة؛ لأنَّهم كان يُنظَر إليهم على أنَّهم جزء من وطن المدينة. هذا فضلاً عن أنَّ مصطلحَي: "الجزية" و "أهل الذمّة" في الإسلام لا يحملان هذه الدلالات السلبيّة التي يُحاول (روبين) أن يُلصِقَها بجملة "وذلّة في الحياة الدنيا" وألفاظها واضحة الدلالة في اللغة العربيَّة، وإنَّما يحمل المصطلحين المعانيَ الإيجابيّة التي تضع

1 - انظر: جلال الدين المحلي؛ وجلال الدين السيوطي: تفسير الجلالين، ص169.

2 - انظر: ناصر الدين أبو سعيد البيضاوي: تفسير البيضاوي - المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص590.

3 - انظر: السمرقندي: بحر العلوم، ص572.

4 - انظر: ابن الجوزي: زاد المسير، ج1، ص371.

لغير المسلم واجباته أمامَه بجوار حقوقه، مثلما تَضع أمام المسلم حقوقَه وواجباته. ومن هذه المعاني الإيجابيّة حمايةُ غير المُسلِم، وعدم تحميله مشاقَّ الدِّفاع عن نفسه، ومن هنا تجبُ الجِزية، لكن في حال مشاركته في الدِّفاع تَسقط عنه الجِزية، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنَّ قيمة الزَّكاة المفروضة على المسلم أكبرُ من الجِزية المفروضة على غير المسلم، فأينَ تدنيِّ مكانة اليهود بسبب كونهم أهل ذمّة يَدفعون الجِزية؟! فهذه تُرّهاتٌ لا أساس لها من الصحّة.

قول الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ**﴾ [الأعراف: 157]، وقفَ (روبين) عند تفسير هذه الآية مُعوِّلًا على كلمة "الأمِّيّ"، حيث ترجمَها ترجمة تَخرج بها عن سياقها، فالأمّيّ عنده هو الأُمَميُّ، ولقد كانت هذه الكلمة محورًا لترجمة تفسيريّة في الحاشية، "وفي الهامش يُوضِّح (روبين) بأنَّه يَتبنَّى هذا التفسير بما يخالف معظم المفسّرين المسلمين الذين يَرَونَ أنَّ 'النبيّ الأمّيّ' الذي لا يَكتب ولا يَقرأ، ولكن ما يُوجِّه روبين في ترجمته هو اعتقادُه بأنَّ آية الأعراف إنْ هي إلّا صدًى لما ورد في التَّوراة، [...] أي سأجعل لهم نبيًّا مثلك من بين إخوتهم، لذلك يَرى (روبين) أنَّ هذه الآية تُشكِّل خلفيّة آية الأعراف، فاعتُبرت البشارة التي تُنبِئُ بمجيء النبي محمد عليه الصلاة والسلام"[1].

1 - انظر: ناصر الدين أبو خضير: ترجمات القرآن الكريم إلى العبرية.. ترجمة روبين نموذجًا، ص90.

موقف (روبين) هنا يُعدُّ حلقةً من حلقات المواقف الاستشراقيّة من قضيّة أمّيّة النبيّ الكريم عبر مراحل الاستشراق المختلفة، وهو يمُثِّل مخالفةً صريحة للشواهد التاريخيّة التي تُثبتُ أنَّ النبيّ الكريم لم يكن له علمٌ بالقراءة والكتابة،، وهذا ما أكَّدته التفاسيرُ الأربعة التي اعتمد عليها (روبين) -فضلاً عن سائر التفاسير- فتفسير "الجلالين" لم يَطرق بابَ قضيّة أمّيّة الرسول، بيدَ أنَّه كذلك لم يَنْفِها، وقد أكَّد تفسير (البيضاويّ) وتفسير (السمرقنديّ) على عدم مَعرفة الرُّسل بالقراءة والكتابة، في حين ذهب ابن الجوزيّ في تفسيره إلى وجهين في تفسير المعنى: الأوّل لأنَّه لا يَكتب، والثاني لأنَّه من أمِّ القرى[1].

وهذه التَّفسيرات تَعني أنَّنا أمام أربعة مواقف: الأوَّل لم يَذكر القضيّة، والثاني والثالث أكَّدا على أمّيّة النبيّ قراءة وكتابة، والرابع قال بالأمِّيّ على معنيين: عدم معرفة الكتابة، وأُمَميّ نسبة إلى قريش. وكان من المُفترض أن ينقل (روبين) ترجمتَه بذِكر الوجوه الأربعة أو ما انتهى إليه مُعظمُها؛ لكنَّه آثَرَ أن يَختارَ معنًى يَتيمًا من المَعنيَين اللَّذين ذهب إليهما (ابن الجوزي)، وهذا يَعني عندنا أنَّ عمليّة ترجمة ألفاظ القرآن الكريم بالاستناد إلى هذه التفاسير كانت عمليّة انتقائيّة، يَنتقي منها (روبين) ما يحاول أن يُعضِّدَ به توجُّهَه العقديّ والسياسيّ، فما وجد فيه خدمةً لعقيدته -مستندًا بالطبع

1 - انظر: جلال الدين المحلي؛ وجلال الدين السيوطي: تفسير الجلالين، ص170. & انظر: ناصر الدين أبو سعيد البيضاوي: تفسير البيضاوي - المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج9، ص576. & انظر: السمرقندي، بحر العلوم، ص574. & انظر: ابن الجوزي: زاد المسير، ج1، ص 522.

إلى جهـده في التَّحوير وقلب الحقائق حول ما وجده- اختارَه، وما خالفَ عقيدتَه -ولو كان هو الأقوى والأغلب والأصحّ- تركَه واختار الأضعف، وكلُّ هـذا يُؤكِّد على أنَّ ترجمة (روبين) للقرآن كانت عمليّة انتقائيّة، فهو يَبحث في التَّفاسـير الإسـلاميّة عمّا يُؤيِّد به غايتَه ومقصده وهـواه وأيديولوجيّتَه. وهذا يقودنا -في التحليل الأخير- إلى أنَّ التفاسـير الأربعة المُعتمَدة لديه لا تَعني شيئًا بالنسبة له ولترجمته ما لم تُؤيِّد النصَّ التَّوراتيّ الذي يُؤمِنُ به. ومـن هنا ننتهي إلى أنَّ ترجمة (أوري روبين) لمعاني ألفاظ القرآن الكريم، كانـت تمُثِّل اعتداءً على اللغة العربيَّة التي يَقوم عليها النصُّ القرآنيّ، وهذا الاعتداء كان على مسـتوى الألفاظ وعلى مسـتوى المعاني، على مستوى اللفظة المفردة وعلى مستوى التَّرجمة التفسيريّة، وهذا الاعتداء وصل إلى حـدِّ التَّحريف المُمنهَج، فقد كان الاعتداء على لغة النصِّ وسـيلتَه لتمرير أفـكاره ومعتقداته تجاه الإسـلام، وهي كلُّها أفـكار ومعتقدات تصبُّ في غير صالح الإسلام، وإنَّما في صالح عقيدته اليهوديّة التي ظلّ وفيًّا لها في ترجمته للقرآن حتّى النهاية.

4 - (شالوم زاوي) والتشكيك في مصدرية القرآن

مـن المسـتشرقين الذين يَنطلقـون مُنطلَقًا عقديًّا في كتاباتهم المسـتشرق (شالوم زاوي)، وهو مستشرق إسرائيلي أكاديمي، وأحد مُمثِّلي الاستشراق اليهودي المعاصر، حيث يَعمد إلى التَّشكيك في المصدرية الإلهية للقرآن، حاملاً رايةَ دعوى اقتباس القَصص القرآني من العهد القديم.

ويعدُّ كتاب: (מקורותיהודיים בקוראן - "مصادر يهودية بالقرآن") باللُّغة العِبرية لمُؤلِّفه الحاخام والمستشرق الإسرائيلي (א.שלום זאוי - أندريه

شـالوم زاوي)، الصادر في القُدس عن "دار نـشر دافير" "الإسرائيلية" عام 1983م، والـذي يقع في 269 صفحة من القطع الكبير[1]، دليلاً على ذلك. وهذا الكتـاب عبارة عن ترجمة لبعض آيات القـرآن الكريم المُوزَّعة على 114 سـورة، جملة سـور القرآن. بيدَ أنَّ هذا الكتاب -بحسـب الدّارسين- يَحمل ما هو أبعد من الترجمة، فهو يَحمل نقدًا وتشويهًا للقرآن الكريم في داخل هذه التَّرجمة.

إنَّ (شالوم زاوي) زعمَ أنَّ الكثير من الأساطير الدِّينية اليهودية تمَّ تَضمينها في كتب المسلمين الأوائل حول القرآن وسيرة محمد؛ مثل تفاسير (الطبري) و(البيضـاوي) وكتاب (البخـاري)، مُؤكِّدًا أنَّ القرآن بُنِيَ بشـكلٍ عامّ على أفـكار العهد القديـم، وفي مقدِّمتها حبُّ الإله ووحدانيتـه المُطلَقة[2]. هو إذن يَحمـل لواء فرضية اقتباس القرآن مـن اليهودية، متأثِّرًا في ذلك بأعلام الفِكـر اليهودي: (إبراهام جيجر) في كتابه "ماذا أخذ محمد من اليهودية"،

1 - א.שלומזאוי: מקורותיהודיימבקוראן, הוצאתדביר, ירושלים، 1983. نقلاً عن: أحمد صـلاح البهنسي: قصص القرآن في كتاب (مصادر يهودية بالقرآن) لشـالوم زاوي قراءة تحليلية نقدية لنماذج مختارة، على الرابط التالي:

https://tafsir.net/article/5241/qss-al-qr-aan-fy-ktab-msadr-yhwdyt-balqr-aan-lshalwm-zawy-qra-at-thlylyt-nqdyt-lnmadhj-mkhtarh

2 - א.שלומזאוי: מקורותיהודיימבקוראן, הוצאתדביר, ירושלים، 1983. نقـلاً عن: أحمد صـلاح البهنسي: قصص القرآن في كتاب (مصادر يهودية بالقرآن) لشـالوم زاوي قراءة تحليلية نقدية لنماذج مختارة، على الرابط التالي:

https://tafsir.net/article/5241/qss-al-qr-aan-fy-ktab-msadr-yhwdyt-balqr-aan-lshalwm-zawy-qra-at-thlylyt-nqdyt-lnmadhj-mkhtarh

و (جولدزيهـر) في كتابه "محاضرات في الإسـلام"، و (إبراهام كاتش) في كتابه "اليهودية والإسلام"[1].

ولـذا فإنَّ الإطار الفكريَّ الذي يَنطلق منه (شـالوم زاوي) لا يختلف كثيراً عن نظيره عند (أوري روبين)، فكلٌّ منها عمدَ إلى نقد جانبَين: لغة القرآن، وأفـكار ومضامين القـرآن خاصةً في جانبـه القَصصي. فكتـاب (روبين) في الجانـب الأول يَحوي "عددًا مـن الفرضيات اللُّغويـة التي حاول من خلالها التَّشكيك في أصالة لغة القرآن، وردّها للغات أخرى سامية لا سيَّما العبريـة منهـا، فيذكر أنَّ لفظة (القرآن) جاءَت من اسـم الفعل في العبرية: (קרא) بمعنى: قراءة أو تلاوة أو تسميع، وهذا اللَّفظ العبريُّ جاء منه أيضًا كلمة: מקרא (المِقْرا/ أي: الشريعة المقروءة في اليهودية) التي تُشير إلى التَّسمية اليهودية لكتابهم المقدَّس المعروف في الأوساط العربية بـ "العهد القديم"[2].

كما يَحوي الكتابُ في جانبه الثاني الكثيرَ من النَّقد والتَّشويه لمضامين القرآن، من ذلك ترجمتُه للآيات من 60 – 70 من سورة البقرة، التي يَقول فيها: "إنَّ القرآن خلَطَ في هذه الآيات بين البقرة الحمراء الوارد ذِكرُها في سِفْر العدد بالتَّوراة وبينَ العِجل مقطوعَ الرأس الوارد ذِكره في سِفر التثنية بالتَّوراة، كما أنَّه يذهب لأبعد من ذلك بإقحام كلماتٍ في التَّرجمة غيرِ

1 - Abraham Katsh: Judaism in Islam, pp. 1- 2.

2 - انظـر: أحمـد صلاح البهنسي: قصص القـرآن في كتاب (مصـادر يهودية بالقرآن) لشالوم زاوي قراءة تحليلية نقدية لنماذج مختارة.

واردة في النصِّ القرآني، ومن أمثلة ذلك ترجمتُه للآية 124 من سورة البقرة: ﴿...قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾؛ إِذْ يُترجِم لفظة 'إمام' إلى כוהן بمعنى 'كاهن' بالعِبرية، ويردُّ أصلَها إلى التلمود"[1].

وبما أنَّ المستشرق (شالوم زاوي) يَتبنَّى فرضيّةَ الاقتباس من اليهودية، فإنَّ فِكرَهُ قائمٌ على أساس من المَنهج الشكيِّ، الذي يَقوم على التَّشكيك في النصوص القرآنية، ومنهج التأثير والتأثُّر الذي يَبحث عن مُؤثِّرات يهودية فيها. "شأنُه في ذلك شأن غالبية المستشرقين اليهود والإسرائيليين في استخدامهم لهذا المنهج؛ وهو ما جسَّد ظاهرً أو سمة 'الامتداد والتكرار' التي تَسِم معظمَ الكتابات الاستشراقية الإسرائيلية التي مَثَّلت امتدادًا للاستشراق الغربي، وتكرارًا لنفس مناهجه وفرضياته العلمية حول القرآن الكريم والشؤون الإسلامية عامّة"[2]. ولا شكَّ في أنَّ هذا يمُثِّل محاولةً منه للوصول إلى نوع من الانتصار العقدي لديانته اليهودية، وإلا لَما استخدم فكرتَه عن الاقتباس دون دليل حقيقي يَستند إليه، ولَما استخدم منهجية التأثير والتأثُّر دون تطبيق حقيقيٍّ رصين يتناسب مع مقتضيات المقارنة الصَّحيحة التي أرساها المنهجُ العلميُّ السليم.

---

1 - انظر: שלום זאוי: שם, עמ 59. نقلاً عن: أحمد صلاح البهنسي: قصص القرآن في كتاب (مصادر يهودية بالقرآن) لشالوم زاوي قراءة تحليلية نقدية لنماذج مختارة.

2 - أحمد صلاح البهنسي: قصص القرآن في كتاب (مصادر يهودية بالقرآن) لشالوم زاوي قراءة تحليلية نقدية لنماذج مختارة، على الرابط التالي:
https://tafsir.net/article/5241/qss-al-qr-aan-fy-ktab-msadr-yhwdyt-balqr-aan-lshalwm-zawy-qra-at-thlylyt-nqdyt-lnmadhj-mkhtarh

إنَّ دراسة إنتاج هؤلاء المستشرقين المعاصرين يَكشف عن مزاعمِه حول اقتباس القرآن من اليهودية، "وهو ما نراه بوضوح في الجهد الذي بذلَه أندري شالوم في مقارنة سورة الفاتحة وآيات من سورة البقرة بكتب اليهود الدِّينيّة، زاعمًا أنَّ ما جاء في القرآن مأخوذ عن هذه الكتب لمجرّد وجود بعض التَّشابه أحيانًا في بعض الآيات. يُضاف إلى ذلك عدم الاعتراف بوَحيانيّة آيات القرآن، وهذا يُبرِّر -عندهم- ردَّها إلى مصادر دينيّة كالعهدين وغيرهما. وهو ما يُصرِّح به المستشرقُ اليهوديُّ نفسُه، بقوله: يَبدو أنَّ مُؤلِّفَ القرآن من خلال هذه السُّورة استعار من اليهوديّة بشكل خاصّ جزءًا مُهمًّا من الأمر الإلهيِّ والقانون العبريّ الذي سبقَه"[1].

أ - دعوى اقتباس بعض ألفاظ القرآن من اليهودية

مال (شالوم زاوي) في سياق كتابه: مصادر يهودية في القرآن إلى الحديث عن بعض ألفاظ لغة القرآن، مُتَّهمًا إيّاها بأنَّها مقتبسة أو مأخوذة من اليهودية، وما مَيلُه هذا إلا بناءً على دوافع عقدية صرفة، بعيدةٍ كلَّ البُعد عن المنهج العلمي.

فمثلاً في معرض تعليقه على الآية 93 من سورة البقرة: ﴿**... قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا ...**﴾ يقول: "تُذكِّرنا الآية بأحداث العجل الذهبيّ. يُغيِّر القرآن من القَسَم التَّوراتيّ 'نفعل ونسمع' و 'كلّ ما تكلَّم به الربُّ نفعل'

1 - العياشي العدراوي: "ترجمة وتعليق لسورة الفاتحة وآيات من سورة البقرة للمستشرق الجزائري الإسرائيلي أندريه شالوم زاوي من خلال كتابه 'مصادر يهودية بالقرآن'"، ص218.

[سِفْر الخروج 19: 8 و 24: 3]، ويُكرِّر حقيقتَه في أواخر السُّورة ‘سمعنا وأطعنا...واغفر لنا’"[1]. فهو يدَّعي أنَّ القرآن استبدلَ لفظيّ ﴿**... سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ...**﴾ بلفظيّ "نفعل ونسمع" اليهودية. والحقيقة التي لا مفرَّ منها أن (شالوم زاوي) هنا لا يَملك إلا ترّهات، فلا يستطيع أن يُقدِّم لنا دليلاً واحدًا على ما يَزعمه، والغريب في الأمر أنَّ هناك اختلافًا جوهريًّا في الموقفَين: موقف يفعل ويسمع، وموقف يسمع ويعصي، فكيف يَلتقيان؟! فضلاً عن أنَّ الموقف التَّوراتي لا يَستقيم، فالصَّحيح أن يَسمع الإنسانُ أولاً ثم يَفعل، لا أن يَفعل أولاً ثم يَسمع.

علَّق (زاوي) على الآية 248 من سورة البقرة: ﴿**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ...**﴾، بالقول إنَّ لفظة "سَكينة" اقتبسَها محمدٌ من اليهود الذين سمعها منهم، وأنَّ هذه اللَّفظة مرتبطة بقصة عودة التابوت من أرض فلسطين زمن صموئيل (أحد أنبياء بني إسرائيل)[2]. والمعنى: "أي تَسكنون عندَ مجيئه وتُقرُّونَ له بالملك، وتَزول نَفرتُكم عنه، لأنَّه متى جاءَهُم التّابوت من السَّماء وشاهدوا تلك الحالة فلا بدَّ وأن تَسكن قلوبُهم إليه وتَزول نَفرتُهم بالكُلِّية"[3].

1 - العياشي العدراوي: "ترجمة وتعليق لسورة الفاتحة وآيات من سورة البقرة للمستشرق الجزائري الإسرائيلي أندريه شالوم زاوي من خلال كتابه ‘مصادر يهودية بالقرآن’"، ص225.

2 - انظر: أحمد البهنسي: كتاب مصادر يهودية بالقرآن للمستشرق شالوم زاوي.

3 - على بن نايف الشحود: المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، ج7، ص133.

ج - دعوى اقتباس القَصص القرآني

لا يختلف هذا المستشرق عن غيره من المستشرقين ممَّن حاولوا الزَّعم باقتباس القرآن من اليهودية، فقد كان الشقُّ الأساسيُّ عنده تناولَ القَصص القرآني في سياق المَنهج الإسقاطي الذي سار عليه.

من ذلك مثلاً حديثه عن الآية 125 من سورة البقرة: ﴿**... وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ...**﴾ حيث يقول: "مَقام بالعَربيّة هو الحجر الأساس -أبعاده 60 سنتمتر على 90 -، فيه آثار أقدام إبراهيم (عليه السلام) حسب الحديث، ووَفقًا للمفسِّرين فهو الحجرُ الذي يُعرف بمَقام إبراهيم، أي موضع قدميه حيث صعدَ منه إلى سطح الكعبة عند بنائها مع ابنه إسماعيل (عليه السلام). وفقًا لتلمود سوطا [10: 32-33]: أقام إبراهيم حديقةً ببئر السَّبع ودعا ضيوفَه لتناول ما لذَّ وطاب من الأطعمة والأشربة، ووَفقًا للتَّرجمة التَّفسيريّة لسفر التكوين [24: 14] فقد أسَّس كلٌّ من إبراهيم وإسحاق بيتَ الله الذي تجلَّى فيه الإلهُ. لكنَّ الحديث النبويَّ غيَّرَ إسحاق بإسماعيل."[1].

وكأنَّ هذا المستشرق -كغيره بالطَّبع- يتَّخذ من التَّوراة معيارًا يَقيس به صدقَ الكتب التالية عليها من عدمه، وهذا يُعدُّ قمةَ التعصُّب، ناسيًا تلك الأخطاء الكبيرة التي تظهر في نسخة التَّوراة المتداولة، والتي تَتنافى في كثير من جزئياتها مع العقل والمنطق، فضلاً عن العقيدة الإسلامية الصحيحة. فهل تُعدُّ التَّوراةُ معيارًا رغم أنَّ الثابت -حتى من بين نصوصها- أنَّها كُتبت بعدَ

1 - العياشي العدراوي: "ترجمة وتعليق لسورة الفاتحة وآيات من سورة البقرة للمستشرق الجزائري الإسرائيلي أندريه شالوم زاوي من خلال كتابه 'مصادر يهودية بالقرآن'"، ص227.

مـوت موسى بقرون؟! ثم هل فهم هذا المسـتشرق وغيرُه نصوصَ التَّوراة التي تتحدَّث عن هذه القصة جيِّدًا؟! هل استطاع أن يُدرِكَ التَّناقُضَ الواضح بين هذه النُّصوص والتي تَحكُمُ بأنَّ الذَّبيح إسماعيل لَا إسحاق؟!

إنَّ الدليل على أنَّ الذَّبيح هو إسماعيل واضح في القرآن وفي التَّوراة، رغم حركة التَّمويه التي قام بها كاتب التَّوراة، كسبًا لشرف ليس لهم، فنُصوص القرآن تُؤيِّد أنَّ الذَّبيح إسماعيل، نفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ¤ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ¤ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ¤ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ¤ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ¤ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ¤ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ¤ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ¤ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ¤ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ¤ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ¤ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ¤ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ¤ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ**﴾ [الصافات: 100-113]. فالآيات من الآية 100 إلى الآية 111 تتحدَّث عن بشرى الغلام الحليم الذي بلغ مع والده السَّعيَ، وقصَّ عليه والدُه رُؤياه في المنام، واستجاب الغلامُ لأمر الله تعالى، ثمَّ بعد أنَّ صدَّقَ إبراهيم الرُّؤيا، كان نتيجة ذلك أمرين: فداه الله تعالى بذبحٍ عظيم وبشَّره بغلام آخر هو إسحاق نبيًّا من الصالحين، ومن ثَمَّ فليس الغلامُ الأوَّلُ الذي بشَّره الله تعالى به إلا إسماعيل؛ إذ يَستحيل أن يكون الذَّبيحُ إسحاق، وهل يُعقَلُ أن يُقدَّم للذَّبح والفداء ثم يُبشَّر سيِّدُنا إبراهيم به؟! فسياق الآيات يدلُّ على أنَّ إسماعيل هو الذَّبيح

الابن الأكبر لأبيه، ثم كانَت بعد ذلك البشارة بمولد إسحاق.
لكنْ قد يعترضُ هذا المستشرق أو غيرُه بأنَّ القرآن يَسوق هذه الرِّوايةَ من وجهة النَّظر الإسلامية التي يَعترض عليها (جولدتسهير) ذاته ومن سار على دربه، إذنْ فلنتناول الرِّوايةَ كما وردَت في التَّوراة. إذ سرعان ما نجد التَّوراةَ تكشف لنا بينَ السُّطور عن الذَّبيح إسماعيل خلافًا لما تدَّعي، حيث جاء في التَّوراة: "خُذ ابنَكَ وحيدَكَ الذي تُحِبُّهُ إسحاق، واذهَبْ إلى أرض المريا، وأصعِدْهُ هناك محرقةً على أحد الجبال الذي أقول لك" [التكوين: 22 – 2]. إذ من المعروف أنَّ إسماعيل هو الابن البِكرُ، ويَعني هذا أنَّه كان وحيدَ أبيه قبل ولادة إسحاق، فكيف يكون إسحاق وحيدَ والده وهو الابن الثاني، وإسماعيلُ ظَلَّ حيًّا طيلةَ حياة والده، وهو مَن حضرَ دفنَ والدِه إبراهيم، وهذا يعني أنَّ إسحاق لم يكن يومًا وحيدَ أبيه.
هناك بعضُ الأدلة الأخرى من التَّوراة التي تُثبتُ ذلك، منها: "فبَكَّرَ إبراهيمُ صباحًا، وأخذَ خُبزًا وقربةَ ماء، وأعطاهُما لهاجر، واضِعًا إيّاهُما على كتفِها والولد، وصرفَها فمَضَتْ وتاهَت في بَرِّيّة بئر سبع" [التكوين: 21 – 14]. ومنها: "وسكنَ في بَرِّيّة فاران، وأخذَت له أمَةً زوجةً من أرض مصر" [التكوين 21 – 21]. بمعنى أن إسماعيل سكنَ مع أمِّه في بئر سبع، وبعدَها انتقل إلى فاران التي كانَت تُطلَق على جبال مكة وبعض ضواحيها، فالمقصود هنا إسماعيل لا إسحاق، وقصّةُ الذَّبح تمَّتْ في ذلك الموقع من الحجاز، ومن ثَمَّ فإن المقصود هو إسماعيل، ولو كان المقصود إسحاق لكانت أحداث القصة في الشام حيث يسكن، فَضلاً عن أنَّه من الناحية العقلية لو كان إسحاق هو الذَّبيح، فكيف يتَّفق ذلك مع ما وعد الله تعالى

به إبراهيمَ في ابنه إسحاق من الذُّرّية والنَّسل؟! فهل يَعِدُهُ بالذُّرّية والنَّسل في الوقت الذي يُقدِّمُه كقُربان؟! فهذا لا يتَّفِقُ مع عقل أو منطق.

ومن الأمثلة أيضًا حديثُه عن الآية 125 من سورة البقرة: ﴿**وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا ...**﴾ حيث يقول: "كان محمَّدٌ (ص) في صلاته يَستقبل بيتَ المَقدس -كما هي عادةُ اليهود- الواردة في [دانيال 6 – 11]، وبعد ذلك فكَّ النبيُّ هذا الارتباطَ بينه وبين اليهود وأمرَ أتباعَه بالتوجُّه إلى الكعبة شطر فناء المسجد الكبير. كما أنَّ الآية 148 تقول: 'ولكلٍّ وجهةٌ هو مُولِّيها فاستَبِقُوا الخَيرات أينَ ما تَكونُوا يَأتِ بِكُمُ اللهُ جَميعًا' مَثيلُها في [الخروج 20 – 24] 'في كلِّ الأماكنِ التي أصنَعُ فيها لاسمي ذِكرًا آتي إليكَ وأُبارِكُكَ.'"[1].

لكنَّ تَحويل القِبلة حدثٌ لا يُمثِّلُ شُبهةً كما يحاول (شالوم زاوي) –وغيره من المستشرقين السابقين من أمثال تيسدال ومن سار على دربه- أن يُوهِمَ بها مثلَما فعل اليهودُ أيام النبيِّ الكريم، عندما قالوا: "اليومَ اتَّبَعَ قِبلتَنا، وغَدًا يَتَّبِعُ دِينَنا"، وهو المَنطق المُعوجُّ ذاته، الذي حكموا به على تَحويل القِبلة إلى البيت الحرام، عندما قالوا: "أعرضَ عن قِبلةِ الأنبياءِ قَبلَهُ". وهذا الحُكم اليهوديُّ المُعوجُّ هو نفسُه ما نجده عند المستشرق (زاوي)، الذي يُحاول أن يُوهِمَ بأنَّ النبيَّ الكريم شارك اليهودَ في القِبلة في أوَّلِ الأمر، ثم توجَّهَ في نهاية الأمر إلى الكعبة.

---

1 - العياشي العدراوي: "ترجمة وتعليق لسورة الفاتحة وآيات من سورة البقرة للمستشرق الجزائري الإسرائيلي أندريه شالوم زاوي من خلال كتابه 'مصادر يهودية بالقرآن'"، ص228.

علمًا بأنَّ أقلام المُفكِّرين والعلماء العرب والمسلمين قد أفاضَت في الردِّ على هذه الفرية المُتهافتة، ويَكفي أن نقف على بلاغة القرآن في قول الله -تعالى-: ﴿**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [البقرة: 142]. فالقرآن يُخبِر بقوله "سيَقول"، بما تدلُّ الكلمةُ عليه من محاولة اليهود إلقاءَ الشُّبَه في المستقبل، أي أنَّه يا محمد عندما تُغيِّرُ القِبلةَ إلى بيت المَقدس سوف يُثير اليَهود السُّفهاءُ الشُّبُهات.

ومن ثَمَّ كان ردُّ القرآن عجيبًا على هذه الشُّبهة، وذلك في قوله تعالى: ﴿**... قُلْ للهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ...**﴾ [البقرة: 142]، "وقد سلكَ الله في هذا الجواب لهم طريقَ الإعراض والتَّبكيت؛ لأنَّ إنكارَهُم كان عن عناد لا عن طلبِ الحقِّ؛ فأُجيبوا بما لا يَدفَعُ عنهم الحَيرةَ، ولم تُبيَّنْ لهم حكمةُ تحويل القِبلة، ولا أحقِّيّة الكعبة بالاستقبال، وذلك ما يَعلَمُه المؤمنون"[1].

والغريب في الأمر أنَّ قِبلةَ اليهود التي يحاول (زاوي) أن يُوهِمَ أنَّ المسلمين اقتبسوها منهم ليست قِبلةً إلهيّةً أمرَهُم الله تعالى بها على أيام سيِّدنا موسى، والدَّليل أنَّ بيتَ المَقدس لم يُبنَ على عهد سيدنا موسى حاملِ الرِّسالة، وإنما بُني بعده بقُرون على أيام سيِّدنا سليمان. بل إنَّ المتأمِّلَ في نصوص التَّوراة ذاتِها لا يجد فيها نصًّا يُشيرُ إلى اتِّباع قِبلة مُعيَّنة للصلاة لله تعالى. في حين نجد أنَّ النَّصارى لم يتحدَّثوا في قضية تَغيير القِبلة عند المسلمين، وإن كانت قِبلتُهم لم يُصِبْها التَّغيير عما ورد عن اليهود. "ولكنَّهم لما

1 - الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، [البقرة: 142].

وجدوا الرُّومَ يَجعلون أبواب هياكلهم مستقبلةً لمَشرق الشمس، بحيث تَدخل أشعة الشمس عند طلوعها من باب الهيكل، وتقع على الصَّنم صاحب الهيكل الموضوع في مُنتهى الهيكل، عكسوا ذلك فجَعلوا أبواب الكنائس إلى الغرب، وبذلك يكون المَذبح إلى الغرب والمُصلُّون مستقبلين الشَّرق"[1]، بيد أنَّ النَّصارى منذ العصور الوسطى وحتى الآن أصابَهُم التَّغيير؛ حيث تَركوا استقبالَ جهة مُعيَّنة؛ وعليه تكون كنائسُهم مختلفةَ الاتِّجاه، وكذلك المَذابح المُتعدِّدة في الكنيسة الواحدة[2].

أما الآية 158 من سورة البقرة: ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ...**﴾ فيقول عنها (شالوم زاوي): "يُعدُّ الحجُّ إلى مكّة عند المسلمين أحدَ أركان الإسلام الخمسة. يَجب على كلِّ يَهوديٍّ أن يحجَّ ثلاثَ مرّات في العام، في عيد الفصح وعيد الأسابيع وعيد المظال راجع: [التثنية: 16 – 16]."[3]، لكنَّ التَّساؤل هو: أي اقتباسات يهودية هذه التي اقتبسَها القرآنُ؟! وإذا الأمر كذلك فإنَّه مِنَ الأولى أنْ يُمارِسَ اليَهودُ ما دعَت إليه هذه الرِّواياتُ من طقوس وشعائر الحجِّ، فهل نجدُ من اليَهود عبرَ تاريخهم مَن نفَّذَها وأدّاها، ما داموا يَزعمون أنَّ النبيَّ إبراهيم عليه السلام مَلِكُهم وحدَهم؟!

1 - راجع: إسلام أونلاين: "ما ولاهم عن قبلتهم.. شبهة السفهاء".

2 - الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، [البقرة: 142].

3 - العياشي العدراوي: "ترجمة وتعليق لسورة الفاتحة وآيات من سورة البقرة للمستشرق الجزائري الإسرائيلي أندريه شالوم زاوي من خلال كتابه 'مصادر يهودية بالقرآن'"، ص228.

الحقيقة أنَّ اليهودَ لم يُمارسوا الحجَّ إلى بيت الله الحرام، بل إنَّ مواسم الحجِّ عندهم مُتوافقةٌ مع أعيادهم[1]. فعيدُ الفصح أهمُّ مواسم الحجِّ اليهودي، بمناسبة عبور سيِّدنا موسى البحر، أو خروجه من مصر[2]، وعيد الحصاد أو الأسابيع بدعوى أنَّه اليوم الذي نزلَت فيه الوصايا العشر على موسى (عليه السلام)[3]. وعيدُ المَظالِّ أو الظّلل أو الأكواخ، وهو آخر أعياد الحجِّ الكبرى، وثاني أيام الحَصاد، ويُقال إنَّ مدّتَه ثمانيةُ أيام[4]. ولم ينصَّ العهدُ القديم على طقوس مُحدَّدة للحجِّ، وإنَّما ذكرَ هذه المواعيد الثلاثةَ، ونجد هذا في نصٍّ يَقول: "ثلاث مرات في السَّنة تُحضِرُ جميعَ ذُكورِكَ أمامَ الربِّ إليك في المكان الذي تَختاره، في عيد الفطير وعيد الأسابيع وعيد المظال، ولا يَحضروا أمامَ التراب فارغين، كلُّ واحدٍ حَسبما تُعطي يدُه، كبركة الربِّ إلهك الذي أعطاك" [التثنية: 16: -16 17]. فإذا أضفنا إلى ذلك أنَّ اليهود رغم أنَّهم يَحجُّون اليوم إلى القدس أو إلى ما يُسمَّى حائط المَبكى بزعم أنَّه مكان هيكل سيِّدنا سليمان، فإنَّهم لم يَحجُّوا عبر

1 - انظر: عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج4، ص166.

2 - انظر: حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي، ص.ص. 82 و219. & انظر: عبد الرازق الموحي: العبادات في الأديان السماوية، ص118. & انظر: عباس علي الشامي: يهود اليمن، ص152. & انظر: حسن ظاظا: "من التخبط اليهودي يهود المرّان"، ص22.

3 - عبد الله بن ناصر القحطاني: "العبادة في الديانة اليهودية"، ص238. & انظر: نبيل الربيعي: تاريخ يهود الخليج، ص241.

4 - انظر: حسن ظاظا: "طقوس الحج عند اليهود، السعودية"، ص204. & انظر: عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج5، ص264.

تاريخهـم عند مكان مُحدَّد، ولكن تعدَّدَت أماكِنُ حجِّهِم ما بينَ سـنديانة قمرا وبئر لحى الرائي وبيت إيل[1].

ومن هنا نتسـاءلُ كيف تكون الرِّواية اليَهودية عن الحجِّ هي مصدر شعائر وطقوس الحجِّ في الإسلام كما يدَّعي (تيسدال)؟! فإذا لم يَكونوا قد آمنوا بها أو مارسوها أو تَخِذُوها سبيلاً للحجِّ فكيف تكون مصدرًا للحجِّ؟! كلُّ هذا يَحكم ببطلان ما ذهب إليه هذا المستشرق من افتراءات ومزاعم، هذا فضلاً عن أنَّ الحجَّ في الديانة اليهودية لم يكن مُلزِمًا، إذ "الحجُّ عند اليهود ليس بفَريضة، ولا ركنًا من أركان العبادة في اليهودية كما هو في الإسـلام، فهو على أكثر تقدير يُشـبِهُ العُمرةَ عند المسلمين"[2]. ولو كان فرضًا لاتَّبعوا شعائرَ وطقوس الحج الإبراهيمية، وهو ما لم يفعلوا.

علمًا بأنَّ الحضارات القديمة كانَت تُمارِسُ الحجَّ حسـبَ مُعتقَداتها، ولم يقلْ أحـدٌ أنَّها أخذتها عن غيرها، فالمصريون القدمـاء كانوا يَحجُّون إلى معبـد أوزيريس في مدينة أبيـدوس، والهنود كانوا يَحجُّـون في معابدهم الضَّخمة على جبال الهيمالايا ونهر الكينج، والصِّينيُّون كانوا يَحجُّون إلى الجبال المُقدَّسة كجبل تاي[3].

ومن ضمن مزاعم (شالوم زاوي) زعمُه باقتباس الآية 183 من سورة البقرة: ﴿**... كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ...**﴾.

1 - انظر: حسن ظاظا: "طقوس الحج عند اليهود، السعودية"، ص7.
2 - انظر: حسن ظاظا: "طقوس الحج عند اليهود، السعودية"، ص9.
3 - انظر: حسن ظاظا: "طقوس الحج عند اليهود، السعودية"، ص6.

من اليهودية؛ حيث يقول: "هناك إشارة واضحة للصَّوم في يوم الغفران ‘من المساء إلى المساء’ [اللاويّين 23: 32]، لكن بعد هذه الآية، يأمر محمّدٌ (ص) بصيام شهر كامل ‘شَهرُ رَمَضانَ الَّذي أُنْزِلَ فيهِ القُرآنُ هُدًى للنّاسِ’. يَستمرُّ الصِّيامُ لمدَّة تسعة وعشرين يومًا مُتتالية من شروق الشمس إلى غروبها. يتناول الصّائمونَ خلال ليالي رمضان الطَّعامَ والشَّرابَ ويَحِقُّ لهمُ الرَّفَثُ إلى نسائِهم ‘هُنَّ لِباسٌ لكُمْ وأنتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ’. وتَجدر الإشارةُ إلى أنَّ مُضاجَعةَ النِّساء في اليهوديّة ممنوعةٌ في ليالي الصيام"[1].

وعلى الجانب الآخر نتساءل: ما المُشكلةُ هنا؟ إنَّ الصِّيامَ لم يكن حِكرًا على المسلمين، ولم يَكونوا أوَّلَ مَن فُرِضَ عليهم، وإنَّما كان مفروضًا على الأمم السابقة، بدليل قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: 183].

كما أنَّ الصِّيام كان مَفروضًا على أهل الكتاب، فاليَهود يَصومون في بعض الأيام من قَبلِ غروب الشمس حتى غروب شمس اليوم التالي، وهناك أيّامٌ أُخَر يَبدأ فيها تَوقيت الصَّوم من شروق الشمس حتى الغروب كتَوقيت المسلمين، ويَمتنعون فيها عن الطَّعام والشَّراب والجماع. فإذا كان (زاوي) يَنطلق من معيار واحد لا ازدواج فيه، ومن منهجية لا تقبل الشكَّ أو الجدال، لقال بأنَّ هناك تشابُهًا بين صيام اليهود وصيام الصابئة، وأنَّهم

1 - العياشي العدراوي: "ترجمة وتعليق لسورة الفاتحة وآيات من سورة البقرة للمستشرق الجزائري الإسرائيلي أندريه شالوم زاوي من خلال كتابه ‘مصادر يهودية بالقرآن’"، ص229.

أخذوه عنهم واقتبسوه اقتباسًا، لكنَّه لم يفعل، فدلَّ ذلك على أنَّ المعيار مزدوجٌ، والمنهج غير منضبط. كما أنَّ صيام النَّصارى عند بعض فِرَقِهم يَبدأ من الشُّروق للغروب على اختلافٍ بينَهم، وعند بعض آخر يَبدأ من الشُّروق لمَا بعدَ منتصف النهار، أمّا من حيث طبيعة الصِّيام فهو الامتناع عن بعض أَنواع الطَّعام والشَّراب على اختلافٍ بينَهم.

ثانيًا: نقد الغاية السياسية

نستطيع القول إنَّ القراءة السياسية من القراءات التي يَعمل الاستشراق المعاصر عليها في بعض جوانبه، وليس في كلِّ جوانبه، خاصّةً ما يتعلَّق منها بالمراكز البَحثية الإسرائيلية أو اليهودية في دول العالم، وما يتعلَّق بتوجُّهات بعض المستشرقين الذين يَسعَون لتنفيذ المُخطَّط الصهيوني العالمي، إذ لو قُلنا ذلك لكان حكمُنا غيرَ صائب من وجهة نظرنا، لكن يَبقى الهدف السياسيُّ هدفًا من ضمن أهداف الاستشراق المعاصر، ولكنَّه مختلف عن مثيله في الاستشراق القديم، فالاستشراق القديم كان يمُهِّد للاحتلال أو لشرعنة وجوده في الأراضي العربية والإسلامية، أما الاستشراق المعاصر فكان هدفُه السياسيُّ ينحصر في شرعنة وجود الكيان الصهيوني أو كسب التأييد له أو محاولة تصوير الوضع على أنَّه تبادُل ثقافي وغيره.

والبُعدُ السياسيُّ هو أوَّلُ ما يَظهر في الدراسات الاستشراقية "الإسرائيلية" المعاصرة، إذ من المعروف سلفًا أن هناك عداءً تاريخيًّا بين اليهود والمسلمين، بلغَ ذروتَه في عصرنا الحالي؛ نتيجة الممارسات التي يمُارسها

الكيـان الصهيوني المحتلُّ. هذا الكيان يحاول بشـتى الطُّـرق أن يُشرعِنَ وجودَه بشـتى الوسـائل غير المشروعة دينًا وعُرفًا وقانونًا، ومن ثَمَّ يَسـير الاسـتشراق الإسرائيلي المعـاصر على النَّهج ذاته، محاولاً كسـب شرعيّةٍ زائفة لوجوده على الأرض.

فالكتابات الاستشراقية "الإسرائيلية" المعاصرة أو حتى القديمة منها -فيما أعلم- لا تتناول النصَّ القرآني إلا في ثوب النصِّ التَّوراتي، أي أنَّها لا تَعترف للنَّص القرآنيِّ بشيء من الذاتية أو الخصوصية، ويُشـير أحدُ الباحثين إلى أنه ليس "في الكتابات الاستشراقية الإسرائيلية ما يقول صراحةً بخصوصية القَصص القرآني، وتمَايُزه عن قَصص الكتاب المقدَّس، لكن وردَت بعضُ الكتابات الاسـتشراقية الإسرائيلية التي تقول بوجود بعض الاختلافات، أو أنَّ هناك قصصًا وردت في القرآن تَعود لشـخصيات دينية لم تَرِدْ في العهد القديم، أو أن هناك بعض اختلافات في بعض أسـماء الشَّخصيات الواردة في قصص القرآن الكريم عن تلك الواردة في العهد القديم"[1]، ضاربًا مثالاً في ذلك بكلٍّ من:

- الموسوعة اليهودية The Jewish Encyclopedia.
- وكتـاب المسـتشرق الإسرائيـلي (أوري روبـين) بـين الكتاب المقـدس والقـرآن .. أبنـاء إسرائيل وصـورة الإسـلام الذاتية. Between Bible and Qur'an .. The Children of Israel and The Islamic Self Image.

1 - أحمد البهنسي: "الاستشراق الإسرائيلي... الإشكالية والسمات والأهداف".

وهـذا يَعني أن القَصـص القرآني يمُثِّل بالنسـبة لهم محـورًا من المحاور التي يحاولون من خلالها أن يَزعموا وجودَ وشـائج وطيدة بين المسلمين واليهـود؛ كي يَنطلقوا بعدهـا إلى محاولة الادِّعاء بالأصل السَّـامي الذي يَجمـع الاثنين، ومن ثَمَّ يَسـهل عليهم حينها القـولُ بشرعية الوجود على الأرض المغتصبـة، فبما أنَّ القَصص القـرآني تأثَّر بالقَصص التَّوراتي على زعمهم، فهذا دليل على قوة الوشائج بين الديانتَين، التي يمُكن أن يُؤسَّس عليها -حسـب زعمهم أيضًا- تبادُلٌ ثقـافيٌّ واجتماعي يمُكِّن من التعايش السلمي بينهم على الأرض.

1 - الغاية السياسية عند المستشرق (أوري روبين)

ويَظهـر هذا الأمـر بوضوح عند (أوري روبـين) في ترجمته لمعاني القرآن الكريـم إلى العبريـة، وكأنَّه جعل هدفَـه الرَّئيس من هذه التَّرجمة تشـويهَ الإسـلام لأغراض سياسـية تخدم صـورة دولته المحتلة، أكـثر من كونها أغراضًـا علمية، وهذا الأمر لا يَظهر في ترجمتـه لمعاني القرآن في جانب القَصص القرآني فقط، بل تعدَّى ذلك إلى كلِّ ما يتعلَّق بالآيات القرآنية من موضوعات، عنوانهـا الرئيس خدمةُ السِّياسـة "الإسرائيلية" وتَلميع صورة الكيـان المحتلِّ أمام العالم، وإظهار الإسـلام في صـورة الدِّين المُعتدي الذي جاء لهلاك العالم بمفاهيم الجهاد والقتال التي يَحتويها.

وهـذا مـا أكَّدَه أحدُ الباحثـين عندما قال إنَّ "الاسـتشراق الإسرائيلي تميَّزَ بغلبة الطابع السـياسي عليه؛ حيث إنَّ معظـم اهتماماته وموضوعاته التي تناولها بالدراسـة كانت سياسـيةً، وحتى الدِّينية منهـا أو اللُّغوية أو الأدبية أو التاريخية تمَّ اسـتخدامها وتَطويعها لخدمة أغراض سياسـية، ولعلَّ من

أبرز الأمثلة على ذلك ما أورده البروفيسور (أوري روبين) صاحب أحدث ترجمة عبرية لمعاني القرآن الكريم صدرت في إسرائيل عام 2005 في تعليقات وهوامش ترجمته من بعض الإسقاطات السياسية على آيات القرآن الكريم، ولا سيَّما المُتعلِّقة منها بالقتال والجهاد وعلاقة المسلمين بأهل الكتاب"[1].

وقد يدلُّ على تلك القراءة السياسية أنَّهم يحاولون أن يَزعموا بأنَّ القرآن سرقَ القَصص القرآني اليهودي، ومن ثَمَّ يتَّخذون من ذلك مطيّةً للقول بأنَّ المسلمين سارقون، ثم ينطلقون إلى النتيجة التي يُريدونها، وهي أنَّه بما أنَّ القرآنَ سرق القَصص فالمسلمون سارقون، وقد سرقوا الأرض التي يعيشون عليها، وأنَّها أرض اليهود التي اغتُصبت منهم منذ قرون. بما يعني أن محاولاتهم الفاشلة في ادِّعاء سرقة القَصص القرآني للقَصص التَّوراتي ليست هدفًا في ذاتها، وإنَّما مطية لأهداف سياسية يحاولون بها تأكيد قضية الوجود المزعوم.

ويمُكننا القولُ إنَّ موقف الاستشراق "الإسرائيلي" المعاصر يُعدُّ امتدادًا للموقف اليهودي الذي اتَّخذه المستشرقون اليهود الذي لم تَمنعْنا جنسياتُهم الأوروبية من كشف الأهداف اليهودية التي يَنطلقون منها.

ويَرى أحدُ الباحثين أنَّه إذا كانت هناك ثلاثة عوامل رئيسة سيطرت على اتِّجاهات الحركة الاستشراقية، منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهي تحديدًا: التَّنصير والاحتلال والصهيونية، فإن الأخيرة استطاعَت أن

1 - أحمد البهنسي: الاستشراق الإسرائيلي... الإشكالية والسمات والأهداف.

تُكيِّف الأوَّلَ والثاني لتحقيق أغراضها؛ إذ لا يُؤثِّر على الصهيونية أن يَنتصر العالَمُ الإسلاميُّ كلُّه، كما لا يُؤثِّر عليها أن تحتلَّ القوى الاستعماريةُ الشَّرقَ كلَّه، ما دام الاتِّفاق بين هذا الثالوث على تحقيق الاحتلال اليهودي لفلسطين قائمًا[1].

كلُّ تلك القراءات وغيرها تقوم على قراءة مُتعصِّبة للمصادر الإسلامية، بقصد التَّهوين من قيمة ما تُقدِّمه في تغيير مسار التاريخ الإنساني، ويمُكن فهم هذه القراءة وفق تقسيم الغرب للشعوب الغربية على أنَّها جنس آري، ووفق التقسيم اليهودي للشعوب، حيث ادَّعَوا أنَّهم شعبُ الله المختار، وهذا ما جعل الغرب يَتبنَّى تفسير تاريخ العالم ومعتقداته وفق نظرة الأفضلية التي يُغذِّيها هذا التقسيم، باعتبار أنَّهم أفضل الشعوب قاطبةً، وأنَّ غيرهم في مُؤخِّرة الأجناس والأمم، وهذه النَّظرة الفَوقيّة التي أتَت بالاحتلال والوصايا على الدُّول؛ لأنَّها وفق هذه النظرة مجبولة على العوار والنَّقص[2]. والهدف من ذلك "إضعافُ مُثُلِ الإسلام وقِيَمه العُليا من جانب، وإثبات تفوُّق المُثُلِ الغربية وعظمتها من جانب، وإظهار أيّة دعوة تَدعو للتمسُّك بإظهار الإسلام بمظهر الرَّجعية والتَّخلف"[3].

تلك النَّظرةُ ألقَت بظلالها على قراءة المستشرقين للنَّص القرآني، فجعلَتْه إما سائرًا في محاكاة العهد الجديد وفقَ النَّظرة الغربية الاستعلائية، أو

1 - انظر محمد جلاء إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، ص 85.

2 - عبد القادر بخوش: مناهج الاستشراق المعاصر في الدراسات الإسلامية، ص.ص. 311 - 313.

3 - عبد الكريم عثمان: معالم الثقافة الإسلامية، ص99.

مُقتفيًا أثرَ العهد القديم وفق النَّظرة اليهودية الفوقية الانتقائية. وهذا ما جعل التعصُّب ظاهرًا بصورة لا يمُكِن نكرانُها في دراساتهم حول هذا النصِّ، دون أن يُكلِّفوا أنفسَهم مؤونةَ البحث عن الخصائص التي يتميَّز بها النَّصُّ القرآنيُّ، ليحكموا بأهميته وأثره، أو عن وحدوية المصدر الذي جاء منها هذا النَّص عامة.

هذه القراءة السياسية لا نُغفلُها منذ نشأة الدراسات الاستشراقية ذاتها، فقد كان للاستشراق منذ بداياته الأولى قراءات سياسية بُنيت على غاية سياسية، قوامُها الاستيلاء على الشَّرق فكريًّا وعقليًّا جنبًا إلى جنب مع الحركات الاحتلالية، ثم استمرَّت هذه القراءة بدورها إلى الآن، بعد انتهاء مرحلة الاحتلال العسكري، التي بدأت أولى خطواتها مع الحروب الصليبية.

ولنا أن نقول إنَّ كلَّ ما يتعلَّق بنقد النَّص القرآني وعلومه في الاستشراق المعاصر، ومن قبله الاستشراق القديم، هو في التحليل الأخير يصبُّ في بعض جوانبه في القراءة السياسية، فمن المعروف أنَّ الدِّراسات الاستشراقية التي تُشوِّهُ الإسلام يُعدُّ من أهم أهدافها -فضلاً عن أهداف أخرى- إضعافُ الجانب الرُّوحي والمعنوي في نفوس المسلمين، كي تقلَّ مقاومة هذين الجانبين، ومن ثَمَّ فإنَّنا نعتقد أن نقد المستشرقين للقرآن وعلومه وتاريخه المجيد كان موضوعًا من موضوعات إضعاف المقاومة الرُّوحية عند المسلمين، وهذه واحدة من وسائل السَّيطرة السياسية، بما يَعني أنَّ القراءة السياسية هنا كان من ضمن أهدافها تشويه الحقائق عند المسلمين بما يُقلِّل من الحماسة الدِّينية عندهم، فنَفقد ثقتنا في ديننا -وهذا مُحال- فنرَتمي في أحضان الغرب، فيسهل عليه السيطرة السياسية علينا. لا

نقول إنَّ نقدَهم للنَّص القرآني هو الوسيلة الوحيدة التي يُحاولون بها تحقيق سيطرة الغرب السياسية، ولكنْ نقول إنَّه إحدى الوسائل ذات الأهداف البعيدة التي يَحلمون أن تَقود إلى هذا.

ولعلَّ المتأمِّلَ في كتاب (ديفيد باورز – David Powers) المعنون بعنوان: "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم"، لا يَستطيع أن يَستشفَّ غيرَ هذا، فهذا المستشرق إنَّما يقوم بتسييس قصة زيد في القرآن، فينتقل من مجرَّد الحديث عن القصة في القرآن إلى نقدها بناء على قراءة سياسية لا توجد إلا في خياله، إذ تقوم قراءته السياسية هذه على أنَّه يَجب ألا يكون للنبي ولدٌ، وإذا وُلد له ولدٌ فلا بُدَّ من أن يمَوت صغيراً. (ديفيد باورز) يقول إنَّ سيِّدَنا محمدًا لم يعشْ له أولاد ذكور، بل ماتوا جميعًا صغارًا، ولم يَصلوا إلى مرحلة الشباب أو الرجولة، وأنَّه تبنَّى زيدًا وكان محبوبًا لرسول الله، وسُمِّي زيدَ بن محمد، ثم ينطلق (ديفيد باورز) إلى ما هو أبعد من ذلك، بحيث يكشف لنا عن حقيقة قراءته السياسية هذه، فيَذهب إلى أنَّه لو كان لمحمد ابنٌ لما كان النَّبيَّ الخاتم، كما أنَّه لو كان النبيَّ الخاتم لما اتَّخذ ولدًا، مُدَّعيًا أنَّه لكي يَضمن محمدٌ مكانَه كنبي خاتم فإنَّه قام بالتخلُّص من زيد، عن طريق إرساله إلى معركة مؤتة[1].

وهذه قراءة سياسية من الدَّرجة الأولى تَستند إلى شيء غير واقعي، وهو أنَّ النُّبوةَ وراثةٌ، وأنَّه لكي يَضمن سيدُنا محمد صفةَ النبي الخاتم فلا بدَّ

1 - David Powers: Muhammad Is Not the Father of Any of Your Men: The Making of the Last Prophet, p. 72.

أن يتخلَّص من زيد، وهذه القراءة تَفترض أنَّ النُّبوة منصبٌ سياسيٌّ، وأنَّه من لوازم هذا المَنصب السياسي أن يتوارثه الأبناءُ كما كان يَحدث قديمًا، فالرَّبط بين النبوة والمُلك واضحٌ بشدة في قراءة هذا المستشرق، فهذا أوَّلُ مَلمحٍ من ملامح القراءة السياسية للقَصص القرآني عند (ديفيد باورز)، والمَلمح الثاني يَظهر في زعمه بأنَّ النبيَّ الكريمَ انتقمَ من زيدٍ بإرساله إلى الغَزوة ليموت، ومن ثَمَّ -بناءً على هذا الزعم- لا يَرِثُه، فيكون بذلك النبيَّ الخاتم على هذا الزَّعم غير الواقعي والمُجافي تمامًا للحقيقة، والمَلمح الثالث أنَّ هذا الفَهم يقوم على تقسيم ميراث الأنبياء قسمين: نسلِ إسحاق، ونسلِ إسماعيل، والأول على هذا الزَّعم له كلُّ حقوق الولاء والاعتراف بالنُّبوة، في حين يَنظرون للثاني على أنَّه محض افتراء، استكمالاً لفرية السيادة العالمية وشعب الله المختار، وهنا يَكمن السبب السياسي في رفضهم لنبوة سيدنا محمد وتَشويههم لها.

لكنَّ هذه القراءة تَسير في إطار النَّظرة العامة التي تَنظرها اليهودية عامّةً للأنبياء، فهي على الدَّوام تَنظر للأنبياء نظرة تَشنيع وتشويه ونقص، وهذه النَّظرة نجدها بارزة في سِفر صموئيل الثاني؛ حيث يقول: "وداود كان في المساء يَمشي على سطح قصره، فرأى امرأةً جميلة تستحمُّ، سأل عنها، قال أحدهم: هذه بثشبع بنت ألبعام امرأة أوريّا الحثّي، فأرسل إليها وضاجعَها، ثم رجعَت إلى بيتها حُبلى." [صموئيل الثاني: 11 – 2]. ثم "كتب داودُ مكتوبًا إلى يوآب بأن يَجعل أوريّا في وجه الحرب الشَّديدة؛ ليُضرَبَ ويَموت." [صموئيل الثاني: 11 – 2]، وكأنَّه يَرمي إلى أنَّ النبي محمدًا فعل ما فعل من أجل الشَّهوة، وباعتباره في ظنِّ (باورز) مَلِكًا كما فعل داود،

وهذا تشـويهٌ كبير لنبيَّين كَريمين اصطفاهما الله تعالى لرسـالته، لكنَّ هذه النَّظرة تُثبت أنَّ قراءة القَصص القُرآني عند باورز قراءة سياسية.

وهـذه النَّظرة المنبثقة من العهـد القديم ذاته هي التـي اصطبغَت بها نظرةُ اليهـود تجاهَ الأنبيـاء، ومن ثَمَّ فلا غرابة في أن ينظروا هـذه النَّظرة إلى نبيِّنا الكريـم؛ فهي نظرة تَرى في النُّبوة مُلكًا وجاهًا وسـلطانًا، يفعل من خلالها الأنبيـاء ما يَفعلـه الملوكُ، وتلك قراءة سـلطوية تنزع نزوعًا سياسـيًّا ماديًّا براجماتيًّا مرذولاً.

وهنا يطرأ سؤال ردًا على تلك القراءة المزعومة التي يقول بها (ديفيد باورز)، لو كان سـيدنا محمد له رغبة في الزَّواج من زينب بنت جحش قبل زواجها مـن زيد، فلماذا لم يُصرِّحْ بذلك خاصـة وهي ابنةُ عمِّه؟! لماذا يظلُّ هكذا حتى يَتِمَّ زواجُه منها، ثم يُدبِّر له القتلَ كما يَزعم (باورز)؟! فكيف يُعقَل أنَّ الرَّسول انتقمَ منه لهذا السبب؟! إذن فهل هناك دليلٌ على كلام (باورز) هذا أو شـواهد تاريخية تُؤيِّدُه؟! الإجابة بالنَّفي، فقراءتُه هنا مُجرَّد اسـتنتاجات لا تسـتند إلا إلى هوًى، ورغبة في قراءة قصة زيد قراءة سياسية تَنظر لسيدنا محمد على أنه طالب جاهٍ وسلطان ماديٍّ وليس نبيًّا.

إنَّ هذه القراءة السياسـية التي قام بها باورز هي قراءة مردودٌ عليها بالدَّليل، فلقد عرض زعماءُ قريش على سـيدنا محمد الجاهَ والمُلك والسـلطان في مقابل أن يَتنازل عن النبوة والرسـالة فرفضَ، ولو كان طالبَ جاهٍ أو سلطان سـياسيٍّ لما رفـضَ هذا العرضَ المُغري منهم، لكنَّ هـذا كان دليلاً ناصعًا عـلى أن النبـوة ليس مُلـكًا، وأنَّه لا تجتمع الرسـالة الإلهية مع الشَّـهوات المادية، وأن سيدنا محمد نبيٌّ لا ملكٌ، رسولٌ لا طالب سلطان.

وفي هذا السِّـياق فإنَّ الدراسات الاسـتشراقية عن القرآن -إلا القليل منها- والتي يقوم بها المستشرقون المعاصرون في الغرب، يُقيمونها على قراءتين مزدوجتين: قراءة عقدية، وقراءة سياسـية، حتى وإن ظهرت القراءة العقدية للوهلة الأولى ولم تظهر القراءة السياسـية، فإنَّ الأخيرة حتمًا تظهر ولو من بين ثنايا السُّطور، ونحن قد نبذلُ مزيدًا من الجهد حتى تتبيَّنَ لنا هذه القراءة الأخيرة ونقف عليها عند هؤلاء المستشرقين، وهذه الدِّراسات الاستشراقية تتَّخِذُ من نقد القرآن أو علومه أو تاريخه -سـواء في كتابات خاصة، أو عن طريق دراسـته ضمن موضوعات قرآنية أو إسـلامية أخـرى- مطيّة لتحقيق أهداف عقدية سياسية في آنٍ واحد.

لا ندَّعي كذبًا إذا قُلنا إنَّ الغاية السياسيّة كانت مُحرِّكًا في كثير من الأحيان لبعض مُترجمي القرآن تجاه ترجمة الكلمات على نحو مُعينَّ يَخدم اتِّجاهَهم ومُيولَهم السياسيّة. ويَظهر هذا الاتِّجاه أشدَّ ما يكون وضوحًا عند المستشرق اليهودي (أوري روبين) الذي كان يحاول التَّرسيخ للكيان الإسرائيلي من خلال شرعنة وجوده، مُترجمًا بعضَ الآيات ترجمةً تَسير في هذا التيار، وهذا ما ظهر على سبيل المثال في ترجمته لقوله تعالى: ﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ ...**﴾ [المائدة: 21]، وقد سبقَ أن بيَّنا ظهور اتِّجاهه السياسيّ في ترجمة هذه الآية.

وفي سـبيل هذا الاتِّجـاه أو هذه الغايـة راح (روبين) يتلاعـب بلغة القرآن ويفسّرهـا تفسـيراً يخدم الكيان الإسرائيلي سياسـيًّا، ثمَّ يَنقل هذا التَّفسـير المغلوط في ترجمته لمعاني ألفاظ القرآن الكريم. وهنا يمُكننا القولُ إنَّ لغة النصّ القرآنيّ في ترجمة (أوري روبين) تعرَّضَت لتشـويه متعمَّد خاصة في

تلك القضايا التي كان يتَّخذها مَنفذًا لتمرير أفكاره السياسيّة وآرائه في قضيّة استحقاقيّة الوجود على الأرض، لكنَّ هذه الغاية كانَت تَصطدم على الدَّوام بالتفاسير الأربعة التي اعتمدها (روبين) مرجعًا لترجمته، وهي التفاسير التي لم تُمكِّنْه من تحقيق هذه الغاية في ترجمته إلّا بالتَّخلِّي عنها، وترك المجال لهواه ليَكون مُنطَلَقَه في العديد من الآيات التي وجَّهها توجيهًا سياسيًّا، وهذا ما حدث بالفعل.

وقد تلاعب روبين ببعض ترجماته للقرآن لغايات سياسية، من ذلك مثلاً ترجمته لقول الله تعالى: ﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ**﴾ [المائدة: 21]، فترجم (روبين) هنا كلمة "كتبَ" بما يَخدم فكرتَه اليهوديّة السياسية، وليس بما يَخدم الترجمةَ ذاتَها، فقد علَّق في الحاشية مُترجمًا الآيةَ قائلاً: "هذه الأرض التي وعدَها لهم اللهُ"[1]. وهذه الترجَمة التَّفسيريّة التي يُقدِّمها روبين تُبنى على مغالطة واضحة؛ لأنَّ معنى الآية هنا هو: ادخلوا الأرض التي فرضَ اللهُ تعالى عليكم دخولَها. وما بين الفعل (وعدَ) الذي اختاره روبين، وبين (فرضَ) الذي هو رأي المفسّرين المسلمين بونٌ شاسع، فالفعل وعدَ يحمل معنى الهبة أو العطيّة، ولذا اختاره روبين – في مغالطة فجّة – ترجمةً للفعل كتبَ، محاولاً أن يُرسِّخ للوجود اليهوديّ في إسرائيل، أو أنْ يَضع سندًا تاريخيًّا له، وهكذا أملَت دوافعُ سياسية هنا -بجوار دوافع عقدية بالطَّبع-

1 - انظر: ناصر الدين أبو خضير: ترجمات القرآن الكريم إلى العبرية.. ترجمة روبين نموذجًا، ص 88.

على (روبين) أن يُشوِّه اللُّغةَ العربيَّة من جانب، ومضمونَ النصِّ القرآنيّ من جانب آخر.

قد يُقال إنَّ (روبين) اعتمد في ترجمته هذه على التفاسير الأربعة المعتمدة لديه، والتي يَذهب فيها أصحابها إلى تفسير الفعل (كتب) من عدّة وجوه منها: ما ذهب إليه (روبين) في ترجمته، بيد أنَّه تغافل عن الوجوه الأخرى، كما أنَّه تغافل عن الشُّروط التي وضعها مفسِّرٌ كـ (ابن الجوزي) لتكون هذه الأرض لهم[1]، وكان عليه -حسب ما تَقتضيه الأمانة العلميّة- أن يَذكرَها؛ لكنَّه اختار ما يوافق عقيدتَه اليهوديّة، دون أن يُبيِّن هذه الوجوه أو تلك الشروط.

وهذه الغايةُ السياسية لا نَعدمها عند المستشرق الإسرائيلي (شالوم زاوي) في كتابه: "مصادر يهودية في القرآن"، فقد غلبَ عليه الطابعُ السياسي؛ إذْ هدفت معظمُ الكتابات الاستشراقية "الإسرائيلية" حول القرآن الكريم إلى خدمة "إسرائيل" ككيان سياسي وتبرير وجوده بالمنطقة، وهو ما برز في كتاب (شالوم زاوي) سالف الذِّكر من خلال تأكيد مُؤلِّفه بمقدمته على أنَّه سيَسعى لدعم الحوار بين المسلمين واليهود وبين العرب ودولة إسرائيل،

1 - يذهب (ابن الجوزي) في زاد المسير إلى أن في معنى "كتب" جوابين: أحدهما أنه إنَّما جعلها لهم بشرط الطاعة، فلما عصَوا حرَّمَها عليهم، والثاني أنَّه كتبها لبني إسرائيل، وإليهم صارت، ولم يَعنِ موسى أنَّ الله كتبها للذين أُمروا بدخولها بأعيانهم. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج1، ص371. ويذهب الجلالان في تفسير الجلالين إلى أنَّ قوله: (كتب الله لكم) أي أمركم بدخولها. انظر: جلال الدين المحلي؛ وجلال الدين السيوطي: تفسير الجلالين، ص111.

من خلال إعادة تفسير القرآن وإصلاح المناهج والنَّظريّات الإسلامية بشكل يُثبتُ حقَّ اليهود، وإبراز دعوة محمد الحقيقية في صورتها العالمية وأساسها التَّوراتي، مما قد يُؤدِّي إلى إنهاء الحروب الدِّينية بعد أن تتحقَّقَ نبوّة أنبياء العهد القديم[1].

5 - الغاية السياسية عند (برنارد لويس)

هناك دراسات استشراقية يهودية معاصرة يَغلب عليها الغاية السياسية بوضوح، وفي رأينا هي تَتماشى مع التوجُّه العالمي الذي يَنظر للإسلام نظرةَ ازدراء، ويَعمل على إضعافه سياسيًّا، واستنزاف خيراته وثرواته، كما أنَّه يصبُّ في إطار الإسلاموفوبيا التي نرى أنَّها ذات توجُّه سياسيٍّ عالمي تجاه الإسلام والمسلمين. وفي هذا السياق نَفهم توجُّه (برنارد لويس)، فـ (لويس) تناول بعضَ القضايا القرآنية، ومن أهمها الرِّواية القرآنية، لكنَّه لم يَتناوَلْها في كتاب خاصٍّ، وإنَّما نجدها متفرِّقةً في عدد من كتبه، ويَهمُّنا هنا موقفُه من الرِّواية القرآنية التي زعمَ اقتباسَها من العهد القديم[2]، فهو يَزعم أنَّ النبيَّ الكريم وقع تحت تأثير اليهودية والنصرانية، وأنَّ الرِّواية القرآنية تَشي بأنَّه قد أخذ معلوماته ومعارفَه حول هذا القَصص من التُّجار الذين استقَوا معلوماتهم بدورهم من المدراشيم والأبوكريفية.

---

1 - انظر أحمد البهنسي: كتاب مصادر يهودية بالقرآن للمستشرق شالوم زاوي - عرض وتقويم. وأحمد البهنسي: "الاستشراق الإسرائيلي - الإشكالية السمات الأهداف"، ص471.

2 - انظر: مازن مطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي .. برنارد لويس نموذجًا، ص127.

وإذا علمنـا أن (برنارد لويس) هو مهندس خريطة تقسـيم الشَّرق الأوسـط لغايات سياسـية تصبُّ في مصلحة اليهود والصهيونية، فإنَّنا نُدرِكُ بذلك أنَّ نقدَه للرِّواية القرآنية والادِّعاء باقتباسها من العهد القديم ما هو إلَا حلقة من حلقات القراءة السياسـية التي أكَّدنا عليها، فهـو صاحب "نظرية الفوضى الخلاقة"، وضرب بعضِ البلدان العربية خدمةً لهذه الغايات. هذا المستشرق اليهودي عمد إلى تضليل سياسـات النِّظام الغربي وخاصة الأمريكي تجاه الدُّول العربية والإسلامية، فكان عاملاً من عوامل تأجيج النِّيران، مما جعل هذه الأنظمةَ تتَّخذ خطواتٍ عقابيّةً تصبُّ في صالح الكيان الصهيوني.

ولعـلَّ المتأمِّلَ في كتابات هذا المسـتشرق يَلمسُ كمَّ الحقـد والكراهية التي يُكنِّها للعرب والمسـلمين، خاصـةً بعدما تحوَّل من مجـرَّد باحث في التاريخ الإسـلامي إلى صهيوني متطرِّف يريد أن يَنسـف كلَّ ما هو عربيٌّ وإسلامي من الوجود، بدليل أنَّه أراد أن يُعامِلَهم الغربُ كبدوٍ رُحَّلٍ وقبائل متناحرة متقاتلة[1]، ومن ثَمَّ فإنَّ الحرية على زعمه ليست لهم. ولعلَّ جذوره اليهودية المُتعصِّبة هي التي دفعته لاتِّخاذ هذا المَسـلك المتصهين، فقد وُلد في بريطانيا لأسرة يهودية في عـام 1916م، "وبـدأت عليه ملامحُ حُبِّـه للُّغات والتاريخ، فاهتمَّ في سـنٍّ مبكرة، وتحديدًا في الحادية عشرة من عمره، بدراسـة اللُّغتين العربية والعبرية، ثم الأرامية، ومنها انتقل إلى اليونانية والفارسـية واللاتينية والتركية. ارتاد جامعة ويلسون والجامعة التِّقنية وتابع دراساته العليا في جامعات لندن وباريس"[2].

1 - انظر: برنارد لويس: العرب في التاريخ، ص.ص. 25 وما بعدها.

2 - https://manar.com/page-39944-ar-ar-ar-ar.html

وقد بدأ حياتَه العملية بالمشـاركة في حياكة الدَّسـائس ضدَّ العرب؛ خدمة لأهداف غربية ويهودية لديه؛ حيث "عمل لمدة في وزارة الخارجية البريطانية في أثناء الحرب العالمية الثانية في اللجنة العربية-البريطانية المشتركة. وهي وكالة اسـتعمارية تعمل على إضعاف العـالم العربي والحفاظ على التفوُّق البريطـاني عليه. درس لمـدة ثلاث سـنوات في كلية الدِّراسـات الشَّرقية الإفريقية في جامعة لندن. وانتقل في عام 1974 من جامعة لندن إلى جامعة برينستون."[1].

ويُعـدُّ تاريـخ (برنارد لويس) شـاهدًا على مـا اقترف من آثام ضـدَّ العرب والمسـلمين، فهذا المسـتشرق بـدأ العملَ في اللَّجنـة العربيـة البريطانية المشـاركة التابعة لوزارة الخارجية البريطانية أثنـاء الحرب العالمية الثانية، وهـذه اللَّجنـة كان هدفُهـا الرئيس اسـتنزافَ خيرات العرب والمسـلمين وإضعاف شـوكتهم؛ حتى يسـهل على بريطانيا السَّـيطرة عليهم. بما يعني أنَّ أهدافـه السياسـية كانَـت ظاهرة مـن الوهلـة الأولى، لكنَّه بعـد انتهاء الحرب العالمية الثانية اتَّجه اتِّجاهًا سياسـيًّا آخر لخدمة الأهداف السياسية الاستعمارية واليهودية، إذ عمد إلى دراسة العالم الإسلامي في دول الشرق الأوسـط، فكثرت مؤلَّفاته من كتب وأبحـاث ومقالات عن التاريخ العربي والإسلامي وقضاياه، فتلقَّفَته يدُ الغرب بالعناية والاهتمام؛ خاصةً أنَّه ينطلق مـن منهجية وغايات يَرتضيهـا الغرب؛ لأنها تصـبُّ في مصلحته وتحقيق أغراضة الدَّنيئة والخبيثة.

1 - https://manar.com/page-39944-ar-ar-ar-ar.html

وقـد كتـب مجموعة من الكتـب التي عدَّهـا الغربُ مرجعَـه لفهم العرب والمسـلمين، وهي: "العرب في التاريخ" سـنة 1950م، و"الشرق الأوسـط والغرب" سنة 1964م، و"الشرق الأوسط" 1995م. وقد شكَّلَت هذه الكتب وغيرها وعيَ الغرب المُضلَّل نحو الإسـلام والعرب بصورة راسخة، وصار (برنارد لويس) القاموس المرجعي لكلِّ ما هو إسلامي عندهم.

والأكيـد أنَّ هذا المسـتشرق اليهـودي الصهيوني المعـاصر كان يقف في معالجتـه لتاريـخ العرب والمسـلمين عند بعـض الجوانب غـير المُضيئة -بدَعوى أنَّ ما يَطرحُه ليس تأريخًا للعرب بقدر ما هو محاولة في التأويل[1]- ويُثير حولَها هالة، ويَعمد إلى تضخيمها؛ حتى يُصوِّرَ للعالم الغربي أن هذا هو الإسـلام، "... وعلى هذا، سـعَى (برنارد لويس) فيـما كتبه إلى التَّركيز على جزء من تاريخ الإسـلام الذي كانَت تروج فيه أفكار الانزواء وممارسة الطُّقوس الصوفية والعرفان البعيد عن الاجتماع وعن السياسـة. ولم يُخفِ لويس تأييده الواضح والصَّريح لكلِّ الحملات الصليبية، ويَرى أنَّ الاعتذار عن هذه الحملات هـو مَحضُ حماقة. وكان له أبحاث مُعمَّقة حول الفِرق المختلفـة في العالم الإسـلامي. نال شـهادة الدكتوراة على رسـالته حول 'ظهـور الفرقة الإسـماعيلية'. ومن الموضوعات الأخـرى التي جذبته كان الوضع التاريخي والاجتماعي لليهود في المجتمعات الإسلامية"[2].

1 - انظر: برنارد لويس: الإسـلام في التاريخ .. الأفـكار والناس والأحداث في الشرق الأوسط، ص5.

2 - https://manar.com/page-39944-ar-ar-ar-ar.html

ويمُكِنُ القولُ إنَّ أبحاثه ودراساته كانَت تنطلق من إسداء خدماته لليَهود والكيان الصهيوني في فلسطين المحتلّة، ويَكفي أن نعلم أنَّه بعد قيام دولة الكيان الغاصب تحوَّلَت دفّةُ أبحاثه إلى دراسة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للدُّول العربية والإسلامية المحيطة به. بل إنَّها في جزء منها كانت تَعمد إلى محاولة هدم وتفكيك الإمبراطورية الإسلامية؛ كونها كانت شوكةً في حلق الكيان الصهيوني والغرب، وحتى يَفقد المسلمون أيَّ رابطة يتجمَّعون تحت لوائها.

لقد كان هذا المستشرق ذا منهج خاصٍّ في التاريخ العربي والإسلامي[1]، واستفاد من دراسته له في تحقيق أهداف وغايات سياسية تُمكِّن للكيان الصهيوني سياسيًّا في الأرضي المحتلة، حيث استفاد من سقوط الدُّول والإمبراطوريات الإسلامية عبر تاريخها بسبب الانشقاقات والاختلافات المذهبية والعقدية، فأوحى إلى صُنّاع القرار في الغرب وخاصة أمريكا بتقسيم العالم العربي والإسلامي بناءً على هذه الاختلافات من خلال كُتب تُمهِّد لهذه المرحلة[2]، حتى يضعفه ويجعل دُولَه المُنفصلة المَعزولة لقمةً سائغة في فمِ الكيان الغاصب، وهذا ما نَراه الآن ويترسَّخ في أذهاننا يومًا بعد يوم.

وقد كشف (برنارد لويس) عن مُخطَّطِه أوَّلَ ما كشف في النّمسا داخل منظمة

1 - انظر: صبحي عبد المنعم محمد: "المستشرق برنارد لويس ومنهجه في دراسة التاريخ الإسلامي"، 491.

2 - انظر: برنارد لويس: "الإيمان والقوة، الدين والسياسة في الشرق الأوسط"، ص.ص. 4، 27، 57،....

بيلدربـرغ، وذلك عام 1979م، مُسـتغِلًّا وجود أرباب السِّياسـة والاقتصاد القائمـين على أمر المُؤتمر، حيث طرح فكرة التَّقسـيم على أسـاس البُعد اللُّغوي والبُعـد المذهبي والبُعد الجغرافي والبُعـد العرقي، ومن ثَمَّ كانت دعوتـه الخبيثة إلى الدُّول المشـاركة في المؤتمر وأهمهـا بريطانيا بضرورة دعم الأقلِّيّات كوسيلة ناجعة للوصول إلى مرحلة التَّقسيم. وقد بدأت بوادر هذا التَّقسـيم تظهر في بعض البلدان العربية؛ تنفيذًا لهذا المُخطَّط المرسوم منذ عقود.

وهنا يَطرأ سؤالان:

الأول، هل كان هذا التَّقسم مُنصبًّا على البعد السياسي؟

الثـاني، كيف يخدم هذا التَّقسـيم الأبعادَ العقدية والسياسـية اليهودية التي رسمَها هذا المستشرق في مُخيِّلته؟!

للإجابة عن السُّـؤال الأول يمُكِنُ القولُ إنَّ هذا التَّقسـيم لم يكن تَقسيمًا ذا أبعاد سياسية فقط، بل كانَت له أبعادٌ أُخرى: اقتصادية، تَهدف إلى السَّيطرة على مناطق التفوُّق العربي المُتمثِّلة في آبار النفط والبترول والمناطق الغنية بالمـوارد الطبيعية وأخصهـا المعادن، وديمغرافية تهـدف إلى إعادة توزيع السكان حسب الاختلافات المذكورة سابقًا لتسهيل عملية التقسيم.

فيـما يمُكـن القولُ إجابةً على السُّـؤال الثـاني إنَّ هذه الأبعـاد تَخدم دولةَ الكيان؛ لأنَّه مع وجود وطن عربي وإسـلامي مُقسَّـم ومُفكَّك ومَنزوعة منه مصادر قوته، فإنَّ هذا الوَضع يَضمن لهذه الدولة الغاصبة أن تكون مُتفوِّقة، وتأمـن ويأمـن الغرب وأمريـكا معها من خطـورة اتِّحاد المسـلمين الذي سيكون حينها وبالاً عليها وعليهم.

ليس هذا فحسب، بل إنَّه "ومنذ سنوات السبعينيّات من القرن الماضي أقام (برنارد لويس) علاقاتٍ قويةً مع المحافظين الجُدد في أمريكا، حيث يُعدُّ من أهمِّ وأبرز مستشاري ومُلهمي الرَّئيسين بوش الأب وبوش الابن. فسَوَّقَ للكثير من أفكاره وسُمومه الأيدلوجية لحكومة بوش حول قضايا "الشرق الأوسط" والحرب على الإرهاب، حتى إنَّه اعتُبر مُنظِّرَ سياسات الهَيمنة والتسلُّط والتدخُّل الأمريكية في المنطقة. كما شارك في التفكير الإستراتيجي لاحتلال العراق، ونقلت إحدى الصُّحف الأمريكية حضورَه المُكثَّف مع بوش وديك تشني في أعقاب أحداث سبتمبر، وعرض موضوع احتلال العراق من منظور 'صراع الحضارات' و'الإرهاب الإسلامي'"[1].

وعلى الرغم من محاولة إنكاره هذا الأمر إلا أنَّ كلماته تَفضحه عندما يقول عن مُهمَّته بأنَّها تنحصر في "توفير المعلومات الأساسية كبعض التفاصيل والمعلومات التي يتمُّ أخذُها في الاعتبار عند صنع القرارات السياسية"[2].

هذا يَعني أنَّ المستشرق (برنارد لويس) أدَّى واجبَه على أكمل وجه من وجهة النَّظر الغربية الأمريكية؛ خدمةً لأغراضه اليهودية والصهيونية الخبيثة، ولا نكاد نجد مستشرقًا له دور سياسي بارز مثلما نجد لـ(برنارد لويس)، إذ لا تُعدُّ جهودُهم السياسية الخادمة للصهيونية العالمية بمثل نظيرتها عند هذا المستشرق، وقد عبرَّ (برنارد لويس) عن انتمائه الصهيوني المُدافع عن دولة

1 - https://manar.com/page-39944-ar-ar-ar-ar.html

2 - برنارد لويس: هوامش على قرن مضى .. خواطر مؤرخ مهتم بالشرق الأوسط، ص341.

الكيان الغاشـم، عندما ذهب إلى أنَّ الإنسـان ذا الإرادة الحسنة لا يستطيع إلا أن يكـون مُعاديًـا للعرب، مُنتمِيًا لإسرائيل. يَكفـي اعترافُ رئيس وزراء الكيـان الغاصـب المدعو نتينياهو الـذي بعث ببرقية تعزيـة بوفاة المؤرخ (برنارد لويس)، وقال فيها: إنَّ إسرائيل سـتعتزُّ دائمًا بدفاع لويس الشُّـجاع عنها، وأشار إلى أنَّه كان له شرف مقابلته عدة مرات على مرِّ السَّنوات[1].

وهذا الانتماء للصهيونية الذي أبـداه (برنارد لويس) أكَّده الباحث البريطاني (جودفري جانسـن - Godfrey H. Jansen) في كتابه: "الإسلام العسكري - Militant Islam" عندما قال: "لويس مُدافعٌ مُتحمِّس لتلك الدولة 'إسرائيل' الى درجة أنَّه قدَّم شـهادته للدفاع عنها أمام لجان الكونجرس الأمريكي. ألا يجـب أن يُؤثِّر هذا الموقف السـياسيُّ في رأينا في موضوعيته العلمية عندما يَكتـب عن دولة معادية جدًّا 'لإسرائيل'"[2]، كما أنَّ طائفة كبيرة ممَّن درسـوا إنتـاج الرجل ومواقفَه وآراءَه على علم بهذا الانتماء الصهيوني الذي لم يُخفِه هذا المسـتشرق، ومن ثَمَّ نجد منهم من يقول: "ثم إنَّ هذا المستشرق (برنارد لويس) الذي يُصرُّ على صدق آرائه قد يكون محاميًا ممتازًا. ولكنَّه في الوقت نفسه لا يكون إلا قاضيًا فاشلاً. ولما كان هذا المستشرق يَشغل منصبًا جامعيًّا فـكان أولى به أن يَختـار التاريـخ أو في الأقل الصِّفة الملاصقـة له، وهي: الحقيقة."[3]، ومنهم من أشـار إلى هذا الانتماء بقوله: "لقد كشـف (لويس)

1 - https://mukhtaraat.palestine-studies.org/ar/node/10747

2 - انظـر: مازن المطبقاني: الاسـتشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسـلامي، ص362.

3 - عبد اللطيف الطيباوي: المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، ص140.

عن هويته اليهودية الصهيونية المعادية للإسلام والعرب بجلاء في الستينيّات مما باعد بينه وبين الموضوعية والصدق، والغرض يُعمي ويُصِمُّ"[1].

لكنَّنا لسنا مع أحد الدّارسين ممَّن حصرَ موقف تأييد هذا المستشرق لليهود في أنَّه ردُّ فعل لموقف العرب والمسلمين من اليهود، وذلك عندما يقول: "ونظر (برنارد لويس) في التاريخ الإسلامي نظرةً استردادية فوجد العربَ معادين لليهود عبر التاريخ كلِّه ... لذلك فإنَّ الإسلام العربي هو الحليف الطبيعي للشُّيوعية التوتاليتارية، وبينما تقف دولة إسرائيل بالمشرق نموذجًا فريدًا للدِّيمقراطية والتَّحديث ومقاومة الشيوعية"[2]. ذلك أنَّ موقفَه كان موقفًا عقديًّا وسياسيًّا خادمًا للصهيونية العالمية ولدولة الكيان الغاصب في فلسطين، فكيف يحصر نموذج الديمقراطية في إسرائيل ويحصر الشيوعية في الإسلام العربي؟! وكأنَّ الإسلام لم يأتِ ليُحارب كلَّ هذه الأفكار الضّالة! فأي منطق وأي عقل؟! بل يُمكنُ القولُ إنَّ نتائج (برنارد لويس) كانت تتناقض في كثير منها مع ما توصَّلَ إليه المُفكِّرون الثِّقات، بل هي نتائج بالأحرى كانت خادمةً لتوجُّهه العام الذي يُوليِّ فيه وجهَه شطرَ الغرب والصهيونية العالمية، ويكفي دليلاً على ذلك رفضُه فكرةَ الرَّبط بين الاستشراق والاحتلال الغربي لبلاد الشرق؛ ردًّا على (إدوارد سعيد) وغيره ممَّن أثبتوا هذه العلاقة[3]. لكن (برنارد لويس) اتَّهمه بالتناقض عندما يَرى

1 - مازن المطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، ص362.
2 - رضوان السيد: اليهودية والصهيونية في الاستشراق، ص65.
3 - انظر: إدوارد سعيد: الاستشراق، ص7.

أن الرَّبط "بين علماء الاستشراق الأوروبيين والتوسُّع الاستعماري الأوروبي في العالم الإسلامي فيه تناقض"[1]. الغريب في الأمر أنَّ من الباحثين العرب من انتقد (إدوارد سعيد)، مدافعًا عن الاستشراق بكلِّ قوة[2]!

ومن ثَمَّ يَحقُّ لنا أن نقول إنَّ الاستشراق في أزمة[3]، وهذا الأزمة هو الذي صنعَها ببُعده عن النَّهج العلمي السليم الذي يقود إلى إنتاج معرفة حقيقية، وليس معرفة مُزيَّفة غرضُها الانتصار للأفكار المُسبقة والتوجُّه السياسي والعقدي الذي يَدين به في الغالب؛ فلقد كانت الأفكار المُسبقة إحدَى الرَّكائز التي استند إليها المستشرق (برنارد لويس) في تعامُله مع الإسلام وقضاياه، ولذا فقد مارس نوعًا من الانتقاء الذي يقوم فيه بانتقاء بعض الرِّوايات التي يَنتزِعُها من سياقها التاريخي للاستدلال خطًا على أفكاره المُسبقة هذه، فضلاً عن استجلاب الفَرع والتَّغافُل العمدي عن الأصل، ويختار من الآراء شواذَّها ويُعرِضُ عن نقيضها مما لا يُحقِّق أغراضَه غيرَ العلمية، إضافةً إلى تَضخيم التفاصيل الصَّغيرة والإعراض عن الجوهري منها؛ رجاء ذلك، وأسوأ ما انتهجَه هذا المُستشرق هو التَّعميم، فيَطرح حكمًا عامًّا على بعض الحوادث، في إغفالٍ تامٍّ لقواعد المنطق وأُسسه الاستدلالية[4].

1 - برنارد لويس: هوامش على قرن مضى .. خواطر مؤرخ مهتم بالشرق الأوسط، ص279.
2 - انظر: جلال صادق العظم: الاستشراق والاستشراق معكوسًا، ص7.
3 - انظر: أنور عبد الملك: "الاستشراق في أزمة"، 1983م.
4 - انظر: برنارد لويس: أزمة الإسلام، الحرب الأقدس والإرهاب المدنس.. رؤية المحافظين الجدد واليمين الأمريكي للإسلام المعاصر، ص13.

ثالثًا: نقد الغاية الثقافية غير الخالصة

يُقصَد بالقراءة الثقافية تلك القراءة التي تبحث عن قنوات اتِّصال بين الإسلام والكتب السابقة من خلال النصِّ القرآني أو مجال من مجالات العلوم الإسلامية كالتاريخ أو التصوُّف، بيدَ أنَّه يُمكِنُ القَولُ إنَّ هذه القراءة على نوعين: الأولى قراءة ثقافية غير خالصة؛ كونها تختلط بأهداف عقدية أو سياسية من قبل المُستشرق القائم على هذه القراءة، وهذه القراءة تتمثَّل في جهود المستشرقين اليهود "الإسرائيليين" بصورة بارزة. والثانية قراءة ثقافية خالصة، وهي تلك القراءة التي لا تختلط بأيّة أهداف أيًّا كان نوعُها باستثناء الهدف الثقافي، فهذه القراءة تَنظر للقَصص القرآني والتَّوراتي على أنَّه من مصدر واحد، ورغم هذا فلكل قَصص ملامحُه المُميَّزة التي تَحكم بمصداقيّته كما في القرآن، أو عدم مصداقيّته كما ورد في رواية العَهد القديم. ومن ثَمَّ تَعمد هذه القراءة إلى تَثقيف القارئ أيًّا كانَت جنسيّتُه بحقيقة القضايا القرآنية وأهدافها السّامية، ويُعدُّ زعيم هذه القراءة المستشرق المعاصر موريس بوكاي.

قام بعضُ المستشرقين المعاصرين بدراسة القَصص القرآني في سياق عملية التَّبادل الثقافي والحضاري، بين المسلمين واليهود في العصور الوسطى، كما يَظهر عند المستشرقة الإسرائيلية (حافا لازاروس يافيه)[1]، حيث عمدَت إلى إبراز تأثير تفسير بعض القَصص القرآني أو تفسير أسماء

1 - مستشرقة "إسرائيلية" ألمانية، ولدت في 1930، عملت كأستاذ للدراسات الإسلامية بالجامعة العبرية بالقدس المحتلة، لها كتاب بعنوان الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط.

بعـض الشَّـخصيات التي ورد ذكرُهـا في القرآن -ومن أبرزهـا عُزَير- على اتِّجاهات ومدارس نقد العهد القديم اليهودية في فترة العصر الوسـيط، وما يَنسحب على ذلك من وجود حالة تبادُل ثقافي وحضاري وديني بين اليهود والمسلمين خلال هذه الحقبة التاريخية[1].

وفي هذا السِّـياق حاولَت أن تُبيِّنَ الاختلافات في قصة عُزَير بين القرآن من جانـب والتَّوراة من جانب آخر، وأثر القراءة العربية في التبادل الثقافي، ولو كان من وجهة نظر المسـتشرقة -حسـب فهمنا لقراءتها- في إطار الأعمال النقديـة المتبادلـة، خاصّةً بعد تدخُّـل القراءات الإسـلامية للنَّص القرآني وتدخـل أعلام اليهود في قـراءة النص التَّوراتي، مما ولَّـدَ تبادلاً معرفيًّا من نوع آخر حسب فهمها[2].

فكتـاب (حافـا لازاروس) يُعدُّ عرضًا لتلـك الجهود العلميـة التي قام بها المسـلمون في دراسـة التَّوراة، ومن ثَمَّ فقد عمـدَت إلى الوقوف على آراء العلـماء المسـلمين في الكتاب المُقدَّس، وبيان مناهجهـم التي انتهجوها في دراسـته، وكذلك مصادر المعرفة الإسـلامية به، وكيف تعاملوا مع هذه المصادر، مع التَّركيز على العطاء الإسـلامي في هذا المجال، ومدى تأثيره في تطـوُّر علم نقد الكتـاب المقدس في الغرب في العصر الحديث[3]. كل ذلـك في إطار مـن البحث عن التبادل الثقافي بين الشـعوب؛ حيث كانت

1 - أحمد البهنسي: "الاستشراق الإسرائيلي... الإشكالية والسمات والأهداف".

2 - انظر: حافا لازاروس يافيه: الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط، ص75.

3 - انظـر: محمد خليفة حسـن: مقدمة ترجمة كتاب الإسـلام ونقـد العهد القديم في العصر الوسيط، ص5.

تعتقـد أنـه يجب النظـر إلى هذه الموضوعـات بنظرة جديـدة، فقد تكون العوالِمُ مختلفة، لكنَّها يمُكِنُ أن تكون مُتداخلة ومتشابكة[1].

وفي السِّـياق ذاته تأتي كتابات المسـتشرق الإسرائيلي (مائير بار آشـير)[2] الأسـتاذ المُتخصِّـص في اللُّغة العربيـة وآدابها بالجامعـة العبرية بالقدس المحتلة، الـذي عمد بدوره إلى إبراز تأثير قصص الأنبياء في العهد القديم والقرآن في التبادل الثقافي بين المسـلمين واليهود في فترة العصر الوسـيط أيضًـا، حيث كتب دراسـةً حملَت عنوان: أُسـس التَّفاسـير الإسـماعيلية والفاطمية القديمة للقرآن، وذلك ضمن أبحاث تُعنى بتفاسير القرآن والعهد القديم خلال العصر الوسيط، صدرت في كتاب بالقدس عام 2007م[3].

إلا أنَّ هذه الدراسـات في نظري وراءها أهدافٌ بعيدة، فهي تَرمي من طرف خفيٍّ من وجهة نظرنا المتواضعة إلى البحث عن سـند تاريخي للتَّطبيع مع الكيـان الإسرائيلي، ومن ثَـمَّ كانت هذه القراءة الثقافيـة غيرَ خالصة كونها تُبنى على بُعد سـياسي لا يمُكِنُ إنكارُه؛ إذ ما زال الكيان الإسرائيلي يحاول التَّطبيـع مع الـدُّول المحيطة التي تـأبى ذلك، ومن ثَمَّ يَعمـد إلى محاولة البحث عن مثل هذه الوسائل علَّها تُحقِّق أهدافَه البعيدة.

ومـن أبـرز القـراءات الثقافية غـير الخالصة قـراءات (برنـارد لويس) عن تاريـخ العرب والإسـلام وبعـض العلوم الإسـلامية، وهي قـراءات تُظهِر

1 - انظر: حافا لازاروس يافيه: الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط، ص 5.

2 - مسـتشرق إسرائيلي مولود في 1955م، أسـتاذ في قسـم اللغة العربيـة في الجامعة العبرية بالقدس المحتلة. له اهتماماته بالقرآن والعقائد.

3 - أحمد البهنسي: "الاستشراق الإسرائيلي... الإشكالية والسمات والأهداف".

العلـمَ والمعرفـة، ولكنها تُبطن الغايـات الخبيثة مُمثَّلـةً في الانتصار لكل مـا هو يهودي صهيوني. من ذلك أنَّه وهو يتحـدَّث عن الحروب الصليبية لا يُخفي شـماتتَه وعدم اعترافـه بالجُرم الذي ارتكبَـه حاملو الصَّليب من الغرب تجاه الشَّرق الإسـلامي. "ولم يُخفِ لويس تأييده الواضح والصَّريح لـكلِّ الحملات الصليبية، ويَرى أنَّ الاعتذارَ عن هذه الحملات هو مَحضُ حماقة"[1].

لقد كانت قراءات (برنارد لويس) التاريخية وغير التاريخية قراءات مُضلِّلة، ومـن ثَمَّ فهي قـراءات ثقافية غير خالصـة، هذه القـراءات طالَت التاريخ الإسلامي وحضارته وعلومه والدِّين الإسلامي قرآنًا وسُنةً، وشخصية النبي الكريـم صلى اللـه تعالى عليه وسـلم. ففي حديثه عن الدَّعوة الإسـلامية الوليدة وتأسـيس النبيِّ الكريم لدعائم الدِّين الجديد يقول زاعمًا -وكلماته تنفث حقدًا وكرهًا- "نظر القرشـيُّون إلى بدايـة الدَّعوة على أنَّها غيرُ ضارَّة، ولذلـك لم يَعترضوا عليها، وفي تلـك المَرحلة من المحتمل أنَّ الرسـول (صـلى اللـه عليه وآله وسـلم) لم يكن لديه فكرة عن تأسـيس دين جديد، ولكـن كلُّ ما في الأمر أنَّه أراد أن يأتي بوحي عـربي (كتاب مُنزَل بالعربية) كما أُنزِلَ على الشُّعوب السابقة كُتبٌ في لُغاتها"[2].

ومـن ذلك أنَّه يَزعم أنَّ الرَّسـول حاشـاه كانَ يُداهِنُ اليهـودَ؛ حين زعم أنَّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حاول التقرُّب من اليهود واسترضاءهم

1 - https://manar.com/page-39944-ar-ar-ar-ar.html

2 - مازن المطبقاني، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، ص 263.

بتبنِّي بعض الشَّعائر التعبُّدية كصوم يوم عاشوراء "يوم كيبور"، والاتِّجاه في الصلاة نحو بيت المَقدس، ولكن اليَهود -كما قال (لويس)- رفضوا ادِّعاءات النبيِّ الأمي، وعارضوه على المستوى الدِّيني[1]. وهي دعاوى فاسدة قال بها المستشرق (سان كلير تيسدال) من قبل[2]، بما يَعني أن (برنارد لويس) لم يكن ذا أصالة في طرح هذا الزَّعم، بل سبقَه إليه نفرٌ ممَّن غلَّبوا بُعدَهُم العقديَّ على الأبعاد العلمية والمنطقية.

كما أنَّ (برنارد لويس) وقف موقفًا عدائيًّا من مرحلة الفتح لنشر الدِّين الإسلامي، حين قال: "إنَّ المهاجرين فقدوا جذورَهم اقتصاديًّا، ولم يَكونوا يرغبون في الاعتماد كليًّا على أهل المدينة، فتحوَّلوا إلى المهنة الوحيدة الباقية وهي السَّلب والنَّهب"[3]! كما أنَّه كان دائمَ التَّقليل من المُنجَز الحضاري الإسلامي؛ حيث يقول: "لم يعرف المسلمون سوى أربعة مهن: الحكومة، والحرب، والدِّين، والزِّراعة. أما الصِّناعة والتجارة فقد تُركت لرعايا الدولة غير المسلمين."[4]!

هذا كلُّه يَقودنا إلى القول بأنَّ تلك القراءة التي تُدعى ثقافيةً عند (برنارد لويس) لا تَحمل من قِيَم الثقافة والمعرفة شيئًا يُذكر، إذ إنَّها مُجرَّد قراءات مُوجَّهة لخدمة أهداف عقدية يَبتغيها المستشرق، وتُبنى على مجموعة من الافتراءات التي لا تَثبت من الناحية العقلية أو الدِّينية، والغريب في الأمر أنَّه

1 - مازن المطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، ص 287.
2 - انظر: سان كلير تيسدال: المصادر الأصلية للقرآن، ص 110.
3 - مازن المطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، ص 274.
4 - م. ن. ص 372.

وإن أقرَّ بوجود مساواة في تاريخ الدَّولة الإسلامية بين المسلم واليهودي أو غـيره من المخالفين في الديانة، فإنَّه سرعان ما يَنتقص من هذا الأمر قائلاً: "واقعُ الأمر أنَّ المسـاواة في العهد الإسـلامي القديم لم تكنْ تُحسَب على أنَّها اسـتحقاق، بل كانَت تُعتبرَ إخلالاً بالواجب، إذ كيف يمُكِنُ لامرئٍ ما أن يُقـدِّمَ نفس المعاملة لأولئك الذين يتَّبعون العقيدة الصحيحة، ولأولئك الذين لفظوها بمَحضِ إرادتهم"[1]. وعلى الرغم من أنَّ الشـواهد التاريخية التي ذكرها حول المساواة في الإسلام بين المسلم وغيره، والشواهد التي لم يذكرها، تُكـذِّب ما انتهى إليه، إلا أنه كان دائمًا يحاول أن ينزع من التاريخ الإسـلامي أيَّ قِيَم إنسـانية، ليُلصقها فقط بدولة الكيان النموذج الأمثل في زعمه للديمقراطية.

وقضيـة الموازنة بين دولة الكيان والدُّول الإسـلامية من حيث الدِّيمقراطية هـي موازنة لخدمة هذا الكيـان، وقضية الموازنة بينهما بشـكل عامٍّ تحتلُّ إحدى مراتب الصَّدارة الفكريـة عنده في قراءته الثقافية غير الخالصة، فقد اتَّهم الدُّول الإسـلامية بالأصولية -وهي مفردة يَختلف مدلولُها الإسـلامي عـما يَفهمه الغربُ- في حين كالَ المديحَ لدولة الكيان المُغتصِب، ومما لا شكَّ فيه أنَّ العامل الرئيس في هذه الموازنة هو مصلحة هذا الكيان والذَّود عنه فكريًّا.

يقـول مثـلاً: "كيـف سـيُؤثِّر هـذا في العلاقات بـين إسرائيـل وجيرانها؟ فالدِّيمقراطيات قد تُفاوِضُ ديمقراطياتٍ أخرى وتُساوِمُها، لكنَّ الأمر يكون

1 - برنارد لويس: اليهود في ظل الإسلام، ص18.

أصعــبَ مع الأديــان، ويبيت مُســتحيلاً إذا كانت الأديــان أُصولية. تتحوَّل تركيا الدِّيمقراطية تدريجيًّا إلى شريك إسرائيل الأقرب في المنطقة"[1]. ومن الواضح أنَّها موازنة من نوعٍ خاصٍّ لها أهدافها التي هي بالأســاس أبعد من كونها ثقافية، بل تتعدّاها إلى كونها سياســية من الدَّرجة الأولى، خاصّةً أنَّه يَحكــم على ديمقراطية المنطقة بمدى تطبيعها مع هــذا الكيان، فإنْ قامت بالتَّطبيــع فهي دولة ديمقراطيــة، وإلا فهي تمــارس الأصولية على المعنى المَرذول الذي لا يتصوَّر هو والغربُ غيرَه.

وفقًا لتوجُّهات (تيســدال) العقدية والسياســية فإنَّــه راح يَغوص في أعماق قضية التخلُّف الحضاري عند المسلمين، فوضع كتابًا أسماه: أين الخطأ؟! حاول فيه الإجابةَ عن تســاؤل: ما أســباب تخلُّف العرب عن الغرب؟ وأين يَكمــن الخطأ؟[2] لكنَّ الإجابات التي يَطرحها في الجزء الكبير منها مَحضُ افتراءات غلَّبَ فيها هذا المستشرقُ توجُّهَه الغربيَّ وانتماءَه اليهودي، خاصةً في تركيــزه على الدِّين الإســلامي، زاعمًا أنَّه ســببُ هــذا التخلُّف والعامل الرئيس فيه، والحقيقة أنَّ موقف هذا المستشرق لا يَختلف في قليل أو كثير عن غيره من المســتشرقين المُتعصِّبين الذي انطلقوا من أفكار مُســبقة عن الإسلام حاولوا أن يجدوا لها سندًا.

1 - برنارد لويس: مستقبل الشرق الأوسط، بيروت، ص90.

2 - برنارد لويس: أين الخطأ؟ التأثير الغربي واستجابة المسلمين، ص6.

الفصل الثالث:
الاستشراق اليهودي المؤسَّسي

أولًا: مراكز البحوث والدراسات الإسرائيلية

لا شـكَّ في أنَّ الاسـتشراق اليهودي المعاصر يقوم بالأسـاس على مراكز البحـوث والدِّراسـات، وهذه المراكـز البَحثية -التي تهتمُّ بدراسـة العرب والمسـلمين لمَـرامٍ عقدية وسياسـية بالأسـاس- هي العلامـة المُميَّزة في الاسـتشراق المعاصر عامّةً، حيث بدأ الغربُ واليهود في أذياله يَنتقلون من الاستشراق الفردي القائم على جهود فردية إلى الاستشراق المُؤسَّسي الذي يَنتمي إلى مؤسَّسات مُعدَّةٍ لذلك الهدف، وتَسير وفق خطّةٍ مَوضوعة بدقّة؛ للوصول إلى مُبتغاها.

ومـن ثَـمَّ يمُكنُنا القولُ إنَّ مراكز البحوث والدراسـات هـي إحدى الأذرع المُهمّة في الاسـتشراق اليهودي المعاصر، من أجل السيطرة وبسط النُّفوذ على أرض الواقع من الناحية السياسية. ومن ثَمَّ لنا أن نقول إنَّ هذه المراكز تمـدُّ دولـةَ الكيان الغاصـب بالمعلومـات، وتَدفعها إلى اتِّخـاذ القرارات والمَواقف بناءً على دراسة المنطقة والمناطق المحيطة بها.

ويمُكن تصنيف مراكز الفكر الإسرائيلية في أربعة اتِّجاهات بحثية أساسية، هي[1]:

- الأول: مراكز تُعنى بالشُّؤون الداخلية لدولة الاحتلال "الإسرائيلي"، مثل: "المعهد الإسرائيلي للدِّيمقراطيـة"، و"مركز طاوب"، و"مركز غوطمان للاسـتطلاعات"، و"مركز أدفاه"، و"معهد فلورسـهايمر"،

1 - انظر: محيي الدين حداد: حروب الظل - كيف تسـاهم مراكز الأبحاث الإسرائيلية في حوكمة صناعة القرار السياسي؟

و"مركز الأبحاث والمعلومات" التابع لـ"الكنيست".

- الثاني: مراكز تُعنى بالأمن الاستراتيجي للعدو "الإسرائيلي"، مثل "معهد السياسات الاستراتيجية هرتسليا"، و"معهد دراسات الأمن القومي" التابع لـ "جامعة حيفا"، و"معهد أبحاث الأمن القومي"، و"معهد الاستراتيجية الصهيونية".
- الثالث: مراكز تُعنى بمجتمع الاحتلال "الإسرائيلي" والفلسطينيين داخل دولة الاحتلال، مثل: "معهد فان لير" في القدس، و"المركز اليهودي العربي" التابع لـ "جامعة حيفا"، و"مركز جفعات حبيبة".
- الرابع: مراكز تُعنى بدراسة دولة الاحتلال والشرق الأوسط وإفريقيا، مثل مركز "موشيه ديان"، و"مركز القدس لدراسات إسرائيل"، و"مركز شاليم"، و"مركز القدس للشؤون العامة"، و"مركز ترومان".

وتعمل مراكز الفكر الإسرائيلية وفق مجموعة من الأُسس الفكرية والمُنطلقات السياسية التي لا يُمكِن أن تُهمِلَها أو تَحيد عنها، وتتمثَّل هذه الضَّوابط أو الثوابت فيما يلي:

- الأولى: منطلقاتٌ تخصُّ المصالح القومية الإسرائيلية في مختلف المستويات، فعلى المستوى السياسي مثلاً: "التأكيد على عدم ظهور أيِّ قوة إقليميّة تُنافسها في المنطقة"، أما على المستوى الاقتصادي مثلاً: فـ"ضمان الحصول على أكبر قدر من الموارد من المناطق المجاورة، وتأمين خطوط المواصلات والتِّجارة".
- الثانية: منطلقات تخصُّ العقيدةَ العسكرية، مثل تصفية القضية الفلسطينية، وأمن إسرائيل القومي، ومواجهة أيِّ دولة أو كيان من

المُمكن أن يُشكِّل خطرًا على أمنها ووجودها.

- الثالثة: ضرورة عمل مراكز الفكر من مُنطلَق وقناعة أن إسرائيل دولة قويـة، مُصرّة على الحفاظ على مصالحهـا بأيِّ ثمن، ولها مجموعة من المبادئ والقِيَم تَسعى إلى فرضها.

وتُشكِّلُ مراكزُ الأبحاث "الإسرائيلية" عُمقًا استراتيجيًّا يتجلَّى في[1]:

- أولًا: القـدرة عـلى التكيُّـف مع المُسـتجدّات الحاصلـة في البيئة الداخلية والخارجية.
- ثانيًا: تطوير أفكارٍ لقضايا ومسائل عديدة ثم وضع حلول لها.
- ثالثًـا: هذه المراكز تعتمد على نخبة بحثية مُتميِّزة وذات كفاءة عالية وتخصُّصيّـة، ووفقًا لعمـل كلِّ مركز. فمراكز الأبحاث قد رسَّـمَت لنفسـها ومن دون شـكٍّ دورًا محوريًّـا في صياغة السياسـة العامة الإسرائيليـة، لأنَّها أصبحت شريكًا اسـتراتيجيًّا موثوقًا، فهي تتلقَّى دعوات رسـمية بشـكل دوري من طـرف المُؤسَّسـات الإسرائيلية مثل الكنيسـت، وتقوم بتقديم الشَّـهادات والمَشورة والمشاركة في المُلتقيات والنَّدوات المُتعلِّقة بقضايا سياسية وأمنية.

هـذا يَعني أنَّ هذه المراكز لهـا دورها المُؤثِّر في صناعة القرار، "حيث نجد الكثـير مـن خبراء مراكـز الفكر الإسرائيليـة يَحظَون بنفـوذ في أكبر مراكز البحـث الغربية خاصة الأمريكية، ويتجلَّى ذلك في الاتصالات الوثيقة بين

1 - انظر: محيي الدين حداد: حروب الظل - كيف تسـاهم مراكز الأبحاث الإسرائيلية في حوكمة صناعة القرار السياسي؟

الباحثين الإسرائيليين ونُظَرائهم الأمريكيين والغربيين من أجل التَّرويج للأفكار. والتَّركيز الأكبر على هذا الاتصال ثنائي الاتِّجاه هدفُه إحداثُ تواصل مُثمرٍ لكلا الطَّرفَين، على غرار المشاركة في النشاطات العلمية الدّولية بهدف التَّرويج لمخططات إسرائيل السياسية والأمنية والعسكرية، واستقبال كبار خبراء مراكز الفِكر الأجانب عبر عَقد المؤتمرات والحلقات الدراسية وتنشيط النَّدوات والمُلتقيات، ونشر سلسلة من أوراق العمل وتأليف الكتب، وإقامة حوارات ذات بُعد استراتيجي مثل (هنري كيسنجر) و(نعوم تشومسكي) وغيرهم ممَّن لهم خبرة طويلة في أزمات منطقة الشرق الأوسط. وبذلك فإن ممارسة الدبلوماسية الأكاديمية تفتح آفاقًا أوسع لحشد الرأي العام العالمي في سبيل تبرير سياسات إسرائيل التوسُّعية والاستيطانية في فلسطين المحتلة."[1].

ومن هنا نَفهم أنَّ الاستشراق الإسرائيلي المعاصر "يقوم على الاستشراق اليهودي، ويُؤطِّره في إطار علميٍّ ورسميٍّ مجموعةُ معاهد الأبحاث المُرتبطة بالجامعات الإسرائيلية، ومجموعة الدَّوائر البحثية العاملة في الوزارات ولحسابها، ومجموعة مراكز الدِّراسات في الأحزاب ونقابة العمّال في الكيان الصهيونيّ 'الهستدروت'، ومجموعة مؤسَّسات البحث 'الخاصة' المُرتبطة أو المُقارَنة مع جهات خارجيّة بشكلٍ رئيس"[2].

---

1 - محيي الدين حداد: حروب الظل - كيف تساهم مراكز الأبحاث الإسرائيلية في حوكمة صناعة القرار السياسي؟

2 - ربحي إسماعيل ربحي الهوارين: الاستشراق الإسرائيلي من 1948 - 2018 - دراسة وصفية تحليلية، ص5.

وعلى الرغم من أنَّ المؤسَّسات الاستشراقية الإسرائيلية المعاصرة لا تقف عند حدود المؤسسات الحكومية، كما هو واضح، فإنَّه تاريخيًّا تَبقى المُؤسَّسات ذات الدَّعم الحكومي من أقوى المؤسسات الاستشراقية، ويمُكن التمثيل على ذلك بـ "جامعة أورشليم" و "جامعة تل أبيب" و"جامعة حيفا".

أولًا- جامعة أورشليم: يَنضوي تحت لواء هذه الجامعة العديد من المؤسّسات الاستشراقية، أهمُّها[1]:

1. مؤسّسة الدِّراسات الشرقية: تَنشط هذه المؤسَّسةُ في مجال اللُّغة العربية وآدابها، والحضارة الإسلامية في الشَّرق، وفلسفة الدِّين، والفنّ والتاريخ الإسلامي.
2. مركز بحوث اليهود: يَهتمُّ هذا المركز بالشؤون الثقافية لليهود، واليهود الساكنين في البلدان العربية والإسلامية. ويُقدِّم هذا المركزُ غالبيةَ دراساتِه على شكل كتب في مجال الاستشراق.
3. مركز دراسات السلام والمَحبّة: تأسَّس هذا المركزُ في عام 1967م في الجامعة العبرية، وأُطلق عليه اسم "مركز ترومان"، وأغلبُ دراسات هذا المركز يتمُّ تَصميمُها وتَنفيذها حول محور الحروب العربية الإسرائيلية.

1 - انظر: فاطمة جان أحمدي: "الاستشراق اليهودي هيمنة على الدراسات الإسلامية في الغرب".

4. مركـز دراسـات التَّقريب بـين اليهـود والعرب (مارتـين بوبر): وأغلـبُ اهتماماته بالدَّرجة الأولى هي التَّركيز على النَّشـاطات السياسية بين العرب واليهود. ويُعتبرَ هذا المركزُ حلقةَ وصل بين المؤسَّسـات الحاكمة وسـائر المراكز غير الحكومية التي تَنشط في هذا المضمار.
5. مؤسَّسـة الدِّراسـات الشَّرق أوسـطية: تختـصُّ كلُّ جهود هذه المؤسَّسة بنشر دراسـات وبحوث المُستشرقين الإسرائيليين في الشُّؤون الإسلامية والعربية.

ثانيًا- جامعة تلّ أبيب: تأسَّسـت عـام 1956م، وكانت تضمُّ عدّة كلِّيات في مختلف الفروع العلمية، وخاصّة العلوم الإنسـانية، وتَشتمل على 22 مركزًا للبحوث، وأهمُّ مراكز البحوث المرتبطة بها هي[1]:

أ. مركز بحوث الشَّرق الأوسط وإفريقيا: وتدور بحوث هذا المركز بنحوٍ عامٍّ حول دراسات الشَّرق الأوسط، وخاصّة البلدان الإسلامية. وعلى هذا الأساس هناك مراكز مرتبطة به في كلٍّ من: مصر، وسوريا، والعراق، والسُّودان.
ب. مركـز البحـوث الاسـتراتيجية: تأسَّـس هـذا المركـز عـام 1977م، ولـه دورٌ هـام في تَجميـع المعلومـات

1 - انظر: فاطمة جان أحمدي: الاسـتشراق اليهودي هيمنة على الدراسـات الإسلامية في الغرب.

للمُؤسَّسات الحاكمة. وعليه فإنَّ معظم نشاطاته تَدور حول الاختراقات الأمنية في سائر بلدان المنطقة. ومن خصائص هذا المركز اعتمادُه على الكوادر الاستخبارية والأمنية الإسرائيلية.

ثالثًا- جامعة حيفا: انطلقت نشاطاتها رسميًّا عام 1964م. وتضمُّ اليوم عشرين كلّية ومؤسَّسة بحوث مرتبطة بها، أهمُّها:

مركز دراسات الشَّرق الأوسط: الذي يختصُّ بالدِّراسات الاقتصادية والسِّياسية والتاريخية في الشَّرق الأوسط، ويَمتلك عدّة منشورات في مجال الأديان والمذاهب الإسلامية في العالم العربي، والآداب والتَّقاليد والرُّسوم، وبنحوٍ عامٍّ الثقافة الإسلامية في الشَّرق الأوسط[1].

ثانيًا: غايات هذه المراكز الاستشراقية

لا شكَّ في أنَّ المراكز البحثية الاستشراقية في إسرائيل مُتعدِّدة، وذات تَخصُّصات متنوِّعة، فهي ليست على الصَّعيد الفكري فقط، بها منها ما هو

1 - انظر فاطمة جان أحمدي، الاستشراق اليهودي هيمنة على الدراسات الإسلامية في الغرب، ترجمة عماد الهلالي، على الرابط التالي: https://nosos.net/%D8%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B4%D8%B1%D8%A7%A7%D988%D8%AF%D9%87%D9%8A%D9%84%D9%82-%D8%A7%D9%%D9/8A%

على عدّة أصعدة منها: الثقافي والسياسي والتعليمي والاجتماعي وغيرها، ويَنكشف الغرضُ منها بالنَّظر إلى عنوان هذه المراكز، بيدَ أنَّ الغاية الرئيسة من وراء هذه المراكز هي التَّمكين للمُخطَّط الصهيوني في الشرق الأوسط سياسةً وعقيدةً. فهذه الغاية هي بيتُ القصيد الذي تنطلق منه هذه المراكز، فعلى الرَّغم من تعدُّد تخصُّصاتها، وتعدُّد مراميها، فإنَّها تسعى في النِّهاية لهذه الغاية الرَّئيسة، وبناءً عليه فإنَّ هذه المراكز عبارة عن مصانع لطَبخ القَرارات السِّياسية التي تتَّخذها دولةُ الكيان الغاصب. فهذه المراكز تضعُ معلوماتها ودراساتها في متناول أصحاب القرار السياسي لوضع الخطط والبرامج والسياسات المستقبلية، فهي بمثابة مخازن للتَّفكير بما يخدم التوجُّه السياسيَّ والعقدي. ومن المعاهد الاستشراقية في إسرائيل:

1. معهد فان لير في القدس: ويَتبع هذا المَعهدَ مركزُ دراسات المجتمع العربي في إسرائيل الذي نشط في معهد فان لير في القدس، والذي أمدَّ إسرائيل على امتداد سنين طويلة بتشكيلة واسعة من الكتب التي تناولت الفلسطينيين في إسرائيل، في سياقات سياسيّة واجتماعيّة وثقافيّة وإقليميّة، وغير ذلك. هذه الكتب كُتبَت بالعبرية، وتُرجِم جزء منها إلى اللُّغة العربيّة. ومن هذه الكتب:

- الفلسطينيون في القرن العشرين.. نظرة من الدّاخل.
- الأنثروبولوجيا والفلسطينيون.
- الحياة السياسية للعرب في إسرائيل.
- المواطنون العرب في الصَّحافة العِبرية في إسرائيل.

2. معهد أبحاث الأمن القومي (INSS): وهو من أهم المراكز البحثية والاستشراقية في إسرائيل، وقد تأسَّس هذا المعهد في سنة 1977م، وتغيَّر

اسمُه أكثرَ من مرة، حيث أُطلق عليه اسم "مركز يافا للأبحاث الاستراتيجية" في عـام 1983م، ثـم إلى "معهد أبحـاث الأمن القومـي" في عام 2006م. وهو الآن مؤسسـة أكاديمية تابعة لـ "جامعة تـل أبيب"، وقد اختطَّ المعهدُ لنفسـه خُطَّتَـين: الأولى، دراسـة مجـالات الأمـن القومـي "الإسرائيلي" والشرق الأوسـط والمحيط الدولي، والثانية، دراسـة قضايا الأمن والدِّفاع والسِّياسات[1].

ويُصـدِرُ هـذا المعهدُ تقريرًا سـنويًّا بعنـوان: "الأمن القومـي الإسرائيلي الاسـتراتيجي"، ومن خلاله "يُحاول قراءةَ التحدِّيـات والفُرَص التي تَقف أمـامَ إسرائيـل، على المسـتوى المَحـلِّي والإقليمـي والـدّولي، فخلال السَّنوات الماضية شكَّلَ تقريرُ المعهد الملامحَ الرئيسية للسِّياسات الأمنية والاسـتراتيجية تجاه العديد من الجهات الإقليميـة والدولية، خاصة فيما يتعلَّق بالأزمة السورية والصِّراع الإقليمي والتحوُّلات في المشهد السياسي العربي"[2].

3. معهد هرتسـيليا: وهو معهد مُتعدِّد المجالات السياسـية والاستراتيجية داخليًّـا وخارجيًّـا، كـما أنَّـه مـن المُنطلقـات التي يَنطلـق منهـا التَّفكيرُ الاسـتراتيجي الإسرائيلي، "تأسَّس المعهدُ عام 2000م، من أجل المساهمة في وضـع سياسـة وطنية لإسرائيل، ورفع مسـتوى عملية اتِّخـاذ القرارات

1 - انظر: أشرف بدر: مراكز الأبحاث الإسرائيلية ودورها في صناعة القرار.

2 - منصـور أبو كريم: مراكز الأبحاث في إسرائيل: القدرة والدور في التأثير في صناعة القرار.

الاستراتيجية، وقد تَعاقبَ على رئاسته عدة أشخاص"[1].

وهـذا المعهد له جهودٌ -من ضمـن مهامِّه المتعدِّدة- تُعدُّ جهودًا اسـتشراقية بالأسـاس؛ حيث "يهتمُّ بدراسـة القضايا المُؤثِّرة في "إسرائيل"، بما في ذلك إعـادة صياغـة العقيدة الأمنية لـ "إسرائيل"، ومشروع "نحـو نظام إسرائيلي جديـد"، وإجراء اسـتطلاعات للرأي العـام في "إسرائيل" والـدول العربية، ودراسـات في عملية صنع القرار والاسـتراتيجيّات، بما يتعلَّق بالأمن القومي والسِّياسـة الخارجيـة"[2]. فاسـتطلاعاتُ الرَّأي حـول الـدُّول العربية أو في الدُّول العربية، ودراسـة السِّياسات الخارجية، وأهمُّها سياسات الدُّول العربية والإسلامية، تصبُّ في صميم الدِّراسات الاستشراقية، بدليل تمحوُر مجالات البحث في المركـز على ثلاثة مجالات، "هي: الشَّرق الأوسـط الكبير 'تقييم المخاطر الاسـتراتيجية الإقليمية الكُبرى'، والعلاقات الخارجية الإسرائيلية، والمنهجيات المُبتكَرة في مجال الأمـن الوطني والإقليمي، حيث يَصدُر عن المَعهد تقريرُ الأمن والمَناعة القومية بشكل دوري"[3]. وهذه المجالات الثلاثة هي بالأسـاس مجالات اسـتشراقية بامتياز، تَقودنا إلى القول بأنَّ الاستشراق المُؤسَّسيَّ واضحٌ وضوح الشمس في سياق الاستشراق اليهودي المعاصر.

4. مركز بيجن السـادات للدِّراسات الاسـتراتيجية: تمَّ تأسيس هذا المركز عام 1993 على يد الدكتور توماس هشـت، وهو أحد قادة الجالية اليهودية

1 - منصـور أبو كريم: مراكز الأبحاث في إسرائيل: القدرة والدور في التأثير في صناعة القرار.

2 - انظر: أشرف بدر، مراكز الأبحاث الإسرائيلية ودورها في صناعة القرار.

3 - انظر: أشرف بدر، مراكز الأبحاث الإسرائيلية ودورها في صناعة القرار.

في كندا، والذي أنشأ مركزَ أبحاث مستقلٍّ وغير حزبيٍّ، مرتبط بقسم العلوم السياسية في جامعة بار إيلان الإسرائيلية. سُمِّي المركز على اسم مناحيم بيغن وأنور السّادات، بسبب جهودهما في إحلال السَّلام وتسوية الصِّراع العربي الإسرائيلي[1].

يبحث المركزُ في قضايا الأمن والسلام، خاصّةً في المجالات المتَّصلة بالأمن القومي الإسرائيلي والسِّياسة الخارجية، ومختلف القضايا الإقليمية في منطقة الشَّرق الأوسط، ويأخذ بمنشوراته وتوصياته كبارُ صانعي القرار في المجال العسكري والمَدني، والمؤسَّسات ذات الصِّلة في وزارة الدِّفاع ووزارة الشؤون الخارجية، وأعضاء السِّلك الدبلوماسي، والصحافة والأوساط الأكاديمية، وقادة الجاليات اليهودية في أنحاء العالم، والجمهور المُتعلِّم.

5. مركز دراسات الأمن القومي: تأسَّسَ المركزُ في "جامعة حيفا" عام 2000م بهدف تعزيز البحث والمناقشة العامة فيما يتعلَّق بالأمن القومي "الإسرائيلي"، ويهتمُّ مركزُ دراسات الأمن القومي بتَطوير البحوث مُتعدِّدة التَّخصُّصات وواسعة النِّطاق، بحيث تَشمل مجموعةً كاملةً من مُكوِّنات الأمن القومي، السِّياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية، والمساهمة في تشكيل التصوُّرات لدى صُنّاع القرار والمسؤولين في النِّظام السياسي والعسكري، وذلك بهدف فَهم النِّظام الدّاخلي والسِّياق الإقليمي والدولي[2].

ويَسعى المركز إلَى إضفاء الطَّابع المُؤسَّسيِّ على بناء علاقاتٍ مع مُؤسَّسات

1 - الصفحة الرسمية لـ "مركز بيجن السادات للدراسات الاستراتيجية" على الانترنت.
2 - انظر أشرف بدر، مراكز الأبحاث الإسرائيلية ودورها في صناعة القرار.

الأمن القومي في العالم، كما يُسهم عبر أبحاثه في تشكيل الخطاب العام المُتعلِّق بأمن "إسرائيل" القومي، وفي تَدريب المسؤولين وكبار الضُّبّاط في هذا المجال، بالإضافة إلى تدريب الأجيال القادمة من الباحثين[1].

6. معهد مراقبة وسائل الإعلام الفلسطينية: يهتمُّ المعهدُ بدراسة المجتمع الفلسطيني إعلاميًّا وثقافيًّا وتعليميًّا. وقد تأسَّس عام 1996م، على يد (إيتامار ماركوس - Itamar Marcus)، بغرض دراسة توجُّهات السُّلطة الفلسطينية، بياناتها ومواقفها على مستوى الإعلام العالمي، التي تتعلَّق بمَوقفها تجاه "إسرائيل" والصِّراع الإسرائيلي الفلسطيني وعملية السَّلام[2]. تدور أهدافُ المعهد البحثية حول الكشف عما أسماهُ التَّحريضَ المُعادي للسّامية والعُنف والكراهية ضدَّ "إسرائيل"، وذلك على مستوى الإعلام والتَّعليم في مناطق السُّلطة الفلسطينية. يتم تَوزيع تقارير المعهد البَحثية على صانعي السِّياسات والقادة في "إسرائيل" والولايات المتحدة وأوروبا، ويَنشر المعهدُ أبحاثه بثلاث لغات، هي العبرية والإنجليزية والفرنسية، وتتبع له قناة يوتيوب تحتوي على مئات أشرطة الفيديو. وتُستخدم النَّتائج التي يتوصَّل إليها المعهدُ في إعداد تقارير "مؤشر السَّلام وثقافة التَّحريض في السُّلطة الفلسطينية"، التي أُعِدَّت بانتظام من قبل وزارة الشؤون الاستراتيجية منذ 2010م[3].

---

1 - انظر أشرف بدر، مراكز الأبحاث الإسرائيلية ودورها في صناعة القرار.

2 - مركز مراقبة وسائل الإعلام الفلسطينية، على الرابط التالي:
http://www.palwatch.org.il/pages/aboutus.aspx

3 - انظر: أشرف بدر: مراكز الأبحاث الإسرائيلية ودورها في صناعة القرار.

يَعمل مركز "مراقبة الإعلام الفلسطيني"Palestinian Media Watch ذراعًا دعائيةً لتَضليل النُّخَب السياسية والرأي العام العالمي حول الفلسطينيِّين، وانتزاع قرارات وقوانين وسياسات من حكومات العالم ضد الفلسطينيين[1].

في إبريل عام 2008م، قَدَّم المعهد إلى لجنة الشؤون الخارجية، في مجلس النواب الأمريكي، تقريرًا خاصًّا بالنُّوّاب حول علاقات السُّلطة الفلسطينية مع أعداء الولايات المتحدة، وفي يناير 2008م، قَدَّم إلى البرلمان البريطاني تقريرًا حول استغلال المُساعدات المالية من بريطانيا في تعليم الكراهية ضدَّ اليهود والغرب[2]. بما ابتدعه هذا المعهدُ من روايات مُحرَّفة غرضُها تحريض الغرب وأمريكا ضدَّ الحق العربي الأصيل في فلسطين.

7. معهد هاري ترومان: تأسَّسَ هذا المعهدُ كأول معهد من نوعه في المنطقة في عام 1965م، وسُمِّي على اسم الرئيس الأمريكي (هاري ترومان) الدّاعم الرَّئيس له، ويَتَّكئُ على رافدين: الأول دراسة دول الشَّرق الأوسط، والثاني قضية الصِّراع العربي الإسرائيلي. لكنَّه لا يُهمِلُ مع ذلك الاهتمامَ بدراسة دول في أسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وغيرها. علمًا بأنَّ هذا المعهد تابعٌ لمركز أبا إيبان للسِّياسة الدبلوماسية الإسرائيلية[3].

لكنَّ هذا المَعهد يَنتمي لطائفة القراءة الثَّقافية غير الخالصة، التي تَقرأ العربَ والمسلمين من زاوية يَهودية صهيونية صِرفة؛ خدمةً للمشروع الصهيوني،

1 - انظر: عبير النجار: مركز مراقبة الإعلام الفلسطيني واستهداف شرعية النضال، ص58.
2 - انظر: أشرف بدر: مراكز الأبحاث الإسرائيلية ودورها في صناعة القرار.
3 - انظر: الصفحة الرسمية على الانترنت:
The Harry S. Truman Research Institute

وإنْ تزيَّتْ بزيِّ التَّعايش والتَّسامح والدَّعوة للحوار والتَّواصل، بدليل أنَّه لم يَحدث أيُّ تقدُّم في مجال الصِّراع العربي الإسرائيلي، رغم فتحه بابَ المِنَح لباحثين دوليين مُحدَّدين في مجالات: الماجستير والدكتوراة ودراسات ما بعد الدكتوراة، ورغم مشاركة وزراء دوليِّين في نشاطاته، ورغم مشاركة صانعي القرارات في العديد من دول العالم[1].

8. مركز تامي شتاينمتس لأبحاث السَّلام: تأسَّس المركز عام 1992م، وهو تابع لكلية العلوم الاجتماعية في جامعة تل أبيب. يَعتمد المركزُ طريقةَ تعدُّد المجالات البحثية، من أجل تَطوير الأبحاث والتَّفكير المَنهجيّ في المواضيع المُتعلِّقة بعملية صُنع السَّلام وفضِّ النِّزاعات، وخصوصًا الصِّراع العربي "الإسرائيلي". ويُشرف المركزُ على بنك معلومات حول أُطُر التَّعاون "الإسرائيلي" الفلسطيني، والإسرائيلي العربي، ويَعقد مُؤتمرات وورشات عمل، بالإضافة إلى نشر أبحاث تتعلَّق بهذا الموضوع[2].

9. معهد ميتفيم (المعهد "الإسرائيلي" للسياسات الخارجية الإقليمية): أُنشِئَ هذا المعهد عام 2011م، وهو معهد للبحث والتفكير، وغرضُه إعادةُ تأسيس العلاقات "الإسرائيلية" في الشَّرق الأوسط وأوروبا ودول حوض البحر المتوسط. وهذا المعهدُ يتمُّ تمويلُه من خلال عدة صناديق مثل: "صندوق فريدرك أيبرت"، و "صندوق إسرائيل الجديدة"، ويَهدف إلى تحقيق الآتي:

1 - http://truman.huji.ac.il/?cmd=about

2 - http://peace.tau.ac.il/index.php/201206-29-09-11-10-/about

أ. تشكيل السِّياسة الخارجية الإسرائيلية.
ب. تعزيز التَّعاون الإقليمي.
ج. تحقيق السَّلام بين "إسرائيل" ودول المنطقة[1].

10. مركز موشيه دايان: أُنشِئَ المركزُ في عام 1959م، ثم صار تابعًا لـ "جامعة تل أبيب" في عام 1965م، ثم أُطلق عليه مركز "موشيه دايان" في 1983م. وجهوده تصبُّ على دراسة الشَّرق الأوسط تحليلاً ونَقدًا وتقديمًا لِرُؤًى لصُنّاع القرار على المستوى السياسي والاقتصادي والثَّقافي والتَّاريخي وغيره[2]. ومن هنا تأتي خطورةُ مثل هذا المركز وغيره، لأنَّ هذه الرُّؤى لن تكون في صالح العرب والمسلمين، وإنما ستكون في صالح الكيان المحتلّ.

هذا المركز يَستغلُّ أنشطتَه المختلفة على تلك المستويات في تحقيق مكسب سياسي لدولة الكيان المحتلّ، والحقيقة أنَّ اسمَ المركز ذاته وحقيقةَ الشَّخصية التي أُطلق اسمُها عليه تُنبِئُ بالكثير والكثير من الفرضيات التي لن تكون في صالح العرب والمسلمين قاطبة. بدليل استعانة المَركز بالعديد من المُفكِّرين والباحثين المُتحدِّثين بلغات شتَّى: عربية وفارسية وتركية وإنجليزية وفرنسية وغيرها.

---

1 - http://www.mitvim.org.il/he/%D790%%D795%%D793%%D795%%D7%AA/%D7%A4%D7%A8%D795%%D7%A4%D799%%D79%C-%D790%%D7%A8%D792%%D795%%D7%A0%D799%

2 - http://dayan.org/he/%D790%%D795%%D793%%D795%%D7%AA%D799%%D7%A0%D795%

11. معهد كوهين لدراسة تاريخ العلوم والأفكار وفلسفتها: وهو معهد للبحوث والدِّراسات العُليا، تابع لكلية العلوم الإنسانية في جامعة تل أبيب. أُنشِئَ على يد البروفسور (يهودا الكاناه - Yehuda Elkana) عام 1983م، بالتَّعاون مع البروفسور (عاموس فونكنشطاين – Amos Fungstien). ويضمُّ طاقمُ المعهد اثني عشر مُحاضرًا مُثبَّتًا، بالإضافة إلى خمسة آخرين مُبتدئين، ويَمكث سنويًّا في المعهد ثلاثةُ باحثين في دراستهم لما بعد الدكتوراة. ويُعتبر المعهدُ الأكثرَ فعالية والأوسع نشاطًا في تاريخ العلوم والأفكار وعلم الاجتماع في "إسرائيل"، ويُعدُّ كذلك من بين المعاهد السِّتة الرائدة عالميًّا في مجال تخصُّصه[1].

وتنصبُّ اهتماماتُ المعهد في قضايا: تاريخ العلوم وفلسفة العلوم، والعلوم الرياضية، والعلوم التَّجريبية كالفيزياء والكمياء، وعلم الجيولوجيا، والعلوم الإنسانية كعلم الاجتماع والفلسفة، مع التركيز على العلوم عند العرب، والنَّظريات السِّياسية والاجتماعية[2]. وهناك مراكز أخرى عديدة، منها:

1. المركز اليروشيلمي: أُسِّسَ في عام 1976م، وتَنصبُّ اهتماماتُه في الجانب السِّياسي، مثل قضايا: الإرهاب، والسِّلاح النووي في الشرق الأوسط، ووضع استراتيجيات لمواجهة دعوات مقاطعة إسرائيل، والدفاع عما يُسمِّيه حقوقَ "إسرائيل"[3].

---

1 - http://www.mitvim.org.il/he/%D790%%D795%%D793%%D795%%D7%AA/%D7%A4%D7%A8%D795%%D7%A4%D799%%D79%C-%D790%%D7%A8%D792%%D795%%D7%A0%D799%

2 - http://humanities1.tau.ac.il/cohn_ar

3 - http://jcpa.org.il/

2. المركز الإسرائيلي الفلسطيني للأبحاث والمعلومات: أُسِّسَ بعد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في عام 1988م بعام، ومَقرُّه القدس، وغرضُه مدُّ جسور التَّعاون بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، ومُؤسِّسُه (غرشون ياسكين)[1].

3. معهد يروشليم لدراسة السِّياسات: تأسَّس عام 1978م على يدِ كلٍّ من رئيس بلدية القدس (تيدي كوليك)، ورئيس "الجامعة العبرية" (إبراهام هيرمن)، يَستفيد من دراساته صانعو القرار والأكاديميُّون، ويهتمُّ بقضايا الصِّراع العربي الإسرائيلي، إضافةً إلى بعض القَضايا البيئيّة وقضايا الابتكار والنُّمُو[2].

4. معهد الاستراتيجيات الصُّهيونية: أُنشِئَ في 2005م، ويهتمُّ بأمرين: تحسين صورة إسرائيل في الخارج، ومواجهة عملية المقاطعة العربية والعالمية[3].

5. مركز إبراهام دانيال للحوار الاستراتيجي: وهو مركز تابع لـ "كلية نتانيا"، وتنصبُّ اهتماماتُه في دراسة الصِّراعات الإقليمية، ووضع حلول لها، بما يتناسب مع دولتهم. تقوم أنشطته على محاور: تنظيم المُؤتمرات الدولية، وتأليف مجموعات تَواصل من ذوي الخبرات والمكانة العالمية، ونشر أوراق وبحوث ودراسات[4].

---

1 - http://ipcri.org/index.php/about/about-ipcri/arabic

2 - http://www.jiis.org.il/?cmd=about.151#.V8kREPkrLIV

3 - http://izs.org.il/about-3

4 -http://www.netanya.ac.il/ResearchCen/StrategicDialogue/aboutdialogue/Pages/default.aspx

6. مركز شاشا للبحوث الاستراتيجية: تأسَّس هذا المركز في عام 2003م، وتنصبُّ اهتماماتُه في وضع رؤية مستقبلية للعلاقة الفلسطينية الإسرائيلية عام 2050م[1].

7. مركز فلورسهايمر: أُسِّس في عام 2007م، ويَتبع لـ "معهد الدراسات الحضرية والإقليمية"، بـ "كلية العلوم الاجتماعية بالجامعة العبرية"، يقوم بالعديد من الأنشطة، ويدرس على الصعيد العربي جوانبَ الحكم والتَّخطيط في المنطقة بهدف إفادة صانعي القرار السِّياسي[2].

8. مركز تراث إسحاق بن تسفي: يركِّز على كيفية التَّطبيع مع الدول العربية، أو ما أسماه التَّعايش والحوار والتَّواصل معهم.

9. المركز اليهودي العربي: يَتبنَّى فكرةَ التَّطبيع والتَّواصل.

ثالثًا: كيف نواجه المراكز الاستشراقية الإسرائيلية؟

لا شكَّ في أنَّ هذه المراكز التي أشرنا إلى بعضها -وهو قليل بالنِّسبة لعددها- تمارس الأغاليط ضدَّ الإسلام وعلومه وتاريخه وثقافته؛ خدمةً لفكرة الصهيونية العالمية التي يُريدون لها أن تُسيطِر على الشُّعوب العربية وتتحكَّم في مقدراتها. ومن ثَمَّ فمن الواجب أن نُعيرَها الاهتمامَ الكافي.

ويمُكِن القولُ إنَّ أوَّلَ ما يجب علينا فعلُه هو إنشاء المراكز البحثية العربية

1 - http://shasha-center.huji.ac.il/%D790%%D795%%D793%%D795%%D7%AA-%D794%%D79E%D7%A8%D79B%D796%

2 - http://fips.huji.ac.il/

والإسـلامية التي تُواجهُ هذه المَراكزَ الإسرائيلية، وتعمـل على تَفنيد آرائها ومواقفها والردِّ عليهـا بالدَّليل العقلي والمعرفي، فضلاً عن الدَّليل العقدي الدِّيني. حيث إنَّ هذا يَضمن لنا تَحجيمَ دور هذه المراكز وتأثيرها في الفكر الغربي المعاصر، كما يَضمن لنا فهمَ نواياها ومُخطَّطاتها المستقبلية.

وهنـا يـأتي دورُ حكومات الـدُّول العربية والإسـلامية، التـي يَجب عليها أن تُسـهِّلَ وتُيسِّرَ إنشـاء هذه المراكـز، وتُقدِّمَ لها خدماتهـا، من أجل فهم مُخطَّطـات دولـة الكيان السياسـية خاصّةً، علمًا بأنَّ المراكز الاسـتشراقية الإسرائيليـة تُقـدِّمُ معلوماتهـا لصانـع القرار الـذي في الغالـب يَضعه في اعتباره وهو بصدد رسـم وتنفيذ مُخطَّطاته. ومن ثَمَّ فإنَّ الحكومات العربية والإسـلامية إذا هيّأت الجَوَّ العلمي والبحثي المناسب لهذه المراكز العربية فسـيَكون لديها حصيلةٌ من المعلومات التـي تُقدِّمُها لها هذه المراكز لفهم الموقف الإسرائيلي واتِّخاذ القرار المناسب له.

وممّا لا شـكَّ فيه "أنَّ نسبة الاهتمام بالبحث العلمي في الوطن العربي هي الأدنى بـينَ الأمم والشُّـعوب، رغم وفرة المصادر الماليـة، فالبحوث التي يُنجزُها الطَّلَبة العربُ داخـل الجامعات العربية، أو في المراكز أو المعاهد المُلحَقة بها، أو المُسـتقلّة المَحسوبة على التَّعليم العالي، هي في مُعظمِها بحوثٌ يَغلبُ عليها الطابعُ النَّظريُّ الشُّـمولي، وتَطغى عليها العُمومية، ولا تُبنى على أسـئلة جادّة. فـلا يُنكِرُ أحدٌ أنَّ واقع البحـث العلمي في العالم العـربي مُتأخِّرٌ وضعيف على عدة مسـتويات، "بسـببِ مجمـوعِ العوامل السَّـلبية التي تَحُدُّ من كفاءات الباحث العربي، وتُقلِّلُ مِن مَردوديّتِه العِلمية

والبَحثية"[1].

ويجبُ أن يتكاتف العلماءُ والمفكرون والباحثون على تدشين عِلمٍ جديد معاصر على غرار علم الكلام، يُدافع عن الإسلام قُرآنًا وسُنّةً، وعن العلوم والتاريخ الإسلامي، ويذبُّ عنه ويَردُّ الشُّبهات والأباطيل التي تَطرحها هذه المراكز الاستشراقية التي تُنشئُها دولةُ الكيان الغاصب. بحيث يكون موضوعه الآتي:

1 - تفنيد الشُّبهات والأباطيل التي تَطرحها هذه المراكز.

2 - بيان الرأي الصَّحيح إسلاميًّا.

3 - نقد العقائد والآراء المُخالِفة عندَ مَورِدِ الشُّبهة.

1 - الحسين بشوك: الباحث والبحوث العلمية في الوطن العربي.

الخاتمة

يمُكِن القولُ إنَّ هناك مجموعة من النتائج التي نستخلصها من سطور هذا الكتاب، والتي تُلخِّص حالةَ الاستشراق اليهودي المعاصر، وتكشف لنا عن حقيقة الدَّور الذي يقوم به، وما يجب علينا نحوَه.

وأُولى هذه النتائج هي أنَّ الاستشراق اليهودي المعاصر هو رَبيب الاستشراق اليهودي القديم، بل لا ندَّعي كذبًا إذا قُلنا إنَّه الابنُ المُدلَّل للاستشراق الغربي عامة، منذ أن نشأ الاستشراق اليهودي في كنفه وشرب من مَعينه، وهذه حقيقةٌ لا تَخفى على أحدٍ من الدارسين. وربمَّا فسَّرَ لنا هذا تأثيرَ الاستشراق اليهودي القديم والمعاصر في الغرب عامّةً، بل يُمكِنُنا القولُ إنَّ الاستشراق اليهودي حلقةٌ من حلقات الصِّراع الغربي اليهودي/ الإسلامي؛ ذلك أنَّه واحدٌ من المُخطَّطات التي اختطَّها الغربُ للقضاء على الإسلام.

كما يمُكِنُ القولُ إنَّ الاستشراق اليهودي المعاصر هو تكملةٌ للاستشراق اليهودي القديم، الذي بدأت بواكيرُه مع بَدْءِ بواكير الاستشراق الغربي، ذلك أنَّ الاستشراق اليهودي المعاصر يَسير على النَّهج نفسه الذي وضعَه آباؤه وأجداده، وفي كثير من القضايا والشُّبهات التي يَطرحها هو استعادةٌ واسترجاع لقضايا وشُبهات قديمة طرحَها الآباء والأجداد من قبل. فالاستشراق الإسرائيليُّ أو اليهودي المعاصر في الغرب يُكرِّرُ نفسَه ويُكرِّر ترّهاته، وإن اختلفَت وسائلُه بعض الشيء، وإن تزيَّى بزيٍّ جديد تحت

مُسمًّى جديد.

ومـن النتائج أيضًا أنَّ الاسـتشراق اليهـودي مرَّ بمجموعة مـن المراحل: الاستشراق اليهودي القديم، الاستشراق الصهيوني، الاستشراق الإسرائيلي، لكن هذه المراحل مُتداخلةٌ بعض الشَّيء؛ نتيجة الخصائص التي تَجمعها، ونتيجة بعض الأشـخاص الذين مارسوا الاستشراقَ فيها، كـ (برنارد لويس) الـذي نَرى فيه أنَّه تطبيقًا لمراحل الاسـتشراق الثلاث، بسـبب طول المدة الزَّمنية التي عاشـها (1916م - 2018م) ومعايشـته لهذه المراحل ومشاركته فيهـا. كـما أنَّ التَّداخـل الزَّمنـي يَـبرزُ بقوة بـين الاسـتشراق الصهيوني والاستشراق الإسرائيلي، فلم يأتِ الأخير ليُلغي الأوَّلَ، ولكن لِيَسيرَ الاثنان في نَهجهـما حتـى الآن؛ ذلك أنَّ الاسـتشراق الصهيوني ليـس وَقفًا على أبنـاء الكيـان الغاصب، بل يَحمل لـواءَه كثيرٌ من الغَرب حتـى الآن أفرادًا ومؤسسات، في حين يُمثِّل الاستشراقُ الإسرائيلي دولةَ الكيان من الدّاخل، ومن ثَمَّ فالاثنان موجودان ومُستمرّان من الناحية التاريخية والمَضمون.

ومـن الناحيـة المنهجيـة فقد كشـفَت لنا السُّـطور السّـابقة المناهجَ التي اسـتخدمَها الاسـتشراقُ اليهودي المعاصر، فقد اسـتخدم المناهجَ بطريقة شـخصانيّة غير عِلميّـة، حتى تتحقَّق الأهدافُ المُسـبقة التي يَعمل عليها، وهـي لا تقفُ عند منهجٍ واحـد، بل تتعداهُ إلى مجموعة من المناهج، وقد اعتمدوهـا كما اعتمدها غيرُهم من أرباب الاسـتشراق الغـربي واليهودي القديـم. ومن ثَـمَّ فقد وجدنا مناهـجَ من نحو: المنهج الشـكيِّ، المناهج الإسـقاطي، منهـج التأثـير والتأثُّر، منهـج المقابلـة والمطابقـة، المنهج التحليلي، المنهج النَّفسي الذِّهني، المَنهج النَّقدي.

ويَكفـي أن نعلمَ أنَّ صفـةَ العلمية انتفَت عن هـذه المناهج، لا لكونها في ذاتها غير علميّة، وإنمَّا بالنَّظر إلى مُسـتخدميها الذين نحَوا بها نحوًا مُخِلًّا أخرجَها عن سـياقها المنهجي، الذي كان عليها أن تَسـير فيه، إلى سـياق آخـر عبثيٍّ فَوضويٍّ لا يأتي بنتائج يَقبلهـا العقلُ والمنطق، وإنَّما يَقبلها كلُّ غاشٍّ مُضلِّل يَجد في نفسَـه هوى لاتِّهام الإسلام والمسلمين؛ لعقدة لديه.

ولو كان هؤلاء المسـتشرقون يَبغون غايةً علمية لاسـتخدموا هذه المناهج في سـياقاتها الموضوعة لها، حينها ستكون النتائج مختلفة كلِّيًّا عن النتائج المُضلِّلة التي انتهَوا إليها. وبالنَّظر إلى غايات الاستشراق اليهودي المعاصر فإنَّهـاانحـصرتفيثـلاث:

1 - الغاية العقدية.

2 - الغاية السياسية.

3 - الغاية الثقافية غير الخالصة.

فكلُّ كتابات الاسـتشراق اليهودي المعاصر- والقديم أيضًا بلا شكّ- تسيرُ في اتِّجاه تحقيق واحدة من هذه الغايات إن لم يكن كلّها.

فالغايـة العقدية وحبُّ الانتصار لكلِّ ما هو يهوديٌّ عقدي كانت غالبةً على كتابات المسـتشرقين اليهود المعاصرين، وخاصة الإسرائيليين، من أمثال: (أوري روبين) و (شالوم زاوي) وغيرهما من زعماء الاستشراق الإسرائيلي.

وهـي غايـة قديمة معـاصرة، حيـث وجدناهـا عنـد الاسـتشراق الغربي والاسـتشراق اليهودي القديم من أمثال: (سـان كلير تيسـدال) كمستشرق غربي، و (إبراهام جايجر) كمستشرق يهودي قديم.

وقد بيَّنا بالدَّليل كيف انطلق (روبين وزاوي) في كتاباتهما من منطلق عقدي

بحتٍ، لا يُؤمِنُ إلا بالحقيقة الدِّينية اليهودية فقط، وبناءً عليه فقد أرجعوا كلَّ ما هو إسلاميٌّ، خاصةً ما ورد في القرآن الكريم، إلى مصادر يهودية، وقد وقفوا كثيراً عند القَصص القرآني مدَّعين أنَّه مأخوذ من القَصص اليهودي. لكنَّنا ردَدْنا هذه الأكاذيب من جانب عقلي وجانب ديني.

كذلك استحوذت الغايةُ السِّياسية على كتابات هؤلاء المُستشرقين، فقد بلغت هذه الغايةُ مبلغًا كبيراً من اهتماماتهم، حتى أنَّها قد تكون غلبت الغايةَ العقدية في قطاعات عديدة منها. إنَّ الغاية السياسية التي تُرسِّخُ للمشروع الصهيوني، وتَثبيت أركانه والدِّعاية له، وتَشويه كلِّ ما عداه في الشَّرق، كانت الشُّغلَ الشاغل عند هذا الاستشراق. ومن ثَمَّ فإن الاستشراق اليهودي المعاصر عندما انطلق في دراسة الإسلام، عُلومًا ومجتمعاتٍ، فإنَّه انطلق مُرتكِزاً على هذه الرَّكيزة ركيزة الغاية السياسية، في كثير من جوانبه.

هذا الأمر يَقودنا إلى أن هذا الاستشراق كان يُحلِّق بجناحَين: الغاية العقدية، والغاية السِّياسة، وفي إطار هاتَينِ الغايتَينِ استُخدِمَت المناهجُ التي أشرنا إليها، وذلك كون هذه المناهج هي المَعبَرُ الذي من خلاله تَعبرُ تلك الغاياتُ.

ويُضاف إلى هاتَين الغايتَينِ غايةٌ أقلُّ أهميّةً، بل نَرى أنَّها استُخدمت في بعض الدِّراسات من أجل تمرير غاية عقدية أو غاية سياسية، وهي الغاية الثَّقافية غير الخالصة، وكونها غير خالصة فذلك لأنَّها لم يكن الهدف الثَّقافي أو العلمي -وإن تزيَّت به ظاهريًّا وشكليًّا- وإنَّما كان الهدفُ إمّا تحقيقُ نصرٍ عقديٍّ أو سياسيٍّ. ويَندرج تحتَ هذه الغاية بعضُ كتابات برنارد لويس حول التاريخ الإسلامي، وبعض التَّيارات والقضايا الإسلامية،

وكذلك بعض أعمال المستشرقة اليهودية (حافا لازاروف يافيه).
وتَبقى من أهمِّ النتائج التي توصَّل إليها هذا البحث هي بيان الخطورة الناتجة عن المراكز الاستشراقية الإسرائيلية، خاصّةً وقد تحوَّلَ هذا النَّوع من الاستشراق من مُجرَّد استشراق فرديٍّ إلى عمل مُؤسَّسيٍّ تَقوم به المُؤسَّسات الحكومية الإسرائيلية وغير الحكومية، وقد ذكرنا في هذه الدِّراسة العديدَ منها مُبيِّنينَ خطورتَها وما تقوم عليه من أهداف، وطبيعة الدِّراسات والموضوعات التي تتبنّاها. علمًا بأنَّ هذه المراكز مُتعدِّدة المَشارب والاتِّجاهات والتَّخصُّصات، لكنَّها تَجتمع على غاية واحدة وهي التَّمكين للمُخطَّط الصهيوني في الشرق كهدفٍ سياسيٍّ رئيس.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية

1. القرآن الكريم.
2. أبـو خضير، ناصر الدين، ترجمات القـرآن الكريم إلى العبرية .. ترجمة روبـين نموذجًا مجلة العربيَّـة والترجمة، المنظمة العربيـة للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، 2016م.
3. أبو كريم، منصور، مراكز الأبحاث في إسرائيل: القدرة والدور في التأثير في صناعـة القـرار، مجلـة آراء حول الخليـج، العدد 139، تمـوز/ يوليو، 2019م.
4. إدريـس، محمد جـلاء، الاسـتشراق الإسرائيلي في المصـادر العبرية، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، 1995م.
5. إدريـس، محمد جـلاء، الاسـتشراق الإسرائيلي في المصـادر العبرية، القاهرة، الناشر العربي للنشر والتوزيع، 1416هـ - 1995م.
6. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن أبي الحسن، زاد المسير في علم التفسير، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1423هـ - 2002م.
7. البـار، محمد عـلي، الله جل جلاله والأنبياء في التـوراة والعهد القديم – دراسة مقارنة، دمشـق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، الطبعة الأولى، 1990م.
8. بارت، رودي، الدراسـات العربيّة والإسـلاميّة في الجامعات الألمانيّة،

ترجمة وتحقيق مصطفى ماهر، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2011م.
9. بارت، رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي، 1967م.
10. بخوش، عبد القادر، مناهج الاستشراق المعاصر في الدراسات الإسلامية، الكويت، دار الضياء، الطبعة الأولى، 2014م.
11. بدر، أشرف، مراكز الأبحاث الإسرائيلية ودورها في صناعة القرار، تركيا، مركز رؤية للتنمية السياسية، 2016م،
12. بدوي، عبد الرحمن، دفاع عن محمد ضد منتقديه، تر. كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب، 2005م.
13. البكاري، كمال، عرض ومراجعة: الاستشراق والمشروع الصهيوني، مجلة الاجتهاد، العدد 50-51.
14. بلاشير، ريجيس، القرآن نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره، نقله إلى العربية رضا سعادة، بيروت، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، 1974م.
15. ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984م.
16. البهنسي، أحمد، التعليقات والهوامش لترجمة أوري روبين العبرية لمعاني القرآن الكريم، دراسة نقدية، جامعة القاهرة، كلية الآداب، رسالة ماجستير غير منشورة بتاريخ 2012م.
17. البهنسي، أحمد، كتاب مصادر يهودية في القرآن للمستشرق شالوم زاوي – عرض وتقديم، مجلة القرآن والاستشراق المعاصر، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد 3، 1441هـ - 2019م.
18. بوكاي، موريس، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة الشيخ حسن

خالـد، لبنـان - بيروت، المكتب الإسـلامي، الطبعة الخامسـة، 1411هـ - 1990م.
19. البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد حلاق، ومحمود الأطرش، بيروت – دمشق، دار الرشيد، ومؤسسة الإيمان، الطبعة الأولى، 2000م.
20. تيسـدال، سـان كلير، المصادر الأصلية للقرآن، ترجمة عادل جاسـم، بغداد – بيروت، منشورات الجمل، الطبعة الأولى، 2019م.
21. الجندي، أنور، عالم الإسـلام المعاصر، القاهرة، دار الأنصار، الطبعة الأولى، 1979م.
22. جولدزيهر، اغناس، العقيدة والشريعة في الإسـلام، تر. يوسف موسى وآخرين، القاهرة، 1948م.
23. الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي في الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، دار المدار الإسلامي 2002م.
24. حسـن ظاظـا، من التخبـط اليهودي يهـود المرّان، السـعودية، مجلة الفيصل، 1997م، العدد 247.
25. حسن، محمد خليفة، أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، الرياض: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية: عمادة البحث العلمي 1421هـ - 2000م.
26. حسـن، محمد خليفة، المدرسـة اليهوديّة في الاستشراق، مجلة رسالة المشرق، العدد 1، 2022م.
27. حسـن، محمد خليفة، مقدمة ترجمة كتاب الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط، ترجمة محمد طه عبد الحميد، جامعة القاهرة، سلسلة

الدراسات الدينية والتاريخية – مركز الدراسات الشرقية، 2008م.
28. الديبو، إبراهيم أحمد، ابن حزم الأندلسي رائد الدراسات النقدية للتوراة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 23، العدد الثاني لسنة 2007م.
29. الربيعي، نبيل، تاريخ يهود الخليج، دار الرافدين، بغداد، الطبعة الأولى، 2019م.
30. زاوي، شالوم، ترجمة وتعليق لسورة الفاتحة وآيات من سورة البقرة للمستشرق الجزائري الإسرائيلي أندريه شالوم زاوي، من خلال كتابه (مصادر يهودية بالقرآن)، تر. العياشي العدراوي، مجلة دراسات استشراقية، صيف 2022م- 1443هـ.
31. زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - كتاب الأمة، القاهرة، دار المعارف، ط1، 2008م.
32. الزيني، محمد عبد الرحيم، الاستشراق اليهودي، رؤية موضوعية، مصر، دار يقين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1432هـ - 2011م.
33. سعيد، إدوارد، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب، الناشر: مؤسسة الأبحاث العربية، 2006م.
34. السمرقندي، نصر بن محمد، بحر العلوم، تح. على محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، وزكريا عبد المجيد، بيروت – لبنان، الدار العلمية، الطبعة الأولى، 1413هـ 1993م.
35. السيوطي، جلال الدين؛ والمحلي، جلال الدين، تفسير الجلالين، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، 1374هـ - 1954م.
36. الشامي، عباس علي، يهود اليمن، الطبعة الأولى، 1408هـ - 1988م.

37. شـباير، هاينريش، قصـص أهل الكتـاب في القرآن، ترجمـة وتقديم وتعليق نبيل فياض، بيروت، دار الرافدين، الطبعة الأولى، 2018م.
38. الشحود، على بن نايف، المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، طبعة المكتبة الشاملة الذهبية، 2022م.
39. الشرقاوي، محمد عبد الله، الاسـتشراق والغارة على الفكر الإسلامي، القاهرة، دار الهداية، 1989م.
40. شـوق، شـاكر عالم، ترجمة معاني القرآن الكريم ودور المسـتشرقين فيهـا، مجلة دراسـات، الجامعة الإسـلامية العالمية، شـيتاغونغ، المجلد الرابع، عدد ديسمبر، 2007م.
41. ظاظـا، حسـن، الفكر الدينـي الإسرائيـلي، القاهرة، معهـد البحوث والدراسات العربية، 1971م.
42. ظاظا، حسـن، طقـوس الحج عند اليهود، السـعودية، مجلة الفيصل، 1994م، العدد 210، ص 7.
43. عبـد الكريم، إبراهيـم، الاسـتشراق وأبحاث الصراع لـدى إسرائيل، عمان، دار الخليل للنشر 1993م.
44. عبد الملك، أنور، الاسـتشراق في أزمـة، بيروت، مجلة الفكر العربي، العدد 31، 1983م.
45. عثمان، عبد الكريم، معالم الثقافة الإسـلامية، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة عشرة، 1992م.
46. العـدراوي، العيـاشي، ترجمة وتعليق لسـورة الفاتحة وآيات من سـورة البقرة للمسـتشرق الجزائري الإسرائيلي أندريه شالوم زاوي، من خلال كتابه

(مصادر يهودية بالقرآن)، مجلة دراسات استشراقية، صيف 2022م- 1443هـ.
47. العظم، جلال صادق، الاستشراق والاستشراق معكوسًا، بيروت، دار الحداثة، 1981م.
48. غراب، أحمد عبد الحميد، رؤية إسلامية للاستشراق، طبعة برمنجهام، المنتدى الإسلامي، الطبعة الثانية، 1411هـ.
49. القحطاني، عبد الله بن ناصر، العبادة في الديانة اليهودية، رسالة دكتوراه بقسم العقيدة بجامعة أم القرى، غير منشورة.
50. لازاروس يافيه، حافا، الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط، تر. محمد طه عبد الحميد، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية – مركز الدراسات الشرقية، 2008م.
51. لويس، برنارد، أزمة الإسلام - الحرب الأقدس والإرهاب المدنس.. رؤية المحافظين الجدد واليمين الأمريكي للإسلام المعاصر، تر. حازم مالك محسن، بغداد، دار صفحات للنشر، الطبعة الأولى، 2013م.
52. لويس، برنارد، الإيمان والقوة، الدين والسياسة في الشرق الأوسط، تر. أشرف محمد كيلاني، دمشق، دار الكتاب العربي، 2017م.
53. لويس، برنارد، العرب في التاريخ، تعريب نبيه أمين فارس، محمود يوسف زايد، بيروت، دار العلم للملايين، 1954م.
54. لويس، برنارد، اليهود في ظل الإسلام، تر. حسن أحمد بسام، دمشق، مركز الدراسات العسكرية، 1998م.
55. لويس، برنارد، مستقبل الشرق الأوسط، بيروت، شركة رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى، 2000م.

56. لويس، برنارد، هوامش على قرن مضى..خواطر مؤرخ مهتم بالشرق الأوسط، تر. عبد الله الأسمري، دار الرافدين، الطبعة الأولى، 2023م.
57. لويس، برنارد، أين الخطأ؟ التأثير الغربي واستجابة المسلمين، تر. محمد عناني، طبعة سطور، 2003م.
58. لويس، برنارد، الإسلام في التاريخ.. الأفكار والناس والأحداث في الشرق الأوسط، ترجمة مدحت طه، مراجعة وتقديم أحمد كمال أبو المجد، آفاق للنشر والتوزيع، 2018م.
59. محمد كامل عياد، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء 4، المجلد 44، أكتوبر، 1969م.
60. محمد، صبحي عبد المنعم، المستشرق برنارد لويس ومنهجه في دراسة التاريخ الإسلامي، مجلة كلية دار العلوم، جامعة الفيوم، المجلد 13، العدد 13، يونيو 2005م.
61. المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الأولى، 1999م.
62. المطبقاني، مازن، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، البشير للثقافة والعلوم، الأولى، 2019م.
63. المطبقاني، مازن، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي.. برنارد لويس نموذجًا، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1995م.
64. المطعني، محمد عبد العظيم، أوروبا في مواجهة الإسلام .. الوسائل والأهداف، القاهرة، مكتبة وهبه، الطبعة الأولى، 1993م.
65. الموحي، عبد الرازق، العبادات في الأديان السماوية، دمشق، صفحات

للدراسات والنشر، 2012م.
66. مونتجمري، وات وليام، محمد في مكة، تر. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م.
67. النجار، عبير، مركز مراقبة الإعلام الفلسطيني واستهداف شرعية النضال، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 285- 286، خريف- شتاء 2021م.
68. النصراوي، عادل عباس، محتوى النص القرآني في فهم المستشرقين، مجلة دراسات استشراقية، السنة الثالثة، شتاء 2016م.
69. الهوارين، ربحي إسماعيل ربحي، الاستشراق الإسرائيلي من 1948- 2018: دراسة وصفية تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة القدس، 2023م.
70. هويدي، أحمد محمود، مدخل إلى الاستشراق ومدارسه، القاهرة، دار الثقافية العربية، 2016م.
71. هيلات، علاء؛ والجمل، محمد، الدور الوظيفي المادي في تصور اليهود للإله من خلال سفر التكوين، دراسة تحليلية نقدية في ضوء القرآن الكريم، عمان - الأردن، مجلة المنارة، المجلد 21، العدد 4، 2015م.

المراجع الأجنبية

1. Itani, Talal, The Quran Translated To English, Published By Clear Quran, Dallas, Beirut, 2000.

2. Katsh, Abraham, Judaism in Islam, New York University Press; USA, 1954.

3. Morrison, Robert G., Natural Theology and the Qur'an, journal of

qur'anic studies, 2013.

4. Rubin, Uri, Between Bible and Qur'an: The Children of Israel and the Islamic Self-Image , The Darwin press. ING , PRINCETON , NEW GERSEY , 1999.

5. Wherry, E. M, M. A, The Quran Comprising Sal's Translation, and Preliminary Discourse, London, 1896.

المواقع والروابط الألكترونية

1. http://dayan.org/he/%D790%%D795%%D793%%D795%%D7%AA%D799%%D7%A0%D795%

2. http://fips.huji.ac.il/

3. http://humanities1.tau.ac.il/cohn_ar

4. http://izs.org.il/about-3

5. http://jcpa.org.il/

6. http://peace.tau.ac.il/index.php/201206-29-09-11-10-/about

7. http://shasha-center.huji.ac.il/%D790%%D795%%D793%%D7%95%D7%AA-%D794%%D79%E%D7%A8%D79%B%D796%

8. http://www.jiis.org.il/?cmd=about.151#.V8kREPkrLIV

9. http://www.mitvim.org.il/he/%D790%%D795%%D793%%D7%95%D7%AA/%D7%A4%D7%A8%D795%%D7%A4%D799%%D7%9C-%D790%%D7%A8%D792%%D795%%D7%A0%D799%

10. http://www.netanya.ac.il/ResearchCen/StrategicDialogue/aboutdialogue/Pages/default.aspx

11. https://ar.timesofisrael.com/topic/

12. https://manar.com/page-39944-ar-ar-ar-ar.html

13. https://mukhtaraat.palestine-studies.org/ar/node/10747

14. https://www.csrgulf.com/202227/11//

15. The Harry S.Truman Research Institute http://truman.huji.ac.il/

16. The Israel/ Palestine Center for Research and Information: http://ipcri.org/index.php/about/about-ipcri/arabic

17. أبو غدير، محمد محمود، ترجمة أوري روبين لمعاني القرآن الكريم بالعبرية، على الرابط التالي: http://www.alhiwartoday.net/node/565

18. أحمدي، فاطمة جان، الاستشراق اليهودي.. هيمنة على الدراسات الإسلامية في الغرب، ترجمة عماد الهلالي، دراسة منشورة على الموقع التالي: https://nosos.net/

19. بشوك، الحسين، الباحث والبحوث العلمية في الوطن العربي، منظمة المجتمع العربي، أكتوبر 2016م، على الرابط التالي: https://arsco.org/articles/article-detail-14688/

20. البهنسي، أحمد، الاستشراق الإسرائيلي... الإشكالية والسمات والأهداف، مقال منشور على الرابط التالي: https://vb.tafsir.net/tafsir35662/#.Xj3GYtSF7wc

21. البهنسي، أحمد، الاستشراق والاستشراق الإسرائيلي (2/1)، حوار منشور على

الرابط التـالي: https://tafsir.net/interview/18/al-astshraq-walastshraq-2-al-isra-iyly-1

22. البهنـسي، أحمـد، قصص القرآن في كتـاب (مصادر يهودية بالقرآن) لشـالوم زاوي قـراءة تحليليـة نقدية لنماذج مختـارة، على الرابط التـالي: https://tafsir.net/article/5241/qss-al-qr-aan-fy-ktab-msadr-yhwdyt-balqr-aan-lshalwm-zawy-qra-at-thlylyt-nqdyt-lnmadhj-mkhtarh

23. البهنسي، أحمد، كتاب مصادر يهودية بالقرآن للمستشرق شالوم زاوي، عرض وتقويم عـلى الرابـط التـالي: https://tafsir.net/article/5198/ktab-msadr-yhwdyt-balqr-aan-llmstshrq-shalwm-zawy-ard-wtqwym

24. حـداد، محيي الدين، حروب الظل: كيف تسـاهم مراكز الأبحاث الإسرائيلية في حوكمة صناعة القرار السـياسي؟ دراسة منشـورة على الرابط التالي: https://www.csrgulf.com/2022/27/11/

25. العلوي، أحمد بابانا، المسـتشرقون والدراسـات القرآنيـة، على الرابط التالي: https://www.diwanalarab.com/%D8%A7%D985%D8%B%84%D9%86%88%D9%82%D9%3%D8%AA%D8%B4%D8%B1%D9

26. مـا ولاهـم عـن قبلتهم.. شـبهة السـفهاء، عـلى الموقـع التـالي: https://islamonline.net/

27. مركـز بيجن السـادات للدراسـات الاسـتراتيجية 2016م عـلى الرابط التالي: http://besacenter.org/hebrew/about/

28. مركز مراقبة وسـائل الإعلام الفلسـطينية، على الرابط التـالي: http://www.palwatch.org.il/pages/aboutus.aspx

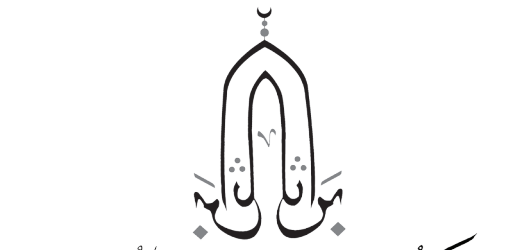

هو مركز بحثي مستقل غير ربحي، مركزه في بيروت وبغداد. ويهدف لفتح المجالات العلمية والاكاديمية الواسعة، أمام الباحثين والمتخصصين؛ للقيام ببحوث تسعى إلى فهم واقع الإنسان والإنسانية، من خلال التركيز على دراسة الميادين الفلسفية، والاجتماعية، والإنسانية المتنوعة، التي تشكّل في مجموعها ذلك الحراك الاجتماعي والإنساني الكبير، الحاصل في العالم، وخصوصا في بلادنا العربية والإسلامية؛ ورصد الظواهر والتحديات الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية المختلفة، التي يمكن أن يواجهها الفرد والمجتمع، ومحاولة فهم ومدارسة الأسس الفلسفية والإجتماعية والدينية التأصيلية بموضوعية وجدة، سعيًا للوصول إلى حلول لها؛ من أجل السمو بالإنسان وتقدّمه في أبعاده الإنسانية المختلفة.

في هذا الكتاب

هـذا الكتاب هـو محاولـةٌ لكشـف النِّقاب عن الاستشـراق اليهوديِّ المعاصر، وموقعِه بالنِّسبة لسياق الاستشراق اليهـودي القديم خاصّةً، والاستشـراق الغربيِّ عامّةً، مع بيان المناهجِ المُضلِّلة التي يَستند إليها، والغاياتِ الخبيثة التي يَنطلق إليها ويَسعى نحوَها. حيث يَعتمد الاستشراقُ اليهـوديُّ المعاصـر علـى مناهـج مـن نحـو: المنهـج الشـكِّي، والتأثير والتأثُّر، والمُقابَلة والمُطابَقة، والمنهج الإسقاطي، والمنهج التَّحليلي، والمنهج التاريخي، وهي مناهجُ اعتمدَها في إطار غير علميٍّ كسابقه، لكي يُحقِّق غاياتـه التي يَرتئيها، وأهمُّهـا الغايةُ العقدية التي تُملي عليه الانتصارَ قَسـرًا لليهودية كديانة، والغايةُ السِّياسية التي تُوجِّهُه إلى محاولة التَّسـويغ لمشروع دولة الكيان الغاصـب، والغايـةُ الثَّقافيـة غيـر الخالصـة التـي تَدفعُه إلى السَّـعي لإقامة جسـورٍ من التَّطبيع، الـذي لا تتقبَّلُه الشُّـعوب العربية والإسـلامية. كما يُحاول الكتاب أن يَقف علـى حقيقة المراكـز البحثية الاستشـراقية الإسـرائيلية المعاصرة، مُبيِّنًا خطرَها، وكيفيّةَ مُواجهتِها.

• الدراسة لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز •

Baratha Center for
Studies and Research